

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بمقتضى

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار الحياء الكتب العربية

ميسى الباني الجليلي وشركاه

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء التاسع عشر

١٩٦٣

دار الفوائد العلمية
مبنى الباني الجليلي وشركاه



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بيان

يشتمل هذا الجزء على شرح طائفة من مختار حكم أمير المؤمنين ومواعظه وأجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه ؛ وهو القسم الثانى مما اختاره له الشريف الرضى فى كتاب "نهج البلاغة" ؛ وينتهى هذا القسم فى أثناء الجزء التالى . وقد روجع على الجزء الرابع من المجموعة الخامسة من النسخة المصورة عن أصلها المحفوظ بمكتبة المتحف البريطانى برقم ١٢٦ ، وهى التى رمزت لها بالحرف ا . وأصل هذا الجزء يقع فى ٩٠ ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا ، فى كل سطر ١٣ كلمة تقريبا ، مكتوب بخط نسخ معتاد قليل الشكل ، ولم يتضح اسم ناسخه ولا تاريخ نسخه ، ويبدو أنه كتب فى القرن الحادى عشر .

كما روجع على مايقابله من المجلد الأخير من النسخة المحفوظة بدار الكتب برقم ١٨٦٨ - أدب ؛ وهى التى رمزت لها بالحرف د ، وسبق وصفها فى مقدمة الجزء السادس عشر من هذه الطبعة . وعلى النسخة المطبوعة فى طهران سنة ١٢٧١ عن أصلها المخطوط فى هذا التاريخ ، وهى التى رمزت لها بالحرف ب . والله الموفق للصواب .

محمد أبو الفضل إبراهيم

{ ٧ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ
٢٨ يولييه سنة ١٩٦٣ م }



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد
(٥٨٦ - ٦٥٦)

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء التاسع عشر



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

(١٨٦)

الأصل :

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ النَّبَا ، وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ ؛ وَمَعَ
كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْكَلَةٍ غَصَصٌ ، وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ
أُخْرَى ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ؛ فَنَحْنُ أَعْوَانُ
الْمُنُونِ ، وَأَنْفُسُنَا نَصَبُ الْخُتُوفِ ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ ؛ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ
يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرْقًا ، إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَذِهِ مَابَنِيًا ، وَتَفَرَّقَا مَا جَعَلَا !

الشرح :

قد سبق ذره^(١) من هذا الكلام في أثناء خطبته عليه السلام ، وقد ذكرنا نحن أشياء
كثيرة في الدنيا وتقلبها بأهلها .

ومن كلام بعض الحكماء : طوبى للهارب من زخارف الدنيا ، والصاد عن زهرة
ديميتها ، والخائف عند أمانها ، والتمهم لغمانها ، والباكي عند ضحكها إليه ، والمتواضع
عند إعزازها له ، والناظر بعين عقله إلى فضائنها ، والمتأمل لقيح مصارعها ، والشارك

(١) ذره : أي طرف .

لكلاهما على جيفها ، والكذب لمواعيدها ، والتميقظ لخدعها ، والمعرض عن ثمنها ،
والعامل في إهمالها ، والمتزود قبل إجمالها .

قوله : « تنفضل » النّضل شيء يرمى ، ويروى « تبادره » أى تتبادره ،
والغرض : الهدف .

والنّهب : المال المنهوب غنيمة ، وجمعه نهاب .

وقد سبق تفسير قوله : « لا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى » ، وقائنا : إن الذى
حصلت له لذة الجماع حال ما هي حاصلة له ، لا بد أن يكون مفارقاً لذّة الأكل والشرب ،
وكذلك من يأكل ويشرب يكون مفارقاً حال أكليه وشربه لذّة الرّكض على الخيل
في طلب الصيد ، ونحو ذلك .

قوله : « فتعفن أعوان النّون » ؛ لأننا نأكل ، ونشرب ، ونجامع ، ونركب الخيل ،
والإبل ، وتنصرف في الحاجات والمآرب ؛ والموت إنما يكون بأحد هذه الأسباب ، إيمان
أخلط تحدثها المآكل والمشارب ، أو من سقطه يسقط الإنسان من دابة هو راكبها ،
أو من ضعف بلجته من الجماع المفرط ، أو لمصادمات واصطكاكات تصيبه عند تصرفه
في مآربه وحركته وسعيه ، ونحو ذلك ؛ فكأننا نحن أعنا الموت على أنفسنا .

قوله : « نصب الختوف » يروى : بالرفع والنصب ، فمن رفع فهو خير المبتدأ ، ومن
نصبه جعله ظرفاً .

الأصل :

لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ .

الشرح :

قد تكرّر ذكرُ هذا القول ، وتكرّر منا شرحُه ^(١) وشرحُ نظائره .
 وكان يقال : ما الإنسان لولا اللسانُ إلا بهيمةٌ مُهْمَلَةٌ ، أو صورةٌ ممثّلة .
 وكان يقال : اللسانُ عضوٌ إن مرّتْهُ مرّتان ^(٢) ، وإن تركته خزن ^(٣) .

(٢) ١ : « تمرن » .

(١) ١ : « شرح له » .

(٣) خزن : تغير وفسد .

الأصل :

يا بَنَ آدَمَ ، مَا كَتَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِّغَيْرِكَ .

الْبَيْزُج :

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ ؛ فَقَالَ :

مَالِي أَرَاكَ الْدَّهْرَ تَجْمَعُ دَائِبًا أَلْبَسِلَ عَزِيكَ لَا أَبَالِكَ تَجْمَعُ !
 وعاد الحسنُ البصريُّ عبدَ اللهِ بنِ الأَهمِّ في مرضه الَّذي مات فيه ، فأقبلَ عبدُ اللهِ
 بِصِرْفِ بَصَرِهِ إِلَى صُنْدُوقٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَسَنِ : يَا أَبَا سَعِيدَ ، فِيهِ مِائَةُ أَلْفٍ
 لَمْ يَوْذُ مِنْهَا زَكَاةً ، وَلَمْ يُوصَلْ بِهَا رَحِيمٌ ؛ قَالَ الْحَسَنُ : تَسَكَّلْتُكَ أُمَّكَ ! فَلِمَ أَعْدَدْتُهَا ؟
 قَالَ : لِرَوْعَةِ الزَّمَانِ ، وَمُسْكَاتَرَةِ الْإِخْوَانِ ، وَجَفْوَةِ السَّاطَانِ .

ثُمَّ مَاتَ ، فَخُفِرَ الْحَسَنُ جَنَازَتَهُ ، فَلَمَّا دُفِنَ صَفَّقَ ^(١) بِإِحْدَى رِاحَتَيْهِ الْأُخْرَى ، وَقَالَ :
 إِنَّ هَذَا تَاهَ شَيْطَانُهُ ، فَخَذَرَهُ رَوْعَةُ زَمَانِهِ : وَجَفْوَةُ سَاطَانِهِ ، وَمُسْكَاتَرَةُ إِخْوَانِهِ ، فِيمَا
 اسْتَوْدَعَهُ اللهُ إِيَّاهُ فَأَذْخَرَهُ ؛ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ كَثِيبًا حَزِينًا ، لَمْ يَوْذُ زَكَاةً ، وَلَمْ يَصِلْ رَحِمًا .
 ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَارِثُ ، كُلْ هُنَيْثًا ، فَقَدْ أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَلَالًا ، فَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ
 وَبَالًا ، أَتَاكَ مِمَّنْ كَانَ لَهُ جَمُوعًا مَنُوعًا ، يَرْغَبُ فِيهِ لُحَجَّجُ الْبَحَارِ ، وَمُتَقَاوِرَ الْقِفَارِ ، مِنْ بَاطِلٍ
 جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي حَيَاتِهِ ، وَضَرَّهَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، جَمَعَهُ فَأَوْعَاهُ ، وَشَدَّهَ
 فَأَوْكَاهُ ^(٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ يَوْمَ ذِي حَسَرَاتٍ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ أَنْ تَرَى مَالَكَ
 فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ ؛ بَخَاتَ بِمَالِ أَوْتَيْتَهُ مِنْ رِزْقِ اللهِ أَنْ تُنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ، نَفَرْتَهُ
 لِّغَيْرِكَ ، فَأَنْفَقَهُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ ، يَا لَهَا حَسْرَةً لَا تُقَالُ ، وَرَحْمَةً لَا تُنَالُ ! إِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !

(١) التصفیق : ضرب له صوت مثل الصق .

(٢) أوكاه : أحكم رباطه ، من الوكاه ؛ وهو رباط القرية .

الأصل :

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَ، وَإِذَا بَارَأَ؛ فَأَتَوْهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا ، فَإِنَّ
الْقَلْبَ إِذَا أَكْرَهَ عَمِيَ .

الشرح :

قد تقدم القول في هذا المعنى .

والعلة في كون القلب يعمى إذا أكره على ما لا يحبّه ، أن القلب عضو من الأعضاء .
يتعب ويستريح كما تتعب الجنة عند استعمالها وأعمالها ، وتستريح عند ترك العمل ، كما
يتعب اللسان عند الكلام الطويل ، ويستريح عند الإمساك ، وإذا تواصل^(١)
إكراه القلب على أمر لا يحبّه ولا يؤثره تعب ، لأنّ فعل غير المحبوب متعب ؛ ألا ترى
أنّ جماع غير المحبوب يحدث من الضعف أضعاف ما يُحدثه جماع المحبوب ؛ والركوب إلى
مكان غير محبوب متعب ولا يُشتهي ، يتعب البدن أضعاف ما يتعبه الركوب إلى
تلك المسافة إذا كان المكان محبوباً ، وإذا أتعب القلب وأعيأ ، عجزَ عن إدراك ما تكلفه
إدراكه ، لأنّ فعله هو الإدراك ، وكلّ عضو يتعب فإنه يعجز^(٢) عن فعله الخاصّ به ،
فإذا عجز القلب عن فعله الخاصّ به وهو العلم والإدراك ؛ فذاك هو عماء .

الأصل :

ولله عليه السلام يقول :

مَتَى أَشْفَى غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ ! أَحِينَ أُعْجِزُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي : لَوْ صَبَرْتَ !
أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ لِي : لَوْ عَفَوْتَ !



الشرح :

قد تقدم القول في العصبية من أراء علماء سدي

وهذا الفصل فصيح لطيف المعنى ؛ قال : لا سبيل لي إلى شفاء غيظي عند غضبي ،
لأنني إما أن أكون قادرا على الانتقام فيصدني عن تعجيله قول القائل : لو عفرت
لكان أولى ! وإما ألا أكون قادرا على الانتقام فيصدني عنه كوني غير قادر عليه ؛
فإذن لا سبيل لي إلى الانتقام عند الغضب .

وكان يقال : العقل كالمرآة المجلوة يصدنه الغضب ، كما تصدأ المرأة بالخل ، فلا يثبت
فيها صورة القبح والحسن .

واجتمع سفيان الثوري وفضيل^(١) بن عياض فتذاكرا الزهد ، فأجمعا على أن
أفضل الأعمال الحلم عند الغضب ، والصبر عند الطمع .

الأضل :

وقال عليه السلام وقد مرَّ بِقَدَرٍ عَلَى مَرْبَلَةٍ : هَذَا مَا يَخْلُ بِهِ الْبَاخِلُونَ .
وَفِي خَيْرٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ : هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَاقَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ !

الْبَشْرُ :

قد سبق القول في مثل هذا ، وأن الحسن البصري مرَّ عَلَى مَرْبَلَةٍ ، فقال : انظروا
إِلَى بَطْنِهِمْ وَدَجَاجِهِمْ وَحُلُوسِهِمْ وَعَسَائِهِمْ وَسَمْعِهِمْ : وَالْحَسَنُ إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ فِي قَوْلِ الشَّيْخِ :

لَوْ أَفَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ ^(١)

إِنَّهُ أَرَادَ : لَوْ أَفَكَّرَ فِي حَالِهِ وَهُوَ فِي الْقَبْرِ ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ مُحَاسِنُهُ ، وَسَالَتْ عَيْنَاهُ ، قَالَ .
وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : لَوْ أَفَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِيمَا يَتَوَلَّى إِلَيْهِ الطَّعَامُ لَمَادَنَّهُ نَفْسُهُ .

وَقَدْ ضَرَبَ الْعُلَمَاءُ مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَمُخَالَفَةِ آخِرِهَا أَوَّلَهَا ، وَمُضَادَّةِ مَبَادِيهَا عَوَاقِبَهَا ،
فَقَالُوا : إِنَّ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ لَذِيذَةٌ كَشَهَوَاتِ الْأَطْعِمَةِ فِي الْمَعِدَةِ ، وَسَيَّجِدُ
الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ لَشَهَوَاتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالنَّتَنِ وَالْقُبْحِ مَا يَجِدُهُ لِلْأَطْعِمَةِ
الَّذِيذَةُ إِذَا طَبَخَتْهَا الْمَعِدَةُ وَبَافَتْ غَايَةَ نَضِجَتِهَا ، وَكَأَنَّ الطَّعَامَ كُلَّمَا كَانَ أَلَذَّ طَعْمًا وَأَظْهَرَ
حَلَاوَةً ، كَانَ رَجِيْعُهُ أَقْدَرُ وَأَشَدَّ نَدْنًا ؛ فَكَذَلِكَ كُلُّ شَهْوَةٍ فِي الْقَلْبِ أَشْهَى وَأَلَذَّ وَأَقْوَى ،

فإن تنهها وكرهتها والتأذى بها عند الموت أشد ، بل هذه الحال في الدنيا مُشاهدة ، فإن [من] ^(١) نهبت داره ، وأخذ أهله وولده وماله ، تكون مصيبته وألمه وتفجعه في الذي فقد بقدر لذته به ، وحبّه له ، وحرصه عليه ، فكل ما كان في الوجود أشبه وألذ ، فهو عند الفقد أدهى وأمر ، ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال للضحّاك بن سفيان الكلّابي : ألسن تؤثني بطعامك وقد قرّح وماح ^(٢) ، ثم تشرب عليه اللبن والماء ! قال : بلى ، قال : فإلى ماذا يصير ؟ قال : إلى ما قد علمت يا رسول الله ؟ قال : فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم .

وروى أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن أنت ضربت مثلاً لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم ، وإن كان قرّحه وملّحه إلى ماذا صار .

وقال الحسن رحمه الله : قد رأيتهم يطبّونه بالطيب والأفاويه ^(٣) ثم يرمونه حيث رأيتم ، قال الله عز وجل : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ ^(٤) ، قال ابن عباس : إلى رَجِيمِهِ .

وقال رجل لابن عمر : إني أريد أن أسألك وأستحيي ، فقال : لا تستحيي وسك ؛ قال : إذا قضى أحدنا حاجته فقام ، هل ينظر إلى ذلك منه ؟ فقال : نعم ، إن الملاك يقول له : انظر هذا ما بخلت به ، انظر إلى ماذا صار !

(١) تكملة من د .

(٢) يقال : قرّح الندر كرم ؛ جعل فيها زرع البصل والثوابل .

(٣) الأفاويه : جمع أفواه ؛ وهي التوابل . (٤) سورة عبس ٢٤

الأصل :

لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .

الشَّرْحُ :

مثلُ هذا قولهم : إن المصائبَ أتمانُ التجاربَ .
وقيل لعالم فقير بعد أن كان غنياً : أين مالك ؟ قال : تَحَرَّتْ ^(١) فيه ، فابتعتُ به تجربةَ
الناسِ والوقتِ ، فاستفدتُ أَشْرَفَ العَوَاضِلِ ^(٢) .

الأضل :

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

الشنخ :

هذا قد تكرر ، وتكرر منا ذكر ما قيل في إجمام النفس والتنفيس عنها من
كرب الجدة بروح الإحاض^(١) وفسرنا معنى قوله عليه السلام : « فابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ
الْحِكْمَةِ » وقلنا : المراد ألا يجعل الإنسان وقته كله مصروفاً إلى الأنظار العقلية في البراهين
الكلامية والحكمية ، بل ينقلها من ذلك أحياناً إلى النظر في الحكمة الخلقية فإنها
حكمة لا تحتاج إلى إغصاب النفس والخطاير .

فأما القول في الدُّعابة فقد ذكرناه أيضاً فيما تقدم ، وأوضحنا أن كثيراً من
أعيان الحكماء والعلماء كانوا ذوي دُعابة مقتصدة لا مسرفة ، فإن الإسراف فيها يخرج
صاحبه إلى الخلاعة ، ولقد أحسن من قال :

أَفِذْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدَّةِ رَاحَةً يَجْمُوعُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ^(٢)
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ذَلِكَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارٍ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلَحِ^(٣)

(٢) المكدود : المجهد

(١) الإحاض : التنقل من الجد إلى المزح

(٣) أي على قدر من الاعتدال .

الأفضل :

وقال عليه السلام لما سمع قول الخوارج : لا حكم إلا لله ، كلمة حق يراد بها باطل .

البيان :

معنى قوله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (١) ، أى إذا أراد شيئاً من أفعال نفسه فلا بد من وقوعه ، بخلاف غيره من القادرين بالقسرة فإنه لا يجب حصول مرادهم إذا أرادوه ، ألا ترى ما قبل هذه الكلمة : ﴿ يَا بَنِي إِدْرِيسَ اتَّخِذُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ خاف عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا من باب واحد ، فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، ثم قال لهم : « وما أغني عنكم من الله من شيء » ، أى إذا أراد الله بكم سوءاً لم يدفع عنكم ذلك السوء ما أشرت به عليكم من التفرق ؛ ثم قال : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أى ليس حق من الأحياء ينفذ حكمه لا محالة ومراده لما هو من أفعاله إلا الحق القديم وحده ، فهذا هو معنى هذه الكلمة ، وضلت الخوارج عندها فأنكروا على أمير المؤمنين عليه السلام موافقته على التحكيم ؛ وقالوا : كيف يحكم وقد قال الله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ فغاطوا الموضع اللفظي المشترك ، وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم ، فإذن هي كلمة حق يراد بها باطل ، لأنهم حق على المفهوم الأول ، ويريد بها الخوارج نقي كل ما يسمى حكماً إذا صدر عن غير الله تعالى ، وذلك باطل ، لأن الله تعالى قد أمضى حكم المخلوقين في كثير من الشرائع .

الأضد :

وقال عليه السلام في صفة القَوْنَاءِ :

هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُمَرَفُوا

وَقِيلَ : بَلَىٰ ۖ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوْا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا ،

فَقِيلَ : قَدْ عَلَيْنَا مَضْرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ ، فَمَا مَنَعُهُمْ اِفْتِرَاقِهِمْ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَرْجِعُ أَضْعَافُ أَلْفَيْنِ إِلَى مِثْلِهِمْ ، فَيُنْفِخُ النَّاسُ بِيَوْمِهِ ، كَرُّ جُوعِ الْبَنَاءِ إِلَى

بَنَاتِهِ، وَالنَّسَاجَ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَالْخَبَازَ إِلَى خُبْزِهِ.

• • •

الشيخ :

كان الحسن إذا ذكر الفوغاء وأهل السوق قال : قطة الأنبياء ؛ وكان يقال : العامة

كالبحر إذا هاج أهلك رأكبه ؛ وقال بعضهم : لا تسبوا القوّغاء فإنهم يطفئون الحريق ،

وَيُنْقِذُونَ الْغَرِيقَ، وَيُسْذَنُونَ الْبُشُقَ (١).

وقال شيخنا أبو عثمان : الفاعلة والباغة ^(٢) والحاكة كلهم أعداء عام واحد ، ألا

ترى أنك لا تجد أبداً في كل بلدة وفي كل عصر هؤلاء بمقدار واحد وجهة واحدة.

من الشُّخْفِ والنَّقْصِ والخَمُولِ والغبَاوةِ؛ وكان المأمون يقول: كلُّ شرٍّ وظلمٍ^(٣) في العالم

(١) البشوق : الشقوق في الأنهار .

(٧) الباعة : الحق .

(۳) فی د : د وضو :

فهو صادرٌ عن العامة والغوغاء ، لأنهم قتلَ الأنبياء والمُفْرُون^(١) بين الغفاء ،
والنمائمون بين الأوداء^(٢) ، ومنهم اللصوص ، وقُطَاع الطريق ، والطرارون^(٣) ،
والمتألون والساعون إلى السلطان^(٤) ، فإذا كان يوم القيامة حُشِرُوا على عاقبتهم في السعاية
فقالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
العَذَابِ وَالْعَمَلُ لَنَا كَبِيرَا^(٥) 〉 .



مركز تحقيقات کاتبی و پژوهشی علوم اسلامی

(١) في د ه والفرقون .

(٢) الطرارون : المروجون للسلح .

(٣) في د ه والأولياء .

(٤) (١) : الحكم .

(٥) سورة الأحزاب ٦٧

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَتَى بِحَايٍ وَمَعَهُ غَوْغَاءُ فَقَالَ : لَا مَرْحَبًا بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاءٍ .

الشرح :

أخذ هذا اللفظ المستعين بالله وقد أدخل عليه ابن أبي الشوارب القاضي ومعه الشهود ليشهدوا عليه أنه قد خلع نفسه من الخلافة وبايع المعتز بالله ، فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا يوم^(١) سوء .

وقال من مدح الغوغاء والعامّة : إن في الحديث المرفوع : إن الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم .

وكان الأحنف يقول : أكرموا سُفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار .

وقال الشاعر :

وَأَنِّي لَأَسْتَبْقِي أَمْرًا السَّوَاءُ عُدَّةٌ لَعْدُوهُ عَرَّيْضٌ مِنَ النَّاسِ جَائِبٌ^(٢)
أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَهَرَشَهَا إِذَا لَمْ تُجَاوِزْ بِهَا كِلَابُ الْأَقْرَبِ

(١) د « إلا عند السوء » .

(٢) الجائب : التنقل من مكان إلى مكان .

الأمثل :

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَالِيًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
وَإِنَّ الْأَجَلَ جَنَّةٌ حَصِينَةٌ .

الشرح :

قد تقدم هذا ، وقانا : إنه ذهب كثير من الحكماء هذا المذهب ، وإن الله تعالى
ملائكة موكلة تحفظ البشر من التردى في بئر ، ومن إصابة سهم معترض في طريق ،
ومن رفس دابة ، ومن نهش حية ، أو تسع عقرب ، ونحو ذلك . والشرائع أيضاً قد وردت
بمثله [وإن]^(١) الأجل جنة ، أى درع ، ولهذا في علم الكلام مخرج صحيح ، وذلك
لأن أصحابنا يقولون : إن الله تعالى : إذا علم أن في بقاء زيد إلى وقت كذا لطفاً له أو
لغيره من المكلفين صدق من يهيم بقتله عن قتله باللطافِ بفعله تصدده عنه أو تصرفه
عنه بصارف ، أو يمنعه عنه بمانع ، كي لا يقطع ذلك الإنسان بقتل زيد اللطاف
التي يعلم الله أنها مقرّبة من الطاعة ، ومبعدة من المعصية^(٢) لزيد أو لغيره ، فقد بان أن
الأجل على هذا التقدير جنة حصينة لزيد ، من حيث كان الله تعالى باعتبار ذلك الأجل
مانعاً من قتله وإبطال حياته ، ولا جنة أحصن من ذلك .

(٢) د « عن الفيح » .

(١) من د ، ووب : « وأما »

الأصل :

وقال عليه السلام : وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالرُّبَيْرُ : نَبَا بِكَ عَلَى أَنَّا شَرَّكَائِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَقَالَ [لَا] ^(١) : وَلَكِنَّكُمْ شَرَّ بَكَانٍ فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوْدِ .

الشرح :

قد ذكرنا هذا فيما تقدم حيث شرحنا بيعة المسلمين لعلي عليه السلام كيف وقعت بعد مقتل عثمان ، ولقد أحسن فيما قال لها لما سألاه أن يُشركاه في الأمر ، فقال : أما المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك ؟ وهل يصح أن يدبر أمر الرعية إمامان .
* وهل يجمع السيفان ويحك في غمد * ^(٢)

وإنما تُشركاني في القومة والاستعانة أي إذا قويت أمري وأمر الإسلام بي قويتما أنتما أيضا ، وإذا عجزت عن أمر أوثاود علي أمر - أي أعوج - كنتما عونين لي ومساعدين علي لإصلاحه .

فإن قلت : فما معنى قوله : « والاستعانة » .

قلتُ الاستعانة هاهنا الفوز والظفر . كانوا يقولون للقائم بفوز قدحه : قد جرى ابننا عنان . وهما خططان يُخطَّان في الأرض يزجر بهما الطير ، واستعان الإنسان ، إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة .

(٢) عجزت لأبي ذؤيب الهذلي ، وصدره :

(١) تكملة من « د » .

* تريدن كيمًا تجمعيني وخالداً *

الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ ، وَبَادِرُوا
لِلْمَوْتِ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَاكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ
نَسِيتُمْ دَكَّرَكُمْ .



الشرح :

قد تقدم منا كلامٌ كثير في ذكر الموت : ورأى الحسن البصري رجلاً يجود
بنفسه ، فقال : إِنْ أَمَرَا هَذَا آخِرُهُ لَجْدِيرٌ أَنْ يُرْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنْ أَمَرَا هَذَا أَوَّلُهُ لَجْدِيرٌ
أَنْ يُخَافَ مِنْ آخِرِهِ .

ومن كلامه : فَضَحَ الْمَوْتُ الدُّنْيَا .

وقال خالد بن صفوان : لَوْ قَالَ قَاتِلُ . الْحَسَنِ أَصَحَّ النَّاسُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لَمَا كَانَ مِثْلُنَا .
وقال لرجل في حنازة : أَرَى هَذَا الْمَيِّتَ لَوْ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا لَكَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ .

الأصل :

لَا يُزْهَدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ ، فَقَدْ بِشُكْرِكَ عَلَيْهِ مَنْ
لَا يَسْتَمِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَقَدْ يَذُرُّكَ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرُ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ ،
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ .

الشرح :

قد أخذت أنا هذا المعنى قلت من جملة قصيدة لي حكمية :

لَا تُسَدِّيقَنَّ إِلَى ذِي اللَّوْمِ مَكْرُمَةً فَإِنَّهُ سَيَسْخُ لَا يُبْنِتُ الشَّجَرَا
فَإِنْ زَرَعْتَ فَحُفُوظٌ بِمَضِيعَةٍ وَأَكُلُ زَرْعِكَ شُكْرُ الْغَيْرِ إِنْ كَفَرَا
وقد سبق منّا كلامٌ طويلٌ في الشكر .

ورأى العباس بن المأمون يوماً بحضرة المعتصم خاتماً في يد إبراهيم بن المهدي ،
فاستحسنه ، فقال له : ما قصُّ هذا الخاتم ، ومن أين حصلته ؟ فقال إبراهيم : هذا خاتم
رهنته في دولة أبيك ، رافتككده في دولة أمير المؤمنين ؛ فقال العباس : فإن لم
تشكر أُنِي على حقنه دمت فانت لا تشكر أمير المؤمنين على فكّه خاتمك .

وقال الشاعر :

كَمَعْرُوكٍ مَا الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ وَفِي أَهْلِهِ إِلَّا كِبَعُ الْوَدَائِعِ
فَسْتَوْدِعُ ضَاعَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ وَمُسْتَوْدِعُ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ضَائِعِ
وَمَا النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعَةِ عِنْدَهُمْ وَفِي كَفَرِهَا إِلَّا كِبَعُ الْمَزَارِعِ
فَمَزْرَعَةٌ طَابَتْ وَأُضِيفَ نَبْتُهَا وَمَزْرَعَةٌ أَكْدَتْ عَلَى كُلِّ زَارِعِ

الأصل :

كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَفْسَحُ بِهِ .

الشرح :

هذا الكلام تحته سرٌّ عظيم ، ورَمَزَ إلى معنى شريف غامض ، ومنه أخذ مُثَبِّتو النفس الناطقةِ الحجة على قولهم ؛ ومحصول ذلك أن القوى الجسمانية يُكَلِّمُهَا وَيَتَعَبَّهَا تَكَرُّرُ أَفَاعِيلِهَا عَلَيْهَا ، كقوة البصر يُتَعَبَّهَا تَكَرُّرُ إِدْرَاقِ الثَّلَاثِ ثَبَاتٍ ، حتى ربما أذهَبَهَا وَأَبْطَلَهَا أَصْلًا ، وكذلك قوة السمع يُتَعَبَّهَا تَكَرُّرُ الْأَصْوَاتِ عَلَيْهَا ، وكذلك غيرها من القوى الجسمانية ، ولكننا وجدنا القوة العاقلة بالعكس من ذلك ^(١) ، فإنَّ الإنسان كلما تَكَرَّرَتْ عليه المعقولات ازدادت قوته العقلية سعةً وانبساطاً واستعداداً لإدراكِ أمورٍ أخرى غير ما أُنْزَلَتْهُ مِنْ قَبْلُ ، حتى كَانَ تَكَرُّرُ الْمَعْقُولَاتِ عَلَيْهَا يَشْعِدُهَا ^(٢) وَيَضْقُطُهَا ، فهي إِذَنْ مُخَالِفَةٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ لِلْقَوَى الْجِسْمَانِيَّةِ ، فَإِنَّتِ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْهَا لَكَانَ حُكْمُهَا حُكْمَ وَاحِدٍ مِنْ أَخَوَاتِهَا ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ جِسْمَانِيَّةً فَهِيَ مَجْرُودَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي نَسَمِيهَا بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ .

(٢) يَشْعِدُهَا : يَجْعَلُهَا .

(١) : هَذَا .

الأصل :

أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ .

الشرح :

قد تقدّم من أقوالنا في الحلم ما في بعضه كفاية .

وفي الحكم القديمة : لَا آتِينَ حُسْنَ الْمَظْفَرِ بِقُبْحِ الْإِنْتِقَامِ .

وكان يقال : اعفُ عَمَّنْ أَيْطَأُ عَنِ الذَّنْبِ ، وأسرع إلى التّدم .

وكان يقال : شاور الأناة والتّثبت ، وذاكِر الحفيظة ^(١) عند هيجانها ما في عواقب

المُعقوبة من التّدم ، وخاصمتها بما يؤدّي إليه الحلم من لاغبطاط .

وكان يقال : ينبغي للحازم أن يقدم على عذابه وصفحه تعريف المذنب بما جناه ،

وإلاّ نُسب حلمه إلى الغفلة وكلال حدّ الفطنة . وقالت الأنصار لآلئبي صلى الله عليه

وآله يوم فتح مكة : إنهم فعلوا بك ثمّ فعلوا . يُغْرُونَهُ بِقَرِيش ؛ فقال : « إِنَّمَا سُمِّيتَ

محمدا لأُتَمِّدَ » .

الأصل :

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ .

الشرح :

التحلم : تكلف الحلم ، والذي قاله عليه السلام صحيح في مناهج الحكمة ، وذلك لأن من تشبه بقوم وتكلف التحلق بأخلاقهم ، والتأديب بأدابهم ، واستمر على ذلك ومروّن عليه الزمان الطويل ، اكتسب رياضة قوية ، ومملكة تامة ، وصار ذلك التكلف كالطبع له ، وانتقل عن الخلق الأول ، ألا ترى أن الأعرابي الجلف الجاني إذا دخل المدن والقرى وخالط أهلها وطال مكثه فيهم انتقل عن خلق الأعراب الذي نشأ عليه ، وتلطّف طبعه ، وصار شبيهاً بساكني المدن ، وكالأجنبي عن ساكني الوبر ، وهذا قد وجدناه في حيوانات أخرى غير البشر كالبازي والصقر والفهد التي تراض حتى تدل وتأنس وتترك طبيعتها القديمة ، بل قد شاهدناه في الأسد ، وهو أبعد الحيوان من الإنس .

وذكر ابن الصافي أن عضد الدولة بن بويه كانت له أسود يصطاد بها كالفهود فتمسكه عليه حتى يدركه فيذكيه ، وهذا من العجائب الطريفة .

الأصل :

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَيْحَ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ
أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ .

الشرح :

قد جاء في الحديث المرفوع : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .
قوله نا « ومن خاف أمن » أي من اتقى الله أمن من عذابه يوم القيامة .
ثم قال « ومن اعتبر أبصر » أي من قاس الأمور بعضها ببعض واتعظ بآيات الله
وأيامه أضاعت بصيرته ، ومن أضاعت بصيرته فهم ، ومن فهم علم .

فإن قلت : الفهم هو العلم ، فأى حاجة له إلى أن يقول : « ومن فهم علم ؟ »
قلت : الفهم هاهنا هو معرفة المقدمات ، ولا بد أن يستعقب معرفة المقدمات معرفة
النتيجة ، فمعرفة النتيجة هو العلم ، فكأنه قال : من اعتبر تنور قلبه بنور الله تعالى
ومن تنور قلبه عقل المقدمات البرهانية ، ومن عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواجبة
عنها ، وتلك هي الثمرة الشريفة التي في مثلها يتنافس المتنافسون .

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا . وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ .



مركز تحقيق تكثير علوم إسلامي

الشرح :

الشَّامِسُ : مصدر شمس الفرس إذا منع من ظهوره .

والضَّرُوسُ : الناقة السيئة الخلق تعضُ حالبها ، والإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان . وأصحابنا يقولون : إنه وعدٌ بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك ، ولا يلزم من ذلك أنه لابد أن يكون موجوداً ، وإن كان غائباً إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يُخلق في آخر الوقت .

وبعض أصحابنا يقول : إنه إشارة إلى ملك السفاح والمنصور وابن المنصور بعده . فإنهم الذين أزالوا ملك بني أمية ، وهم بنو هاشم ، وبطريقهم عطفت الدنيا على بني عبد المطَّاب عطف الضُّروس .

وتقول الزيدية : إنه لابد من أن يملك الأرض فاطميٌّ يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد ، وإن لم يكن أحد منهم الآن موجوداً .

الأفضل :

اتَّقُوا اللَّهَ تَقَاةً مِّنْ كَمَثَرِ تَجْرِيداً ، وَجَدَّ تَشْمِيراً ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَبَادَرَ عَنْ
وَجَلٍ ، وَلَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِلِ ، وَعَاقَبَةَ الْمَصْدَرِ ، وَمَغَبَّةَ الْمَرْجِعِ .

الشرح :

لو قال : « وجرّد تشميراً » لكان قد أتى بنوع مشهور من أنواع البديع ؛ لكنه
لم يحفل بذلك ، وجرى على مقتضى طبعه من البلاغة الخالية من التكلف والتصنع ، على
أن ذلك قد روى ، والمشهور الرواية الأولى .

وأكش : جدّ وأسرع ، ورجل كيش ، أي جاد .
وفي مهل : أي في مهلة العمر قبل أن يضيق عليه وقته بدنوّ الأجل .

الأصل :

أَجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ ، وَالْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيرِ ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ ، وَالسَّلْوُ
عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ ، وَالِإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ .

وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَفَنَى بِرَأْيِهِ ، وَالصَّبْرُ يُبَاضِلُ الْحَذَّانَ ، وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ
الرِّمَافِ ، وَأَشْرَفُ الْفَنَى ، تَرْكُ الْمَنَى .

وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوًى أَمِيرٍ ! وَمِنْ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجَرُّبَةِ ، وَالْوَدَّةُ
قَرَابَةُ مُسْتَفَادَةٍ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولًا .

مركز تحقیق کتب و تیر علوم اسلامی

الشرح :

مثل قوله : « أجود حارس الأعراض » قولهم : كل عيب فالكرم يغطيه .
والفِدَامُ : خِرْقَةٌ تَجْعَلُ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيقِ ، فَشَبَّ الْحِلْمُ بِهَا ، فَإِنَّهُ يَرُدُّ السَّفِيرَ عَنِ السَّفَةِ
كَأَيُّرِدِ الْفِدَامُ الْخَمْرَ عَنْ خُرُوجِ الْقَدَى مِنْهَا إِلَى الْكَأْسِ .

فَأَمَّا « والعفو زكاة الظفر » فقد تقدم أنَّ لكلِّ شَيْءٍ زَكَاةً ، وَزَكَاةُ الْجَاهِ رِفْدُ
الْمُسْتَعِينِ ، وَزَكَاةُ الظَّفَرِ الْعَفْوُ .

وَأَمَّا « السَّلْوُ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ » ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ غَدَرَ بِكَ مِنْ أَحِبَّائِكَ وَأَصْدِقَائِكَ
فَأَسْأَلُ عَنْهُ وَتَنَاسَهُ ، وَإِذَا كَرَّمَا عَلَمَاكَ بِهِ مِنَ الْقَدْرِ ، فَإِنَّكَ تَسْلُو عَنْهُ ، وَيَكُونُ مَا اسْتَفَدْتَهُ
مِنَ السَّلْوِ عِوَضًا عَنْ وَصَالِهِ الْأَوَّلِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَعَزَّنِي سِوَهُ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّقَى فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كِبْدِي
فَصَرْتُ عَبْدًا لِلْسَّوْءِ فَيْكَ وَمَا أَحْسَنَ سِوَهُ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ
وقد سبق القولُ في الاستشارة وأن المستغنى برأيه مخاطر ، وكذلك القولُ في الصبر .
والمناسبة : المراماة .

وكذلك القولُ في الجزع ، وأن الإنسان إذا جَزِعَ عند المصيبة فقد أَعَانَ الزمانَ
على نفسه ، وأضاف إلى نفسه مصيبةً أخرى .

وسبق أيضا القولُ في النسي ، وأنها من بضائع النِّوَكِي (١) .

وكذلك القولُ في الهوى ، وأنه يَغْلِبُ الرَّأْيَ وَيَأْسِرُهُ .

وكذلك القولُ في التجربة ؛ وقولهم : مَنْ حَارِبَ الْمُجْرِبَ حَلَّتْ بِهِ التَّدَامَةُ ، وَإِنْ

مِنْ أَضَاعَ التَّجَرِبَةَ فَقَدْ أَضَاعَ عَقْلَهُ وَرَأْيَهُ .

وقد سبق القولُ في المودة ، وذكرنا قولهم : الصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ ، وَالْأَخُ

نَسِيبُ الْجِسْمِ . وسبق القولُ في اللال .

وقال العباس بن الأحنف :

لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَكُنَّ عَابِدَتِي أَمَلِي رِضَاكِ وَزَرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ

لَكُنْ مَلَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لِي حِصْلَةٌ صَدُّ الْمُلُولِ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ

(١) جمع أنوك ؛ وهو الأحمق .

الأصل :

عُجِبَ للرَّءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ .

الشرح :

قد تقدّم القول في العُجْب ، ومعنى هذه الكلمة أن الحاسد لا يزال مجتهدا في إظهار معائب المحسود وإخفاء محاسنه ، فلما كان عُجِبَ الإنسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه .
وكان يقال : مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَطُ عَلَيْهِ .
وقال مطرّف بن الشَّخِير : لَأَنْ أَيْتَ نَأْتِمَا ، وَأَصْبَحَ نَادِمَا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَيْتَ قَاتِمَا وَأَصْبَحَ نَادِمَا ^(١) .

(٢٠٩)

الأضل :

أَغْضِي عَلَى الْقَدَى وَالْأَلَمِ تَرْضَى أَبَدًا .

الشبنج :

نظير هذا قول الشاعر :

وَمَنْ لَمْ يُغْمَضْ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَابٌ

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهًا كَلَّ عَنَّا بِحَسَدِهَا وَلَا يَعْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبَ

وقال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ وَأَيَّ النَّاسِ تَصِفُو مُشَارِبُهُ^(١)!

وكان يقال : اغض عن الدهر وإلا صرعتك .

وكان يقال : لا تحارب الأيام وإن جنحت دون مطلوبك منها ، واصحبها بسلاسة

القياد ، فإنك إن تصحبها بذلك تعطيك بعد المنع ، وتلين لك بعد القساوة ؛ وإن أبيت عليها قادتك إلى مكروه ضروفيها .

الأصل :

مَنْ لَانَ عُرْدَهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ .

الشرح :

تَكَادُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَنْ تَكُونَ إِيمَاءً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ^(١) ؛ وَمَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنَّ مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ ، وَلَانَتْ كَلِمَتُهُ ، كَثُرَ مَحَبُّوهُ وَأَعْوَانُهُ وَأَتْبَاعُهُ .

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ : « مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ ، وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ » .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ^(٢) ، وَأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مُطَابِقٌ لِلْقَوَاعِدِ الْحِكْمِيَّةِ ، أَعْنَى الشَّجَرَةِ ذَاتِ الْأَغْصَانِ حَقِيقَةٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبَاتَ كَالْحَيَوَانَ فِي الْقَوَى النَّفْسَانِيَّةِ ، أَعْنَى الْغَاذِيَّةِ وَالْمَنْعِيَّةِ ، وَمَا يَخْدُمُ الْغَاذِيَّةَ مِنَ الْقَوَى الْأَرْبَعِ ؛ وَهِيَ الْجَاذِبَةُ ، وَالْمَاسِكَةُ ، وَالِدَافِعَةُ ، وَالْمَاهِاضَةُ ؛ فَإِذَا كَانَ الْيَبَسُ غَالِبًا عَلَى شَجَرَةِ كَانَتْ أَغْصَانُهَا أَخْفَ ، وَكَانَ عُرْدُهَا أَدْقَ ، وَإِذَا كَانَتْ الرُّطُوبَةُ غَالِبَةً كَانَتْ أَغْصَانُهَا أَكْثَرَ ، وَعُرْدُهَا أَغْلَظَ ؛ وَذَلِكَ لِاقْتِضَاءِ الْيَبَسِ الذَّبُولَ ، وَاقْتِضَاءِ الرُّطُوبَةِ الْغِلَظَ وَالْعِمَالَةَ وَالضَّخَامَةَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي غَلَبَ الْيَبَسُ عَلَى مَزَاجِهِ ، لَا يَزَالُ مَهْلُوسًا ^(٣) نَحِيفًا ، وَالَّذِي غَلَبَتْ الرُّطُوبَةُ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ ضَخْمًا عَقِيلًا .

الأصل :

أَخْلَافٌ يَهْدِمُ الرَّأْيَ .

السنخ :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : « لا رأى لمن لا يطاع » .
ويروى : لا إمرة لمن لا يطاع .

وفي أخبار قصير وجذيمة : « لو كان يطاع لقصير أمر » .
وكان يقال : اللجاج يشحذ الزُّجاج ، وبشر العجاج .
وقال دريد بن الصمة .

أمرتهمُ أمرى بمنمرج اللوى فلم يستبينوا النضح إلا ضحى الغد^(١)

فلمّا عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنقى غير مهتدى

وكان يقال : أهدى رأى الرجل مانفذ حكمه ، فإذا خولف فسد .

ومن كلام أفلاطون : اللجاج عسر انطباع العقولات في النفس ، وذلك إما لفرط

حدة تكون في الإنسان ، وإما لغلظ طبع فلا ينقاد للرأى^(٢) .

الأصل :

مَنْ نَالَ أَسْتَطَالَ .

البرزخ :

يحوز أن يريد به : مَنْ أَثَرَى وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا حَقًّا اسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ .

ويحوز أن يريد به : مَنْ جَادَ اسْتَطَالَ بِجُودِهِ .

يقال : نالني فلان بكذا أي جاد به عليّ ، ورجل نال ، أي جواد ذو نائل ، ومثله^(١)

رجل طان أي ذو طين ، ورجل مال أي ذو مال .

(٢١٣)

الأصل :

فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ .

الشرح :

معناه لا تُعَلِّم أَخْلَاقَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالتَّجَرُّبَةِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ .
وقديماً قيل :

تَرَى الْفَتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ^(١)

وقال الشاعر :

لَا تَحْمَبْ مِنْ أَمْرٍ حَتَّى تَجْرِبَهُ وَلَا تَذُمَّهُ إِلَّا بِتَجْرِبِهِ

وقالوا : التجربة محك ؛ وقالوا مثل الإنسان مثل البطيخة ، ظاهرها مونتق ، وقد يكون في باطنها العيب والدود ، وقد يكون طعمها حامضاً وتنفهاً .
وقالوا للرجل المجرب يمدحونه : قد آل وائل عليه .

وقال الشاعر يمدح :

ما زال يحابُّ هذا الدهرَ أشْطَرُهُ^(٢) يكون مثمراً طوراً ومثماً

حتى استمرت على شَرِّ مَرِيرَتِهِ مستحكماً الرأي لا قحماً ولا ضرعاً^(٣)

(١) مثل ، وانظر الميداني ١ : ٩١

(٢) يحلب أشطره ؛ أى أنه قد جرب الأمور وعانها ، والكلام على التمثيل .

(٣) في اللسان عن الجوهري : « شيخ قعم ، أى هم ؛ مثل فعل ، وفي حديث ابن عمر : « ابني خادماً لا يكون قعماً فانياً ، ولا صغيراً ضرعاً ، القعم : الشيخ الهرم الكبير » . الضرع : الضاوي الجسم الضعيف .

الأفضل :

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُمِّ الْمَوَدَّةِ .

الْبُزْخُ :

إذا حسدك صديقك على نعمة أُعطيتهَا لم تكن صداقته صحيحة ، فإن الصديق حذاً
من يجرى مجرى نفسك ، والإنسان لم يحسد نفسه .

وقيل للحكيم : ما الصديق ؟ فقال : إنسان ، هو أنت إلا أنه غيرك .
وأخذ هذا المعنى أبو الطيب فقال :

مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بَقْلِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسِوَاهِ (١)
ومن أدعية الحكماء :

الآهَمُ اكْفِنِي بَوَائِقَ الثَّقَاتِ ، واحفظني من كيد الأصدقاء .
وقال الشاعر :

احذر عَدُوَّكَ مَرَّةً واحذر صديقك ألفَ مَرَّةٍ
فلربما انقلب الصديق قُفْ فَكَانَ أَعْرَفَ بِالْمُضَرَّةِ
وقال آخر (٢) :

احسب مودة ما ذق شاب المرارة بالخلاوة (٣)

(٢) : « غيره » .

(١) ديوانه ١ : ٤

(٣) الماذق : الذي يخلط الود بغيره .

يحصي الذنوب عليك أيتام الصداقة للعداوة

وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة ، فقال : ذاك رجل ليس له صديق في السر
ولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

إذا كان دَوَّاماً أخوك مصارماً موجّهةً في كلّ أوبٍ ركائبه
نفلٌ له ظهر الطريق ولا تكن مطية رحالٍ كثير مذهبها



مركز تحقيقات كتابية و نشر علوم اسلامی

الأصل :

أكثر مصارع العقول تحت برؤوف المطامير .

البرخ :

قد تقدم منا قول في هذا المعنى^(١) .

ومنه قول الشاعر^(٢) :

طيمت بلى أن تريع وإثما^(٣) تقطع أعناق الرجال المطامير^(٤)
وقال آخر .

إذا حدثتك النفس أنك قادرٌ على ماحوت أيدي الرجال فكذب
وإياك والأطماع إنَّ وعودها رقارِقُ آلٍ أو بوارِقُ خلب^(٥)

(١) هو المجنون ، ديوانه ١٨٦ ، وينسب لقيس بن خريح ؛ وينسب أيضاً للبيث ، وانظر تخريجه في الديوان .

(٢) تريع : ترجع وتعود ؛ كذا فصره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت ونسبه إلى البيث

(٣) بعده في الديوان :

ودانيت ليلى في خلاء ولم يكن شهود على ليلى عدول مقانع

(٤) الرقارِق : السراب .

الأصل :

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّانِّ .

البرج :

هذا مثل قول أصحاب أصول الفقه : لا يجوز نسخ القرآن والسنة المتواترة بخبر الواحد ، لأن المظنون لا يرفع المعلوم .

ولفظ الثقة هاهنا مرادف للفظ العلم ، فكأنه قال : لا يجوز أن يزال ما علم بطريق قطعية لأمر ظني .

فإن قلت : أليس البراءة الأصلية معلومة بالعقل ، ومع ذلك تُرفع بالأمارات الظنية كأخبار الآحاد ؟

قلت : ليست البراءة الأصلية معلومةً بالعقل مطلقاً ، بل مشروطة بعدم ما يرفعها من طريق علمي أو ظني ، ألا ترى أن أكل الفاكهة وشرب الماء معلوم بالعقل حسنه ، ولكن لا مطلقاً ، بل بشرط انتفاء ما يقتضي قبحه ، فإننا لو أخبرنا إنساناً أن هذه الفاكهة أو هذا الماء مسموم لتبجح منا الإقدام على تناولها ، وإن كان قول ذلك المخبر الواحد لا يفيد العلم القطعي^(١) .

الأصل :

بَشِّرَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ ، الْعَدُوَّ أَنْ عَلَى الْعِبَادِ .

الشرح :



قد تقدم من قولنا^(١) في الظلم والعدوان ما فيه كفاية .
 وكان يقال : عَجِبَا لِمَنْ عُوْمِلَ فَتُضَلِّمُ ، إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يُظْلَمُ ، وَأَعْجَبَ مِنْهُ مَنْ
 عُوْمِلَ فَتُظْلِمُ إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يُظْلَمُ !
 وكان يقال : العدو وعدوان : عدوٌّ ظلمته ، وعدوٌّ ظلمك ، فإن اضطرارك الدهرُ إلى
 أحدهما فاستعن بالذي ظلمك ، فإن الآخر موشور .

الأصل :

مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفَلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

الشرح :



كان يقال : التغافل من السؤدد .

وقال أبو تمام :

يس النقي بسيد في قومه لكن سيّد قومه المتفاني^(١)

وقال طاهر بن الحسين بن مصعب :

ويكفيك من قوم شواهد أسرىم نخذ صفوهم قبل امتحان الضائر

فإن امتحان القوم يوحش منهم وما لك إلا ما ترى في الفلّواهر

وإنك إن كشفت لم تر مخلصا وأبدى لك التجريب حيث السرائر

وكان يقال : بعض^(٢) التغافل فضيلة ، وتتمام الجود الإمساك عن ذكر المواهب ،

ومن السكّوم أن تصفح عن التوبيخ ، وأن تلمس ستر^(٣) هتك الكريم .

(٢) ساقطة من ١

(١) ديوانه ١ : ٩٣

(٣) الستر : تغطية الشيء ؛ وفي الحديث : « إن الله يحب الستر » .

الأصل :

مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ ، كَمْ يَرِ النَّاسُ عَيْبَهُ .

• الشرح :

قد سبق منا قول كثير في الحياء .



[فصل في الحياء وما قيل فيه]

وكان يقال : الحياء تمام الكرم ، والحلم تمام العقل .

وقال بعض الحكماء : الحياء انقباض النفس عن القباح ، وهو من خصائص الإنسان ، لأنه لا يوجد في الفرس ولا في الفم والبقر ، ونحو ذلك من أنواع الحيوانات ، فهو كالضحك الذي يختص به نوع الإنسان ، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء ، وقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح ، فلا يكون كالبهيمة ، وهو خلق مركب من جن وعفة ، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً ، ولا الفاسق مستحيًا^(١) لتنافي اجتماع العفة والفسق ، وقلما يكون الشجاع مستحيًا والمستحي شجاعاً لتنافي اجتماع الجن والشجاعة ، ولميزة وجود ذلك ما يجمع الشراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول القائل :

يَجْرِي الْحَيَاءُ الْقَضُّ مِنْ قَسَمَاتِهِمْ فِي حِينٍ يَجْرِي مِنْ أَكْفِهِمُ الدَّمُّ

(١) ب : « مستحي » .

وقال آخر :

كريمٌ يَغُضُّ الطرفَ فضلُ حياته ويدنو وأطرافُ الرِّماحِ دوانِ

ومتى قصد به الاتقياض فهو مدحٌ للصبيان دون المشايخ ، ومتى قصد به ترك القبيح فهو مدح لكل أحد ، وبالاختبار الأول قيل : الحياء بالأفاضل قبيح ، وبالاختبار الثاني ورد : إن الله يستحي من ذي شَيْبَةٍ في الإسلام أن يعدَّبه ، أى يترك تعذيبه ، ويستقبح لكرمه ذلك .

فأما الخجل فخيرة تَلَحُّقُ النفسَ فَرَطُ الحياء ، ويحمد في النساء والصبيان ويُدَمُّ بالاتفاق في الرجال ،

فأما القِيحة فذمومة بكلِّ لسان ، إذ هي انسلاخ من الإنسانية ، وحقيقتها لجأجُ النفس في تعاطي القبيح ، واشتقاقها من حافِرٍ وقَّاحِ أى صُلْب .

ولهذه المناسبة قال الشاعر :

يا ليت لي من جِلْدِ وجهك رُقعةً فأعدُّ منها حافِراً للأشهبِ

وما أصدق قول الشاعر :

صَلابةُ الوجه لم تغلبْ على أحدٍ ، إلّا تكامل فيه الشرُّ واجتمعا

فأما كيف يكتسب الحياء ، فمن حقِّ الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصورَ أجلَّ من نفسه أنه يراه ، فإنَّ الإنسانَ يستحي من يكبر في نفسه أن يطلع على عيبه ولذلك لا يستحي من الحيوان غير الناطق ، ولا من الأطفال الذين لا يميِّزون ، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل ، ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد ، والذين يستحي الإنسان منهم ثلاثة : البشر ، ونفسه ، والله تعالى : أما البشر فهم أكثر

من يستحي منه الإنسان في غالب الناس ، ثم نفسه ، ثم خالقه ، وذلك لقلة توفيقه وسوء اختياره .

واعلم أن من استحيًا من الناس ولم يستحي من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره ، ومن استحيًا منهما ولم يستحي من الله تعالى فليس عارفاً ، لأنه لو كان عارفاً بالله لما استحيًا من المخلوق دون الخالق ، ألا ترى أن الإنسان لا بد أن يستحي من الذي يعظمه ويعلم أنه يراه أو يستمع بخره فيبيكته ، ومن لا يعرف الله تعالى كيف يستعظمه ! وكيف يعلم أنه يطالع عليه ! وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « استحيوا من الله حق الحياء » ، أمر في ضمن كلامه هذا بمعرفة سبحانه وحث عليها ، وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ^(١) ﴾ ، تنبيها على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحيًا من ارتكاب الذنب .

وسئل الجنيد رحمه الله عما يتولد منه الحياء من الله تعالى ؟ فقال : أن يرى العبد آلاء الله سبحانه ونعمه عليه ، ويرى تقصيره في شكره .
فإن قال قائل : فما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ فَلَا إِيمَانَ لَهُ » .

قيل له : لأن الحياء أول ما يظهر من أمارات العقل في الإنسان ، وأما الإيمان فهو آخر المراتب ، ومحال حصول المرتبة الأخيرة لمن لم تحصل له المرتبة الأولى ، فالواجب إذن أن من لا حياء له فلا إيمان له .

وقال عليه السلام : « الحياء شعبة من الإيمان » .

وقال : « الإيمان عُرْيَان ، ولباسه التقوى ، وزينته الحياء » .

الأصل :

بِكثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ؛ وَبِالنِّصْفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ ، وَبِالْإِفْضَالِ تَنْظُمُ
الْأَقْدَارُ ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَنْمُو النِّعْمَةُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ
يُقَهَّرُ الْمَنَاوِي ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ .



الشرح :

قال يحيى بن خالد : ما رأيت أحداً قط صامتا إلا هيبته حتى يتكلم ، فإما أن تزداد
تلك الهيبة أو تنقص . ولا ريب أن الإنصاف سبب انعطاف القلوب إلى النصف ، وأن
الإفضال والجود يقتضي عظم القدر ، لأنه إناعم ، والمنعم مشكور ، والتواضع طريق إلى
تمام النعمة ، ولا سودد إلا باحتمال المؤن ؛ كما قال أبو تمام :

والحدُّ شَهْدٌ لَا تَرَى مُشْتَارَهُ يَجْنِيهِ إِلَّا مَنْ تَبِعَ الْخَنْظَلَ^(١)

غُلٌّ لِحَامِلِهِ وَتَحْسَبُهُ الَّذِي لَمْ يَوْهْ عَاتِقَهُ خَفِيفَ الْحَمَلِ

والسيرة العادلة سبب لقهر الملك الذي يسير بها أعداءه ، ومن حلم عن سفيه وهو
قادر على الانتقام منه نصره الناس كلهم عليه ، وانفقوا كلهم على ذم ذلك السفيه وتقبيح
فعله^(٢) ؛ والاستقراء واختبار العادات تشهد بجميع ذلك .

(١) ديوانه ٣ : ٤٢

(٢) ب : « فقله » تصحيف .

الأصل :

العَجَبُ لِنَفْثَةِ الْحَسَادِ ، عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ !

الشرح :

إنما لم يحسد الحاسد على محبة الجسد لأنه صحيح الجسد ، فقد شارك في الصحة ، وما يشارك الإنسان غيره فيه لا يحسده عليه ، ولهذا أرباب الحسد إذا مرضوا حسدوا الأحماء على الصحة .

فإن قلت : فلماذا تعجب أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قلت : لكلامه عليه السلام وجه ، وهو أن الحسد لما تمكن في أربابه ، وصار غريزة فيهم ، تعجب كيف لا يتعدى هذا الخلق الذميم إلى أن يحسد الإنسان غيره على ما يشاركه فيه ؛ فإن زيدا إذا أبض عمرا أبضا شديدا وقد أن تزول عنه نيته إليه ، وإن كان ذا نيّة كنيته^(١) ، بل ربما كان أقوى وأحسن حالا .

ويحوز أن يراد معنى آخر ، وهو تعجبه من غفلة الحساد ؛ على أن الحسد مؤثر في سلامة أجسادهم ، ومقتضى سقمهم ، وهذا أيضا واضح .

(١) : « مثل نيته » .

(٢٢٢)

الأصل :

الطامعُ في وثاقِ الدُّلِّ .

الشرح :



من أمثال البُخترى قوله :

والْيَاسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى تَمِبًا كَظَنِّ الْحَاشِبِ الْمَكْدُودِ^(١)
وكان يقال : ما طمعت إلا وذلت .. يعنون النفس .
وفي البيت المشهور :

* تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الطَّامِعُ^(٢) *

وقالوا: عَزَّ مِنْ قَنِعٍ ، وَذَلَّ مِنْ طَمِيعٍ .

وقد تقدّم القولُ في الطمع مرارا .

(١) ديوانه ١ : ١٢٧

(٢) للمجنون ، ديوانه ص ١٨٦ ، وصدره :

* طَمِيعَتٌ بَلَيْلَى أَنْ تُرْبِعَ وَإِنَّمَا *

الأصل :

وقال عليه السلام وقد سئل عن الإيمان :

الإيمان معرفةً بالقلب ، وإقرارٌ باللسان ، وعملٌ بالأركان .

الشرح :

قد تقدم قولنا في هذه المسألة .

وهذا هو مذهب أصحابنا المعتزلة بمثنيه ، لأن العمل بالأركان عندنا داخلٌ في معنى الإيمان - أعني فعل الواجبات ، فمن لم يعمل لم يسم مؤمناً وإن عرّف بقلبه وأقرّ بلسانه ؛ وهذا خلاف قول المرجئة من الأشعرية والإمامية ، والخشوية ^{بدي}

فإن قلت : فما قولك في النوازل : هل هي داخلّة في معنى الإيمان أم لا ؟

قلت : في هذا خلافٌ بين أصحابنا ، وهو مستقصى في كتيبي ^(١) الكلامية .

الأضل :

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا ، فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاطِئًا .
وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَشْكُو رَبَّهُ .
وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِفِنَاءِهِ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ .

وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ؛ فَهُوَ كَانَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا .
وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْفَاطِطِ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ : هَمٌّ لَا يُضِيئُهُ ، وَحِرْمَانٌ
لَا يَنْزِكُهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَدْرِكُهُ .

مركز تحقیقات کتب ویراث علوم اسلامی

البنح :

إِذَا كَانَ الرِّزْقُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرَهُ ، فَمِنْ حَزَنٍ لِقَوَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَدْ سَخِطَ قَضَاءُ اللَّهِ
وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ ، لِأَنَّ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَاجِبٌ ، وَكَذَلِكَ مِنْ شَكَا مُصِيبَةٍ حَلَّتْ بِهِ ؛ فَإِنَّمَا
يَشْكُو فَاعِلَهَا لَا هِيَ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ بِهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا ، وَفَاعِلُهَا هُوَ اللَّهُ ، وَمَنْ أَشْتَكَى
اللَّهُ فَقَدْ عَصَاهُ ؛ وَالتَّوَاضُّعُ لِلْأَغْنِيَاءِ تَعْظِيمٌ لِفِنَائِهِمْ أَوْ رَجَاءُ شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ فِشْقٌ .

وَكَانَ يُقَالُ : لَا يُحَمَّدُ النَّبِيَّ إِلَّا مَنْ تَقَدَّرَ عَلَى غِنَى .

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ » ، فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ
آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا .

فَلِمَ قَائِلُ أَنْ يَقُولَ : قَدْ يَكُونُ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ لَيْسَ بِمُتَّخِذٍ لَهُ هُزُوءًا ، وَيَقْرُؤُهُ ثُمَّ

يدخل النار ، لأنه أتى بكبيرة أخرى نحو القتل والزنا والفرار من الزحف
وأمثال ذلك !

والجواب أن معنى كلامه عليه السلام هو أن من قرأ القرآن فبات قد دخل النار
لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً ، أي يقرؤه هازئاً به ، ساخراً
منه ، مستهيناً بمواعظه وزواجره ، غير معتقد أنه من عند الله .

فإن قلت : إنما دخل من ذكرت النار ؛ لا لأجل قراءته القرآن ، بل لهزئه به ،
وجحوده إياه ، وأنت قلت : معنى كلامه أنه من دخل النار لأجل قراءته القرآن
فهو ممن كان يستهزئ بالقرآن !

قلت : بل إنما دخل النار لأنه قرأه على صفة الاستهزاء والسخرية ، ألا ترى أن
الساجد للضمم يُعاقب لسجوده له على جهة العبادة والتعظيم ، وإن كان لولا ما يحدثه مضافاً
للسجود من أفعال القلوب لما عُوقب .

ويمكن أن يحمل كلامه عليه السلام على تفسير آخر ، فيقال : إنه عني بقوله : إنه
كما كان ممن يتخذ آيات الله هزواً : أنه يعتقد أنها من عند الله ، ولكنه لا يعمل بموجبها
كما يفعل الآن كثير من الناس .

قوله عليه السلام : « التناط بقلبه » أي لصق . ولا يُغيبه ، أي لا يأخذه غيباً ، بل
يلزمه دائماً ، وصدق عليه السلام فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وحب الدنيا هو
الموجب للهيم والغم والحرص والأمل والخوف على ما اكتسبه أن ينفد ، والشح بما
حوّت يده ، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة .

(٢٢٥)

الأصل :
كُنِيَ بِالقَنَاعَةِ مُلْكًا ، وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا .

الْبَيْتُ :

قد تقدم القول في هذين ، وهما القناعة وحسن الخلق .
وكان يقال : يستحق الإنسان من حسن خلقه ، ويكاد السقي الخلق يعدّ
من السباع .

وقال بعض الحكماء : حدّ القناعة هو الرضا بما دون الكفاية ، والزهد : الاقتصار
على الزهد ، أي القليل ، وهما متقاربان ، وفي الأغلب إنما الزهد هو رَفْضُ الأمور
الدنيوية مع القدرة عليها ؛ وأما القناعة فهي إلزام النفس الصبر عن المشتبهات التي
لا يقدر عليها ، وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد ، وليس بزهد ، وكذلك
قال بعض الصوفية : القناعة أول الزهد ، تنبئها على أن الإنسان يحتاج أولاً إلى قدح
نفسه وتخصّصه بالقناعة ليسهل عليه تعاطي الزهد ، والقناعة التي هي الغنى بالحقيقة ، لأن
الناس كلهم فقراء من وجهين : أحدهما لأفتقارهم إلى الله تعالى كما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ^(١) .

والثاني لكثرة حاجاتهم فأغناهم لا بحالة أقلهم حاجة ، ومن سدّ مفارقة بالمقننات
فما في أنسدادها مطمع ، وهو كمن يرقع الخرق ، بالخرق ومن يسدّها بالاستغناء عنها
بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضروريّاته فهو الغني المقرّب من الله سبحانه ، كما أشار
إليه في قصة طالوت : ﴿ إِنْ أَلَّهَ مَبْدِيكُمْ فَبَرِّهْ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ
يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ ^(٢) ، قال أصحاب المعاني والباطن : هذا
إشارة إلى الدنيا .

الأصل :

وسئل عليه السلام عن الله عز وجل : ﴿ فَلتُخَيِّبَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ ^(١) ، فقال :
هي القنَاعَةُ .

التبسيط :

لا ريب أن الحياة الطيبة هي حياة الغني ، وقد بينا أن الغني هو القنوع ، لأنه
إذا كان الغني عدم الحاجة فأغنى الناس أفلهم حاجة إلى الناس ، ولذلك كان الله تعالى
أغنى الأغنياء ، لأنه لا حاجة به إلى شيء ، وعلى هذا دلّ النبي بقوله صلى الله عليه وآله :
« ليس الغني بكثرة العرض ، إنما الغني غنى النفس » .

وقال الشاعر :

فمن أشرب اليأس كان الفنى ومن أشرب الحرص كان الفقير

وقال الشاعر :

غنى النفس ما يكفيك من سدّ خلّة فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا
وقال بعض الحكماء : الخير بين أن يستغنى عن الدنيا وبين أن يستغنى بالدنيا
كالخير بين أن يكون مالكا أو مملوكا .

ولهذا قال عليه السلام : « تمس عبدُ الدُّنْيَا والدُّرْهَمِ ، تمس فلا أنتقمش ، وشيكٌ

فلا أنتقمش » ^(٢) .

(٢) ب : « شيك » تحريف ، قاله ابن الأثير : أى إذا دخلت

(١) سورة النحل ٩٦

فيه شوك لا أخرجه من موضعها ، وبه سمى المنقاش الذى ينتقمش به .

وقيل لحكيم : لم لا تَنتم ؟ قال : لأني لم ألتخذ ما يَغْنِي فَقْدَهُ .

وقال الشاعر :

فَمَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَرَى مَا يَسُوهُ . فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا

وقال أصحابُ هذا الشأن : القناعة من وجهٍ صَبْر ، ومن وجهٍ جُود ، لأنَّ الجودَ ضَرْبان : جودٌ بما في يدك منتزعا ، وجودٌ عما في يد غيرك متورعا ، وذلك أشرفهما ، ولا يحصل الزهد في الحقيقة إلَّا لمن يَعْرِف الدُّنْيَا ما هي ؟ وَيَعْرِفُ عيوبَهَا وآفاتِهَا ، وَيَعْرِفُ الآخرةَ وأفتقاره إليها ، ولا بدَّ في ذلك من العلم ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٣﴾ .

مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

ولأنَّ الزَّاهِد في الدنيا راغِبٌ في الآخرة وهو يَبِيعُهَا بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (٣) الآية .

والكَيْس لا يَبِيعُ عَيْنًا بِأَثَر ، إلَّا إذا عَرَفَهَا وَعَرَفَ فَضْلَ مَا يَتَنَاعُ على ما يَبِيع .

الأصل :

شاركوا الذين قد أقبل عليهم الرزق ، فإنه أخلق للمنى ، وأجدر
بإقبال الحظ .

الشرح :

قد تقدم القول في الحظ والبخت .

وكان يقال : الحظ بعدى كما بعدى الجرب ، وهذا يطابق كلمة أمير المؤمنين عليه
السلام ، لأن مخالطة المجدود ليست كمخالطة غير المجدود^(١) ، فإن الأولى تقتضى
الاشتراك في الحظ والسعادة ، والثانية تقتضى الاشتراك في الشقاء والحزمان .
والقول في الحظ وسيع جداً .

وقال بعضهم : البخت على صورة رجل أعمى أصم أخرس ، وبين يديه جواهر
وحجارة ، وهو يرى بكلتا يديه .

وكان مالك بن أنس قتيبة المدينة ، وأخذ الفقه عن الليث بن سعد ؛ وكانوا
يزدحمون عليه والليث جالس لا يلتفتون إليه ، فقيل لليث : إن مالكاً إنما أخذ
عنك فمالك خاملاً وهو أئبه الناس ذكراً ؛ فقال : دانق بخت خبر من جلي
بختي تحمل علماً .

وقال الرضى :

أسيغ الغيظ من نوب الليالى	وما يحفدن بالحنق الغيظ ^(٢)
وأرجو الرزق من خرفى دقيقى	يسد بسلك حرمان غليظ ^(٣)
وأرجع ليس فى كفى منه	سوى عى اليدى على الحفاوظ

(١) عبارة د : « ليست كمخالطة المجدود » ، وبها يستقيم المعنى أيضاً .

(٢) ديوانه ١ : ٤٥٣ (٢) فى الديوان : « من خرت » ، والخرت : التلب

الأصل :

وقال عليه السلام في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(١) : العَدْلُ الإنصافُ ، والإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ .

الشرح :

هذا تفسيرٌ صحيحٌ اتفق عليه المفسرون كافة ، وإنما دخل النَّدْبُ تحت الأمر لأن له صفةً زائدة على حسنه ، وليس كالمباح الذي لا صفة له زائدة على حسنه .

وقال الزمخشري : العَدْلُ هو الواجب ، لأن الله عز وجل عدل فيه على عباده ، فجعل ما قرضه عليهم منه واقعاً تحت طاعتهم ، والإحسان النَّدْبُ ، وإنما علق أمره بهما جميعاً ؛ لأنَّ القرض لا بد أن يقع فيه تفريط ، فيجبره النَّدْبُ ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لإنسان علمه الفرائض فقال : والله لا زدت فيها ولا نقصت منها : « أفلح إن صدق ، فمقدَّ الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط » وقال صلى الله عليه وآله : « استقيموا ، ولن تحصوا » ، فليس ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل^(٢) .

ولقائل أن يقول : إن كان إنما سمي الواجب عدلاً لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف فليسم النَّدْبُ عدلاً لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف ، وأما قوله : إنما أمر بالنَّدْبِ لأنه يجبر ما وقع فيه التفريط من الواجب ، فلا يصح على مذهبه ، وهو من أعيان المعتزلة لأنه لو جبرت النافلة بالتفريط في الواجب لكانت واجبةً مثله ، وكيف يقول الزمخشري هذا ومن قول مشايخنا إن تارك صلاة واحدة من الفرائض لو صلى مائة ألف ركعة من النوافل لم يكفر ثوابها عقاب ترك تلك الصلاة !

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

ومعنى ذلك أن ما يُنْفَعُ المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيراً فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً ؛ واليدان هاهنا عبارة ^(١) عن النعمتين ففرق عليه السلام بين نعمة العبد ونعمة الرب تعالى ذكره ، بالقصيرة والطويلة ، فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة ، لأن نعم الله أبداً تُضَعَّفُ على نعم المخلوقين أضعافاً كثيرة ؛ إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها ، فكل نعمة إليها ترجع ، ومنها تُزَعَّجُ .

الشرح :

هذا الفصل قد شرحه الرضى رحمه الله ، فإني عن التعرض بشرحه .

(١) في ب : « عبارتان » تعريف .

الأصل :

وقال عليه السلام لابنه الحسن : لا تدعون إلى مبارزة ، فإن دُعيت إليها فأجب ؛
فإن الداعي إليها باغ ، والباغي مضرور .

الشرح :

[مثل من شجاعة علي]

قد ذكر عليه السلام الحكمة ، ثم ذكر الملة ، وما سمعنا أنه عليه السلام دعا إلى
مبارزة قط ، وإنما كان يدعى هو بعينه ، أو يدعو من يبارز ، فيخرج إليه فيقتله ، دعا
بنو ربيعة بن عبد بن شمس بنى هاشم إلى البراز يوم بدر ، فخرج عليه السلام قتل الوليد
واشترك هو وحمزة عليه السلام في قتل عتبة ، ودعا طلحة بن أبي طلحة إلى البراز يوم
أحد ، فخرج إليه فقتله ، ودعا مرحب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله .

فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبدود فإنها أجل من أن يقال
جيلة ، وأعظم من أن يقال عظيمة ، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأل سائل : أيتها
أعظم منزلة عند الله ، على أم أبو بكر ؟ فقال : يا بن أخي ، والله لمبارزة علي عموما يوم الخندق
تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وترى عليها فضلا عن أبي بكر وحده . وقد
روى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا ، بل ما هو أبلغ منه ، روى قيس بن الربيع عن
أبي هارون العبدى ، عن ربيعة بن مالك السعدى ، قال : أتيت حذيفة بن اليمان فقلت :
يا أبا عبد الله ، إن الناس يستحدثون^(١) عن علي بن أبي طالب ومناقبه ، فيقول لهم أهل

البصيرة : إنكم لتفرطون في تقيظ هذا الرجل ، فهل أنت محدثٌ بحديثٍ عنه أذكرُ للناس ؟ فقال : يا ربعة ، وما الذي تسألني عن عليٍّ ، وما الذي أحدثك عنه ! والذي نفسُ حذيفة بيده لو وُضِعَ جميعُ أعمالِ أمةِ محمدٍ صلى الله عليه وآله في كِفَّةٍ الميزان مُنْذُ بَعَثَ اللهُ تعالى محمداً إلى يومِ الناس هذا ، ووُضِعَ عملٌ واحدٌ من أعمالِ عليٍّ في الكِفَّةِ الأخرى لَرَجَّحَ على أعمالهم كلها ؛ فقال ربعة : هذا المدح الذي لا يقام له ولا يُقعد ولا يُحمل ، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله ! فقال حذيفة : يا لكع ، وكيف لا يُحمل ! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الملع والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه عليٌّ فقتله ! والذي نفسُ حذيفة بيده كعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمالِ أمةٍ محمدٍ صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء في الحديث المرفوع : « إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال ذلك اليوم حين برز إليه : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » .

وقال أبو بكر بن عيَّاش : لقد ضَرَبَ عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام ضربةً ما كان في الإسلام أَيْمَنَ منها ، ضَرَبَتْهُ عُمَرَا يومَ الخندق ، ولقد ضَرَبَ عليٌّ ضربةً ما كان في الإسلام أشأمَ منها - يعني ضربة ابنِ مُلْجَمَ كَفَنَهُ اللهُ .

وفي الحديث المرفوع أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله لما بَارَزَ عليٌّ عُمَرَا مازال رافعاً يَدَيْهِ مُقْبِحاً^(١) رَأْسَهُ نحوَ السماء ، داعياً رَبَّهُ قَائِلاً : اللهم إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي عَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَحِمَزَةَ يَوْمِ أُحُدٍ ، فَاحْظُ عَلِيَّ الْيَوْمَ عَلِيًّا ، ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾^(٢) .

وقال جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري : والله ما شَبَّهْتُ يومَ الأحزابِ قَتْلَ عليٍّ عَمْرًا

وَتَحَاذِلُ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَهُ ، إِلَّا بِمَا قَصَّهَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قِصَّةِ طَالُوتَ وَجَالُوتَ فِي قَوْلِهِ :
﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾^(١) .

وَرَوَى عَمْرُو بْنُ أَزْهَرَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَتَلَ
عَمْرًا اجْتَزَأَ رَأْسَهُ وَحَمَلَهُ فَالْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ
قَبْلًا رَأْسَهُ ، وَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِتَهْلِيلٍ ، فَقَالَ : هَذَا النَّصْرُ ! أَوْ قَالَ :
هَذَا أَوَّلُ النَّصْرِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ يَوْمَ قَتَلَ عَمْرُو :
« ذَهَبَتْ رِيحُهُمْ ، وَلَا يَفْزُونَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَنَحْنُ نَفْزُوهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .



[قِصَّةُ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ]

وَيَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرُ مُلَخَّصَ هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ وَابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَا : خَرَجَ
عَمْرُو بْنُ عَبْدِوَدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَقَدْ كَانَ شَهِيدَ بَدْرٍ فَارْتُثَ^(٢) جَرِيحًا ، وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا ،
فَحَضَرَ الْخَنْدَقَ شَاهِرًا سَيْفَهُ^(٣) مَعْلًا ، مُدْرِيًا بِشَجَاعَتِهِ وَبَأْسِهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ ضَرَارُ بْنُ
الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ وَعِكَرْمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ وَنَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنُ الْمَغِيرَةِ الْحَزْزَمِيُّ ، فَطَافُوا بِخِيُولِهِمْ عَلَى الْخَنْدَقِ إِصْعَادًا وَانْحِدَارًا ، يَطْلُبُونَ مَوْضِعًا
ضَيِّقًا يَعْبرُونَهُ ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَى أَضْيَقِ مَوْضِعٍ فِيهِ فِي الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَزَارِ ،
فَاكْرَهُوا خِيُولَهُمْ عَلَى الْعُبُورِ فَعَبَرَتْ ، وَصَارُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ وَرَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ قِيَامٌ عَلَى رَأْسِهِ ، فَتَقَدَّمَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِوَدٍ فَدَعَا

(٢) ارتث : حل من المعركة جريحاً وبه رمق

(١) سورة البقرة ٢٥١

(٣) ب : « نفسه » تحريف .

إلى البراز مسرّرا ، فلم يَقم إليه أحد ، فلما أكثَرَ ، قام عليّ عليه السلام فقال : أنا أهازّه
 يا رسول الله ، فأمره بالجلوس ، وأعاد عمرو النداء والناس سُكوت كأنّ على رؤوسهم
 الطير ، فقال عمرو : أيّها الناس ، إنكم تزعمون أنّ قتلاكم في الجنة وقتلانا
 في النار ، أفما يحبّ أحدكم أن يُقدم على الجنة أو يُقدّم عدوّه إلى النار ؟
 فلم يَقم إليه أحد ، فقام عليّ عليه السلام دفعةً ثانية وقال : أنا له يا رسول الله ، فأمره
 بالجلوس ، فجال عمرو بفرسه مُقبِلا ومدبرا ، وحامت عظام الأحزاب فوقفت من
 وراء الخندق ومدّت أعناقها تنظر ، فلما رأى عمرو أنّ أحدا لا يجيبه ، قال :

ولقد بُحِثْتُ من النداء بجمعهم : هل من مُبارز !
 ووقفتُ مذجّبن المشيخ موقفاً القرن المناجزُ
 إني كذلك لم أزل متسرّعا قبل الهزاهزُ
 إنّ الشجاعة في الفتى والجود من خير الفرائزُ

فقام عليّ عليه السلام فقال : يا رسول الله ، أئذن لي في مُبارزته ؟ فقال : اذن ،
 فدنا قتلده سيفه ، وعمّه بعمامة ، وقال : امضِ لشأنك ، فلما انصرف قال : « اللهم أعنه
 عليه » ، فلما قُرب منه قال له مجيبا إياه عن شعره :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
 ذونية وبصيرة برجو بذاك نجاة فاز
 إني لأمل أن أقسم عليك نائمة الجنائز
 من ضربة فوهاً يسقي ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو : من أنت ! وكان عمرو شيخا كبيرا قد جاوز الثمانين ، وكان نديما
 أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية ، فانتسب على عليه السلام له وقال : أنا علي بن
 أبي طالب ، فقال : أجل ، لقد كان أبوك نديما لي وصديقا ، فارجع فإني لا أحب أن

أَقْتَلَكَ - كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النعوى يقول : إذا مررتنا في القراءة عليه بهذا الموضع : والله ما أمره بالرجوع إبقاء عليه ، بل خوفًا منه ، قد عَرَفَ قَتْلَهُ بِبَذَرٍ وَأَحَدٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنَّ نَاحِضَهُ قَتَلَهُ ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يُظْهِرَ الْقَتْلَ ، فَأُظْهِرَ الْإِبْقَاءَ وَالْإِرْعَاءَ ، وَإِنَّهُ لَكَاذِبٌ فِيهِمَا - قالوا : فقال له علي عليه السلام : لكني أحب أن أقُتَلَكَ ، فقال يابن أخى ، إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، فارجع وراءك خير لك ، فقال علي عليه السلام : إن قرئنا تتحدث عنك أنك قلت : لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاثٍ إلا أجبتُ ولو إلى واحدةٍ منها ، قال : أجل ، فقال علي عليه السلام : فإني أدعوك إلى الإسلام ، قال : دع عنك هذه ، قال : فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن تبغك من قريش إلى مكة ، قال : إذن تتحدث نساء قريش عني أن غلامًا خدعني ، قال : فإني أدعوك إلى البراءة ، فلي عمرو وقال : ما كنتُ أظن أن أحدا من العرب يرومها مني ، ثم نزل قصر فرسه - وقيل : ضرب وجهه قرة - ونجولًا ، فطارت لها غيرة وارتمت عن العيون ، إلى أن سمع الناس التكبير طليًا من تحت الغيبة ، فلبوا أن عليًا قتلَهُ ، وانجالت الغيبة عنهما ، وعلي راكب صدره يمز رأسه ، وفر أصحابه ليصبروا الخندق ، ففطرت بهم خيلهم إلا نوفل بن عبد الله ، فإنه قصر فرسه ، فوقع في الخندق ، فرماه المسلمون بالحجارة ، فقال : يا معاشر الناس ، قتلوا أكرم من هذه ، فقل إليه علي عليه السلام فقتله ، وأدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب فضربه فقطع ثفر^(١) فرسه وسقطت درع^(٢) كان حمله من ورائه ، فأخذها الزبير ، وألقى عكرمة راحه ، ونالوش عمرو بن الخطاب ضرار بن عمرو ، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد عمر مس الرمح راحه عنه وقال : إنها كينة مشكورة ، فأحفظها يا ابن الخطاب ، إني كنت آليت ألا أُمَكِّنِي بِدَائِي مِنْ قَتْلِ قُرَيْشٍ فَأَقْتُلَهُ . وانصرف ضرار راجعًا إلى أصحابه ، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد . وقد ذكر هاتين القصةين معًا محمد ابن عمر الواقدي في كتاب المغازي^(٣) .

الأصل :

خيارُ خصالِ النساءِ شرارُ خصالِ الرجالِ : الزُّهْوُ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ ، فَإِذَا
كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَرْهُومَةً لَمْ تُتَسَكَّنْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ بَغِيْلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ
بَعْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرَّقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَغْرَضُ لَهَا



الْمُسْنَج :

أَخَذَ هَذَا النَّصِيحَ الْمُرَاتِي شَاعِرُ الْمُتَجَمُّ قَالَ :

الْجُودُ وَالْإِقْدَامُ فِي فَيْلِهِمْ وَالْبُخْلُ فِي الْقَتَاكِتِ وَالْإِشْفَاقِ
وَالطَّمَنُ فِي الْأَحْدَاقِ حَاسِرُ طَائِفِهِمْ وَالرَّابِيعَاتُ يَسْهَلُهَا الْأَحْدَاقُ

وله :

قَدْ زَادَ طَيْبَ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا مَا لَكَ كِرَامٌ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بُخْلٍ
وَفِي حِكْمَةِ أَفْلَاطُونِ : مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي مَحَبَّةِ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَاتِّفَاقِ مَا بَيْنَهُمَا
أَنْ يَكُونَ صَوْتُهَا دُونَ صَوْتِهِ بِالطَّبِيعِ ، وَتَمَيُّزُهَا دُونَ تَمَيُّزِهِ ، وَقَلْبُهَا أَضْفَ مِنْ قَلْبِهِ ،
فَإِذَا زَادَ مِنْ هَذَا عِنْدَهَا شَيْءٌ عَلَى مَا عِنْدَ الرَّجُلِ تَنَافَرَا عَلَى مَقْدَارِهِ .
وَقَوْلُ : زُهِىَ الرَّجُلُ عَلَيْنَا هُوَ مَرْهُومٌ ، إِذَا انْقَرَضَ ، وَكَذَلِكَ نُحْيَى هُوَ مَتَّخُوٌّ ،
مِنَ النَّخْوَةِ ، وَلَا يَمْوِزُ زَهَاً ^(١) إِلَّا فِي لَفْظِ ضَمِيحَةٍ .
وَفَرَّقَتْ : خَافَتْ . وَالْفَرَقَ : انْلَوَفَ .

(١) عَنْ ابْنِ الْكَيْتِ

الأضل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ ، قَالَ : هُوَ الَّذِي يَضَعُ
الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ .

فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ ، قَالَ : قَدْ قُلْتُ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، يَعْنِي أَنَّ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ،
فَكَأَنَّ تَرْكَ صِفَتِهِ صِفَةً لَهُ ، إِذْ كَانَ بَخْلَافٍ وَصِفِ الْعَاقِلَ .

الْبَرْخُ :

هَذَا مِثْلُ الْكَلَامِ الَّذِي تَنَسَّبَهُ الْعَرَبُ إِلَى الضَّبِّ ، قَالُوا : اخْتَصَمَتِ الضَّبُّعُ وَالشَّعْلَبُ
إِلَى الضَّبِّ ، فَقَالَتِ الضَّبُّعُ : يَا أَبَا الْحِجْلِ (١) إِنِّي التَّقَطْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : طَيِّبَاجِنِي ، قَالَتْ :
وَأَنْ هَذَا أَخْذَهَا مِنِّي ؛ قَالَ : حِظُّ نَفْسِهِ أَحْرَزُ ، قَالَتْ : فَإِنِّي لَطَمْتُهُ ؛ قَالَ : كَرِيمٌ
حَتَّى حَقِيقَتَهُ ، قَالَتْ : فَاطْمَئِنِّي ، قَالَ : حُرٌّ ائْتَصَّرَ ؛ قَالَتْ : اقْضِ بَيْنَنَا ، قَالَ :
قَدْ فَعَلْتُ .

الأصل :

وَاللّٰهُ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَاؤُنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُرَاقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ .

الشرح :

العُرَاق : جمع عَرَقٍ ، وهو العَظْمُ عليه شيءٌ من اللَّحْمِ ، وهذا من الجموع النادرة ، نحو رَجُلٍ وَرُخَالٍ وَتَوَامٍ وَتَوَامٍ^(١) ولا يكون شيءٌ أَحَقَرُ ولا أَبْفَضُ إلى الإنسان من عُرَاقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ ، فإنه لم يَرْضَ بَأَن يَجْعَلْهُ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ - وهو غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّنْفِيرِ - حَتَّى جَعَلَهُ عُرَاقٍ خَنْزِيرٍ .

وَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَّقَ - وما زال صادقاً - وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَتَهُ فِي حَالَتِي خُلُوءٍ مِنَ الْعَمَلِ وَوِلَايَتِهِ الْخُلَافَةِ عَرَفَ صِحَّةَ هَذَا الْقَوْلِ .

(١) ب : « تَام » تحريف .

الأصل :

إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الشُّجَّارِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً
فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ .



الشرح :

هذا مقامٌ جليلٌ تنقاصر عنه قوى أكثر البشر ، وقد شرحناه فيما تقدم ،
وقلنا : إنَّ العبادة لرجاء الثواب تجارة ومعاوضة ، وإنَّ العبادة لخوف العقاب لمنزلة من
يستجدي لسلطانٍ قاهر يخاف سلوته .

وهذا معنى قوله : « عبادة العبيد » ، أى خوف السوط والعصا ، وتلك ليس عبادة
نافعة ، وهى كمن يستنذر إلى إنسان خوف أذاه ورضمته ، لا لأن ما يمتنر منه قبيح
لا ينبى له فعله ، فأما العبادة لله تعالى شكراً لأنعمه فهى عبادة نافعة ، لأن العبادة
شكرٌ مخصوص ، فإذا أوقعها على هذا الوجه فقد أوقعها للموقع الذى وضعت عليه .
فأما أصحابنا المتكلمون فيقولون : ينبى أن يفعل الإنسان الواجب لوجه وجوبه ، ويترك
القبيح لوجه قبحه ، وربما قالوا : يفعل الواجب لأنه واجب ، ويترك القبيح لأنه
قبيح ، والكلام فى هذا الباب مشروح مبسوط^(١) فى الكتب الكلامية .

الأصل :

المرأة شرٌّ كُلُّهَا ، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا .

الشرح :

حَلَفَ إنسانٌ عند بعض الحكماء أَنَّهُ ما دَخَلَ بَابِي شَرٌّ قَطُّ ؛ فقال الحكميم : فَمِنْ
أَيْنَ دَخَلْتَ أَمْرَأَتَكَ !

وكان يقال : أسباب فِتْنَةِ النساءِ ثلاثة : عَيْنٌ فَاطِرَةٌ ، وَصُورَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ ، وَشَهْوَةٌ
قَادِرَةٌ ، فالحكيم من لا يردُّ النظرة حتَّى يعرفَ حقائقَ الصَّورة ؛ ولو أن رجلاً رأى
امرأةً فأعجبته ثم طأَلَبَهَا فأمتعتْ ، هل كان إلَّا تَارِكُهَا ! فإن تَأَبَّى عقله عليه في مُطالَبَتِهَا
كَتَأَبَّى عليها في مُسَاعَقَتِهَا قَدَعَ^(١) نفسه عن لذته قَدَعَ الفَيُورَ إِيَّاهُ عن حُرْمَةِ مُسْلِمٍ .
وكان يقال : من أتعَبَ نفسه في الحلال من النساءِ لم يَتَّقُ إلى الحرامِ مِنْهُنَّ ،
كَالطَّلِيحِ^(٢) مُنَاهُ أَنْ يَسْتَرِيحَ .

(١) قَدَعَ نفسه : منعها واحد من شهواتها .

(٢) الطَّلِيحُ : التعب .

الأصل :

مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ الْحُقُوقَ ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِي ضَيَّعَ الصَّدِيقَ .

الشرح :

قد تقدّم الكلام في التواني والعجز ، وتقدّم أيضا الكلام في الوشاية والسعاية .
ورُفِعَ إلى كسرى أبرويز أن النصارى الذين يحضرون باب الملك يُعرفون
بالنجس إلى ملك الروم ، فقال : مَنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ ذَنْبٌ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عَقُوبَةٌ لَهُ .
ورُفِعَ إليه أن بعض الناس يُسَكِّرُ إصفاة الملك إلى أصحاب الأخبار ، فوقع : هؤلاء
بمنزلة مداخل الضياء إلى البيت المظلم ، وليس تقطع مواد النور مع الحاجة إليه وجه
عند العقلاء .

قال أبو حيان : أما الأصل في التدبير فصحيح ، لأن الملك محتاج إلى الأخبار ، لكن
الأخبار تنقسم إلى ثلاثة أوجه :

خبرٌ يتصل بالدين ، فالواجب عليه أن يُبَالِغَ ويَحْتَاطَ في حِفْظِهِ وحِرَاسَتِهِ وتحقيقِهِ
ونفى القذَى عن طريقه وساحته .

وخبرٌ يتصل بالدولة ورسومها ، فينبغي أن يَتَّقِظَ في ذلك خوفا من كيدٍ ينفذ ،
وبغى يسرى .

وخبر يدور بين الناس في منصرفهم وشأنهم وحالهم ، متى زاحمتهم فيه اضطامنوا

عليك ، وتمنّوا زوال ملكك ، وأرصدوا العداوة لك ، وجهّروا إلى عدوك وفتحوا
له باباً الخبيثة إلى .

وإنما لحق الناس من هذا الخبر هذا العارض ، لأن في منع الملك إياهم عن تصرفاتهم ،
وتقبّعه لهم في حركاتهم ، كَرَبًا على قلوبهم ، ولهيبة في صدورهم ، ولا بدّ لهم في الدهر الصالح
والزمان المعتدل ، وانحصب المتابع ، والسبيل الآمن ، والخير المتصل ؛ من فُكاهة وطيب
وأسترسال وأشر وبَطَر ، وكلّ ذلك من آثار النعمة الدارة ، والقلوب القارة ، فإن
أغضى الملك بصره على هذا القِسم عاش محبوباً ، وإن تنكّر لهم فقد استأسدّهم
أعداء . والسلام .



مركز تحقيقات كتابی و تاریخی اسلام

(٢٣٧)

الأصل :

أَلْحَجَرُ الْغَصْبِ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا .

قال الرضی رحمہ اللہ تعالیٰ :

وَقَدْ رَوَى مَا يُنَاسِبُ هَذَا الْكَلَامَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبِهَ الْكَلَامَانِ فَإِنَّ مُسْتَقَافَهُمَا مِنْ قَلِيلٍ ، وَمَفْرَعُهُمَا مِنْ ذُنُوبٍ .

مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

الشرح :

الذَّنُوبُ : الدلو المَلَأَى ، ولا يقال لها وهي فارغة : ذُنُوبٌ ، ومعنى الكلمة أن الدَّارَ المَبْنِيَّةَ بالحجارة المنصوبة ولو بحجر واحد ، لا بد أن يتمجّل خرابها ، وكأنما ذلك الحجر رَهْنٌ على حصول التخرّب ، أى كما أن الرّهْن لا بد أن يُفْتَكَّ ، كذلك لا بد لما جعل ذلك الحجر رَهْنًا عليه أن يحصل .

وقال ابن بسام لأبي علي بن مقالة لما بنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب وظلم الرعية :

بِحَنَنْكَ دَارَانِ مَهْدُومَتَانِ ودارُكُ ثالثة تُهْدَمُ
فلَيْتَ السَّلامَةَ الْمُنْصِفِي ن دامت فكيف لمن يظلم

والداران : دارُ أبي الحسن بنِ الفُرات ، ودارُ محمد بن داودَ بن الجراح .

وقال فيه أيضا :

قلْ لابنِ مُقلَّةٍ مهلاً لا تكن عَجلاً فَإِنَّمَا أَنتَ فِي أَضْغَاثِ أَحْلامِ
تَبْنِي بِأَنْقَاضِ دُورِ النَّاسِ مَجْتَهِداً داراً سَتُنْقِضُ أَيْضاً بَعْدَ أَيَّامِ^(١)
وكان ما تفرسه ابنُ بَسامٍ فيه حقاً ، فَإِنَّ دارَهُ نَقِضَتْ حَتَّى سَوَّيْتَ بِالْأَرْضِ فِي أَيَّامِ
الراضِي بالله .



مركز تحقیقات و کتب پیر علم اسلامی

(١) تنقش : نفوس و تنهدم .

الأصل :

يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

الشرح :

قد تقدم الكلام في الظلم مراراً .
 وكان يقال : اذ كر عند الظلم عدل الله تعالى فيك ، وعند القدرة قدرة الله تعالى عليك .

مركز تحقيق تكامل علوم اسلامی

وإنما كان يوم المظلوم على الظالم أشد من يومه على المظلوم ، لأن ذلك اليوم يوم الجزاء الكلي ، والانتقام الأعظم ، وقصارى^(١) أمر الظالم في الدنيا أن يقتل غيره قيمته ميتة واحدة ، ثم لا سبيل له بعد إمامته إلى أن يدخل عليه المأ آخر ؛ وأما يوم الجزاء فإنه يوم لا يموت الظالم فيه فيستريح^(٢) ، بل عذابه دائم متجدد ، نعوذ بالله من سخطه وعقابه .

(٢٣٩)

الأصل :

اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ ؛ وَاجْمَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ .

الْبَرْخ :

يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : مَا لَا يُدْرِكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ .

فَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَسُرَتْ عَلَيْهِ التَّقْوَى بِأَجْمَعِهَا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي الْبَعْضِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِتْرًا وَإِنْ كَانَ رَقِيقًا .

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : إَجْمَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ رَوْزَنَةً ^(١) ، وَالرَّوْزَنَةُ لَفْظَةٌ صَحِيحَةٌ مُعَرَّبَةٌ ، أَيْ لَا تَجْعَلْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَسْدُودًا مَظْلَمًا بِالْكَلِمَةِ .

(١) وَاللَّسَانُ : «الرَّوْزَنَةُ : الْكُوَّةُ ، وَفِي الْحِكْمِ : الْحَرْقُ وَأَعْلَى السَّقْفِ . وَعَنِ التَّهْذِيبِ : يُقَالُ لِلْكُوَّةِ النَّافِذَةُ الرَّوْزَنُ ؛ قَالَ : وَأَحَبُّهُ مُعَرَّبًا .

الأصل :

إذا ازدحم الجواب ، خفي الصواب .

الشرح :

هذا نحو أن يورد الإنسان إشكالا في بعض المسائل النظرية - بحضرة جماعة من أهل النظر ، فيتغالب القوم وينساقون إلى الجواب عنه ، كل منهم يورد ما خطر له .

فلا ريب أن الصواب يخفى حينئذ ، وهذه الكلمة في الحقيقة أمر للنظر بالبحث أن يتحرى الإنصاف في بحثه ونظره مع رفيقه ، وألا يقصد المراء^(١) والمغالبة والقهر .

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا ، فَسَنُؤَدِّاهُ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ
بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ .



الشرح :

قد تقدّم الكلامُ في هذا المعنى .
وجاء في الخبر : مَنْ أُوتِيَ نِعْمَةً فَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا بِرَدِّ النِّعَةِ ، وإجابة الدعوة
وكشف المظلمة ، كان جديراً بدوامها [وَمَنْ قَصَّرَ قُصْرَ بِهِ]^(١) .

الأصل :

إِذَا كَثُرَتِ الْقُدْرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ^(١) .

الشرح :

هذا مثل قولهم : كلُّ مقدورٍ عليه مملول ، ومثل قول الشاعر .

* وكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطَّبيعة * .

ومثل قول الآخر : *بمركز حقيقته كالميزان علوم* .

وأخيراً كثُرَتْ عليه حتى ملئَ والشئ مملولٌ إذا هو يرخصُ

باليته إذ باعَ ودَّى باعَه ممن يزيد عليه لا من ينقصُ

ولهذا الحكمُ علةٌ في العلمِ العقلي ، وذلك أن النفسَ عندهم غنيَّة بذاتها ، مكتفية

بنفسها ، غيرُ محتاجة إلى شئ خارج عنها ، وإنما عرَضَتْ لها الحاجة والفقر إلى ما هو

خارج عنها لمقارنتها الهيولى ، وذلك ، أن أمرَ الهيولى بالضدِّ من أمرِ النفس في

الفقر والحاجة ، ولما كان الإنسانُ مركَّباً من النفس والهيولى عرض له الشوقُ

إلى تحصيل العلوم والقنيات^(٢) لا تنفعه بهما ، والتذاذه بمحصولها ، فأما العلوم فإنه يحصلها

في شبهة بالخزانة له ، يرجع إليها متى شاء ، ويستخرج منها ما أراد ، أعني القوى النفسانية

التي هي محلُّ الصوَر والمعاني على ما هو مذكور في موضعه . وأما القنيات والحسوسات

(١) القنيات : جمع قنية ؛ بالغم والكسر : ما اكتسبه الإنسان .

(٢) د : الشورة .

فإنه يروم منها مثل ما يروم من تلك ، وأن يؤدعها خزانة محسوسة خارجة عن ذاته ، لكنه يغلط في ذلك من حيث يستكثر منها ، إلى أن يتنبه بالحكمة على ما ينبغي أن يقتضى منها ، وإتاما حرص على ما منيع لأن الإنسان إنما يطلب ما ليس عنده ، لأن تحصيل الحاصل محال ، والطلب إنما يتوجه إلى المعلوم ، لا إلى الموجود ، فإذا حصله سكن وعلم أنه قد أدخره ، ومتى رجع إليه وخذله إن كان مما يبقى بالذات خزنة وتشوق إلى شيء آخر منه ، ولا يزال كذلك إلى أن يعلم أن الجزئيات لا نهاية لها ومالا نهاية له ، فلا طمع في تحصيله ، ولا فائدة في النزوع إليه ، ولا وجه لطلبه سواء كان معلوماً أو محسوساً ، فوجب أن يقصد من المعلومات إلى الأهم ومن المقننات إلى ضرورات البدن ومقباته ، ويعدل عن الاستكثار منها ، فإن حصولها كلها مع أنها لا نهاية لها غير ممكن ، وكلما فضل عن الحاجة وقدر الكفاية فهو مادة الأخران والهموم ، وضروب المكار ، والغلط في هذا الباب كثير ، وسبب ذلك طمع الإنسان في الغنى من معدن الفقر ، لأن الفقر هو الحاجة ، والغنى هو الاستقلال ، إلى أن يحتاج إليه ، ولذلك قيل : إن الله تعالى غنى مطلقاً ، لأنه غير محتاج البتة ، فاما من كثرت قنياته فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته ، وعلى قدرها رغبته إلى الاستكثار بكثرة وجوه فقره ، وقد بين ذلك في شرائع الأنبياء ، وأخلاق الحكماء ، فاما الشيء الرخيص الموجود كثيراً فإتاما يرغب عنه ، لأنه معلوم أنه إذا التمس وجد والغالى فإتاما يقدر عليه في الأحيان ويصيبه الواحد بعد الواحد ، وكل إنسان يتمنى أن يكون ذلك الواحد ليصيبه وليحصل له مالا يحصل لغيره .

(٢٤٣)

الأصل :

احذروا بقلل النعم ، فما كُلهُ شاكِرٍ بِمَرْدُودٍ .

الشرح :

هذا أمرٌ بالشكر على النعمة وترك اللامس ، فإن اللامس يُزيل النعم كما قيل :
إذا كنت في نعمة فزعمها ، فإن اللامس يُزيل النعم

وقال بعض السلف : كثر إن النعمة توار ، وقتل أقلت نعمة فرجت في نصاها ،
لمستدع شلوقها بالشكر ، واستديم راحها بكرم الجوار ، ولا تحسب أن سهرج
سر الله عليك غير مخلص مما قليل عليك إذا أنت لم ترجع لله وقلرا .

وقال أبو عصة : شهدت سفينان وضيلاً^(١) ، فاستنهما بهذا كران إلا الله ،
بحولان : ألم الله سبحانه علينا بكذا ، وقيل بنا كذا .

وقال الحسن^(٢) : إذا استوى يومك فأنت ناقص ، قيل له : كيف ذلك ؟ قال :
إن زادك الله اليوم نسا فليك أن تراداد غذا له شكر^(٣) .

وكان يقال : الشكر جنة^(٤) من الزوال ، وأمنة من الاضلال .

وكان يقال : إذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها نعمة^(٥) .

(٢) هو الحسن البصري
(٤) النعمة : الوفرة .

(١) هو فضيل بن عياض
(٣) جنة : وفاة .

(٢٤٤)

الأصل :

الكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِيمِ .

الشرح :

مثل هذا المعنى قول أبي تمام لابن الجهم :
إِلَّا يَكُنْ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أَدَبُ أَقْنَاءِ مَقَامِ الْوَالِدِ^(١)
أَوْ يَخْتَلِفُ مَا الْوَصَالِ مَقَامُنَا عَذَبَ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ
ومن قصيدة لي في بعض أغراضى :

ووشائج الآداب عاطفة الـ فضلاء فوق وشائج النسب^(٢)

(١) ديوانه ١ : ١٠٧ ، وقوله :

إِنْ يُكْدِ مُطَرَّفُ الْإِخَاءِ قَانِنًا نَفَدُوا وَنَسَرَى فِي إِخَاءِ تَالِدِ

(٢) في الأصول : « الأنساب » ، ولا يستقيم الرزق .

(٢٤٥)

الأصل :

مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ .

الشرح :

هذا قد تقدم في وصيته عليه السلام لولده الحسن .

ومن كلام بعضهم : إني لأستحي أن يأتيني الرجل يحمرُّ وجهه تارةً من الخجل أو
يصفرُّ أخرى من خوف الردِّ ظنَّ بي الخيرَ ويات عليه وغداً على أن أردّه ^(١) خائباً .

(٢٤٦)

الأصل :

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ .

الشرح :

لا ريب أن الثواب على قدر المشقة ، لأنه كالعوض عنها^(١) ، كما أن العوض
الحقيق عوض عن الألم ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله : « أفضل العبادة أحمرها »^(٢) .
أي أشقها .

مركز تحقيقات كمبيوتر علوم اسلامی

(١) : « منها »

(٢) : نقله ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٥٨ قال : يقال : رجل حمر القواد وحيزه ؛ أي شديد

الأصل :

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودِ، وَتَقْضِي الْهِمَمِ .

البيان :

هذا أحدُ الطُّرُقِ إلى معرفة الباري سبحانه ، وهو أن يعزِم الإنسانُ على أمرٍ ، وبصمِّمَ رأيَه عليه ، ثمَّ لا يَلْبِثَ أن يُحْطِرَ اللهُ تعالى بياله خاطراً صارِقاً له عن ذلك الفعل ، ولم يكن في حسابه ، أى لولا أن في الوجود^(١) ذاتاً مدبرةً لهذا العالم لما خَطَرَتِ الخواطرُ التي لم تكن بحسبة ، وهذا فصلٌ يتضمنُ كلاماً دقيقاً يذكره المتكلمون في الخاطر الذي يَحْطِرُ عن غيرِ مُوجبٍ لخطوره ؛ فإنه لا يجوز أن يكون الإنسانُ أخطَرَه بياله ؛ وإلا لكان ترجيحاً من غير مرجح لجانب الوجود على جانب العدم ، فلا بد أن يكون الخطر له بالبال شيئاً خارجاً عن ذات الإنسان ، وذلك هو الشيء المسمَّى بصانع العالم .

وليس هذا الموضع مما يحتمل استقصاء القول في هذا البحث .

ويقال : إنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وقمتُ في يده قصة وهو بتصفّح القصص ، فأمر بصَلْبِ صاحبها ثمَّ أتبع الخادمَ خادماً آخر يقول له : قل للمطهر - وكان وزيره - لا يَصْلُبْهُ ، ولكن أخرجْه من الحبس فاقطع يده اليمنى ؛ ثم أتبعه خادماً ثالثاً ، فقال : بل تقول له : يقطع أعصابَ رجلَيْه ، ثم أتبعه خادماً آخر فقال له : ينقله إلى القلعة يسيراف في قيوده فيجعله هنالك ، فاختلفت دَواعيه في ساعة واحدة أربع مرات .

الأصل :

مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

الشرح :

لما كانت الدنيا^(١) ضد الآخرة ، وجب أن يكون أحكام هذه ضد أحكام هذه ، كالسواد يجمع البصر والبياض يفرق البصر ، والحرارة توجب الخفة ، والبرودة توجب الثقل ، فإذا كان في الدنيا أعمال هي مرة المذاق على الإنسان قد ورد الشرع بإيجابها فذلك الأفعال تقتضى^(٢) وتوجب لها ثوابا حلوا المذاق في الآخرة . وكذلك بالعكس ما كان من المشتبهات الدنياوية التي قد نهى الشرع عنها توجب ، - وإن كانت حلوة المذاق - مرارة العقوبة في الآخرة .

(١) : « الحياة الدنيا ضد الحياة الآخرة »

(٢) : « تقتضى »

الأصل :

فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبَرِ ،
وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ ، وَالصَّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ ،
وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ
رَدْعاً لِلشُّفَهَاءِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنَامَةً لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصَاصَ حَفْناً لِلدِّمَاءِ ، وَإِقَامَةَ
الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ ، وَتَرْكَ شَرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ ، وَمُجَانِبَةَ السَّرِقَةِ
إِحْجَاباً لِلْعِفَّةِ ، وَتَرْكَ الزُّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ ، وَتَرْكَ الْأَوْطَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ ،
وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمَحَادَثِ ، وَتَرْكَ الْكُذْبِ تَشْرِيقاً لِلصِّدْقِ ، وَالسَّلَامَ
أَمَاناً مِنَ الْخَوَافِ ، وَالْأَمَانَةَ نِظَاماً لِلْأَمَةِ ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ .

الشرح :


هذا الفصلُ يتضمن بيان تعاليل العبادات إيجاباً وسلباً .

قال عليه السلام : فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وذلك لأنَّ الشُّرْكَ
بجاسة حُكْمِيَّة لا عَيْنِيَّة ، وأىَّ شئٍ يكون أُنْجَسَ من الجهل أو أَوْجَسَ ، فالإيمان هو
تطهير القلب من بجاسة ذلك الجهل .

وَفَرَضَتِ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً مِنَ الْكِبَرِ ، لأنَّ الإنسان يقوم فيها قائماً ، والقيام مُنافٍ
للكبر وطاردٌ له ، ثم يرفع يديه بالكبير وقت الإحرام بالصَّلَاةِ فيصير على هيئة
من يمدُّ عنقه ليوسِّطه السيِّف ، ثم يستكف كما يفعلُه العبيد الأذلاء ، بين يدي

السادة العظماء ، ثم يركع على هيئة من يمدّ عنقه ليضرب بها السياف ، ثم يسجد فيضع أشرف أعضائه وهو جبهته على أدنّ المواضع ، وهو التراب . ثم تتضمن الصلاة من الخضوع والخشوع والامتناع من الكلام والحركة الموهمة لمن رآها أن صاحبها خارج عن الصلاة ، وما في غُضون الصلاة من الأذكار انتصفتها الذلّ والتواضع لعظمة الله تعالى .

وفُرضت الزكاة تسبيبا للرزق ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ۖ ﴾ ^(٢) .

وفُرض الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق ، قال النبي صلى الله عليه وآله خا كيا عن الله تعالى : « الصوم لي وأنا أجزي به » ، وذلك لأن الصوم أمر لا يطلع عليه أحد ، فلا يقوم به على وجهه إلا الخالصون  .

وفُرض الحج تقوية للدين ، وذلك لما يحصل للحاج في ضيقه من المشاجر والمكاسيب ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ ﴾ ^(٣) . وأيضاً فإنّ المشركين كانوا يقولون : لولا أن أصحاب محمد كثير وأولو قوة لما حجّوا ، فإنّ الجيش الضعيف يعجز عن الحج من المكان البعيد .

وفُرض الجهاد عزّاً للإسلام ، وذلك ظاهر ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَفُتَّتْ صَوَاعِقُ رَبِّيعٍ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ ﴾ ^(٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ۖ ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة الحديد ١١

(٤) سورة الحج ٤٠

(١) سورة سبأ ٣٩

(٣) سورة الحج ٢٨

(٥) سورة الأنفال ٦٠

وفُرض الأمر بالمعروف مصلحة للمعوام ، لأن الأمر بالعدل والإنصاف وردّ
الودائع ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، وقضاء الديون ، والصّدق في القول ، وإيجاز
الوعد ، وغير ذلك من محاسن الأخلاق ، مصلحة للبشر عظيمة لا محالة .
وفُرض النهي عن المنكر ردّعا للسفهاء ، كالنهي عن الظلم والكذب والسّفه ،
وما يجرى مجرى ذلك .

وفُرض صلاة الرّحيم مئةً للعَدَد . قال النّبي صلى الله عليه وآله « صلاة الرّحيم
تزيد في العمر ، وتُتمّي العَدَد » .
وفُرض القصاصُ حقّاً للدماء ، قال سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١) .

وفُرض إقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وذلك لأنه إذا أقيمت الحدود امتنع كثير
من الناس عن المعاصي التي تجبُ الحدودُ فيها ، وظهر عظم تلك المعاصي عند العامّة
فكانوا إلى تركها أقرب .

وحُرّم شربُ الخمر تحميّنا للعقل ، قال قوم لحكيم : اشربْ اللّيلة معنأ ، فقال :
أنا لا أشرب ما يشرب عقلي ؛ وفي الحديث المرفوع ، « أَنْ مَلَكَ ظَالِمًا خَيْرَ إِنْسَانٍ
بَيْنَ أَنْ يُجَامِعَ أُمَّهُ أَوْ يَقْتُلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً ، أَوْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ حَتَّى يَسْكُرَ ، فَرَأَى أَنَّ
الْخَمْرَ أَهْوَنُهَا ، فَشَرِبَ حَتَّى سَكِرَ ، فَلَمَّا غَلَبَهُ قَامَ إِلَى أُمِّهِ فَوَطَّئَهَا ، وَقَامَ إِلَى تِلْكَ
النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فَقَتَلَهَا » ؛ ثم قال عليه السلام : « الْخَمْرُ جَمَاعُ الْإِيمِ ، الْخَمْرُ أُمُّ الْمَعَاصِي » .
وحُرّمت السرقة إيجاباً للعنة ، وذلك لأنّ العنة خلُقَ شريف ، والطعمُ خلُقُ
دنيء ، فحرمت السرقة ليثمرنّ الناسُ على ذلك الخلقِ الشريف ، ويجانبوا ذلك
الخلقَ الدّميم ، وأيضاً حرّمت لما في تحريمها من تحصيل أموال الناس .

وَحَرَّمَ الزَّنا تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ ، فَإِنَّهُ يُفِضِي إِلَى اخْتِلَاطِ الْمِيَاهِ وَاشْتِبَاهِ الْأَنْسَابِ ،
وَالْأَبُ يُنْسَبُ أَحَدٌ بِتَقْدِيرِ الْأَيْشَرِ النِّسْكَاحِ إِلَى أَبٍ ، بَلْ يَكُونُ نَسَبُ النَّاسِ
إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ ، وَفِي ذَلِكَ قَلْبُ الْحَقِيقَةِ ، وَعَكْسُ الْوَاجِبِ ، لِأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءِ الْأَبِ ،
وَأَمَّا الْأُمُّ وَعَاءٌ وَظَرْفٌ .

وَحَرَّمَ اللُّوَاطُ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ ، وَذَلِكَ اللُّوَاطُ بِتَقْدِيرِ اسْتِفَاضَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ
وَالِاسْتِفْئَاءِ بِهِ عَنِ النِّسَاءِ يُفِضِي إِلَى انْقِطَاعِ النَّسْلِ وَالذَّرِّيَّةِ ، وَذَلِكَ خِلَافُ مَا يَرِيدُ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَقَاءِ هَذَا النُّوعِ الشَّرِيفِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْأَنْوَاعِ مِثْلُهُ فِي الشَّرَفِ ، لِمَكَانِ
النَّفْسِ النَّاظِقَةِ الَّتِي هِيَ نَسْخَةٌ وَمِثَالٌ لِلْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ تَمَّتْ الْحِكْمَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ
الْعَالَمِ الصَّغِيرِ .

وَحَرَّمَ الْاسْتِمْنَاءَ بِالْيَدِ وَإِتْيَانَ الْبِهَائِمِ لِلْمَعْنَى الَّذِي لِأَجْلِ حَرَمِ اللُّوَاطِ ، وَهُوَ
تَقْلِيلُ النَّسْلِ ؛ وَمَنْ مَسْتَحْسَنَ الْكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْاسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ :
« ذَلِكَ الْوَادُ اتَّخَفَنِي » ، لِأَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ كَانَتْ تَبْنِي الْبَنَاتِ أَيْ تَقْتُلُهُنَّ خَنْقًا ، وَقَدْ
قَدْ مَنَّا ذَكَرَ سَبَبَ ذَلِكَ ، فَشَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِتْلَافَ النُّعْطَةِ الَّتِي هِيَ وَلَدٌ بِالْقُوَّةِ بِإِتْلَافِ
الْوَلَدِ بِالْفِعْلِ .

وَأَوْجَبَتِ الشَّهَادَاتُ عَلَى الْحَقِّقِ اسْتِغْفَارًا عَلَى الْمَجَاحِدَاتِ ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ : « لَوْ أُعْطِيَ النَّاسُ بِدَعَاوِيهِمْ لاسْتَحْجَلُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ دِمَاءُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ » ، وَوَجَبَ
تَرْكُ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْعَامَّةِ إِنَّمَا تَتِمُّ وَتَنْتَظِمُ بِالصِّدْقِ ،
فَإِنَّ النَّاسَ يَبْنُونَ أَكْثَرَ أُمُورِهِمْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ عَلَى الْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهَا أَعَمُّ مِنَ الْعِيَانِ
وَالْمُشَاهَدَةِ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ صَادِقَةً وَقَعَ الْخَطَأُ فِي التَّحْدِثَاتِ ، وَفَسَدَتْ أَحْوَالُ الْخَلْقِ .
وَشُرِعَ رَدُّ السَّلَامِ أَمَانًا مِنَ الْخَوَافِ ، لِأَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » ،
أَيُّ لَا حَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، بَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ السَّلَامُ ، وَهُوَ الصَّلَاحُ .

وَفُرِضَتِ الْإِمَامَةُ نَظَامًا لِلْأَمَّةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا يَرْتَفِعُ الْمَرْجُ وَالْعَنْفُ وَالظُّلْمُ
وَالْفَضَبُ وَالسَّرْقَةُ عَنْهُمْ إِلَّا بِوِازِعٍ قَوِيٍّ ، وَلَيْسَ بِسَكْفِيٍّ فِي امْتِنَاعِهِمْ قُبْحَ الْقَبِيحِ ،
وَلَا وَعِيدُ الْآخِرَةِ ، بَلْ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ يَنْظِمُ مَصَالِحَهُمْ ، فَيَرُدُّعُ ظَالِمَهُمْ ، وَيَأْخُذُ
عَلَى أَيْدِي سُفَهَاءِهِمْ .

وَفُرِضَتِ الطَّاعَةُ تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِطَاعَةِ الرَّعِيَّةِ ،
وَالْإِلَّا فُلُو عَصَتِ الرَّعِيَّةِ إِمَامَهَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِإِمَامَتِهِ وَرِثَاسَتِهِ عَلَيْهِمْ .



مركز تحقیقات کتب و نشر علوم اسلامی

الأصل :

ولله عليه السلام يقول :

أَخْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ بِعَيْنِهِ بِأَنَّهُ بَرِيٌّ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ،
فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عُوْجِلَ ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ
يُعَاجَلْ ، لَأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .



الشرح :

[ماجرى بين يحيى بن عبد الله وبين ابن المصعب عند الرشيد]

روى أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب "مقاتل الطالبين" أن
يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما أتمه الرشيد بعد خروجه
بالديلم وصار إليه بالغ في إكرامه وبره ، فسعى به بعد مدة - بعد الله -
الزبيرى إلى الرشيد - وكان يبعثه - وقال له : إنه قد عاد يدعو إلى نفسه سرا ، وحسن
له قضا أمانه فأحضره وجمع بينه وبين عبد الله بن مصعب لينظره فيما قدفاه به وردته
عليه ، فجهه ابن مصعب بحضرة الرشيد ، وأدعى عليه الحركة في الخروج وشق العصا ،
فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، أتصدق هذا على وتسنصحه ؛ وهو ابن عبد الله بن الزبير ،
الذى أدخل أباه عبد الله وولده الشَّعب ، وأضرَمَ عليهم النار حتى خلاصه (١) أبو عبد الله
الجدلى ، صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام منه عتوة ؛ وهو الذى ترك الصلاة على

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْبَعِينَ جُمُعَةً فِي خُطْبَتِهِ ، فَلَمَّا الثَّانِي عَلَيْهِ النَّاسُ قَالَ :
 إِنَّ لَهُ أَهْلِيلَ سُوءٍ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ أَوْ ذَكَرْتَهُ أَثْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَشْرَأُ بَوًّا لِلدِّكْرِ ،
 فَأَكْرَهَ أَنْ أَسْرَهُمْ أَوْ أَقْرَ أَعْيُنَهُمْ ^(١) ؛ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَشْتُمُ أَبَاكَ وَيُلْصِقُ بِهِ الْعُيُوبَ
 حَتَّى وَرِمَ كِبْدُهُ ، وَلَقَدْ ذَبَحْتُ بَقْرَةً يَوْمًا لِأَبِيكَ فَوُجِدَتْ كِبْدُهَا سَوْدَاءَ قَدْ
 نَقِيتُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ ابْنُهُ : أَمَا تَرَى كِبْدَ هَذِهِ الْبَقْرَةِ يَا أَبَتِ ! فَقَالَ : يَا بَنِيَّ هَكَذَا تَرَكُ
 ابْنُ الزَّيْرِ كِبْدَ أَبِيكَ ، ثُمَّ نَفَاهُ إِلَى الطَّائِفِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ عَلِيٌّ :
 يَا بَنِيَّ إِذَا مِتَ فَالْحَقْ بِقَوْمِكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بِالشَّامِ ، وَلَا تُقِمَّ فِي بَلَدٍ لِابْنِ الزَّيْرِ
 فَيَدْرِي إِمْرَةً ، فَاخْتَارَ لَهُ صَحْبَةً يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَلَى صَحْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ . وَوَاللَّهِ إِنَّ
 عَدَاوَةَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا جَمِيعًا بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ قَوِيَ عَلَى بَكَ ، وَضَعُفَ
 عِنْدَكَ ، فَتَقَرَّبَ بِي إِلَيْكَ لِيُظْفِرَ مِنْكَ بِي بَمَا يَزِيدُ ، إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مِثْلِهِ مِنْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي
 لَكَ أَنْ تُسَوِّغَهُ ذَلِكَ فِيَّ ، فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ أَبْعَدُ نَسَبًا مِنْكَ إِلَيْنَا
 ذَكَرَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَوْمًا قَسَبَهُ ، فَسَاعَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ عَلَى ذَلِكَ ، فَزَجَرَهُ
 وَأَتَهَرَهُ ، فَقَالَ إِنَّمَا سَاعَدْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْحَسَنَ لِحِيَّ آكِلُهُ وَلَا
 أَوْكِلُهُ . وَمَعَ هَذَا فَهُوَ الْخَارِجُ مَعَ أَخِي مُحَمَّدٍ عَلَى أَبِيكَ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَالْقَائِلُ
 لِأَخِي فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ أَوَّلُهَا :

إِنَّ الْحَمَامَةَ يَوْمَ الشَّعْبِ مِنْ خَضَنٍ ^(٢) هَاجَتْ فَوَادٍ مُجِبَّةٍ دَائِمِ الْحَزَنِ
 يُحَرِّضُ أَخِي فِيهَا عَلَى الْوُثُوبِ وَالنُّهُوضِ إِلَى الْخِلَافَةِ ، وَيَمْدَحُهُ وَيَقُولُ لَهُ :
 لَا عَزْرَ كُنَّا نَزَارِ عِنْدَ سَطْوَتِهَا إِنَّ أَسْلَمَتِكَ وَلَا رُكْنًا ذَوِي يَمَنِ
 أَلَسْتَ أَكْرَمَهُمْ عَوْدًا إِذَا انْتَسَبُوا يَوْمًا وَأَطْهَرَهُمْ ثَوْبًا مِنَ الدَّرَنِ !

(١) مقاتل الطالبيين : « فلا أحب أن أقر عينهم بكركه » . (٢) كذا في ١ والمقد ٥ : ٨٧ ،

وفي مقاتل الطالبيين « دثن » .

وأعظم الناس عند الناس منزلةً وأبعد الناس من جيب ومن وهن !
 قوموا ببيعكم تنهض بطاعتها إن الخلافة فيكم يا بني حسن
 إنا لنأمل أن ترد ألفتنا بعد التدابر والبغضاء والإحن
 حتى يشأب على الإحسان محيناً ويأمن الخائف المأخوذ بالدمر
 وتنفي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن
 فطالما قد برؤا بالجور أعظمنا برى الصناع قداح التبع بالسفن

فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر ، وتغيظ على ابن مصعب ، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له ، وأنه لسديف ، فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره ، وما حلفت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا ، وإن الله عز وجل إذا مجده العبد في يمينه فقال : والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم ، استحي أن يعاقبه ؛ فدغى أن أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا عوجل ، قال لحلفه ؛ قال قل : برئت من حول الله وقوته ، واعتصمت بحولى وقوتى ، وتقلدت الحول والقوة من دون الله ، استكباراً على الله ، واستعلاء عليه ، واستغناء عنه ، إن كنت قلت هذا الشعر . فامتنع عبد الله من الحلف بذلك ، فنصّب الرشيد ، وقال للفضل بن الربيع : يا عباسي ماله لا يحلف إن كان صادقا ! هذا طيلسانى على ، وهذه ثيابى لو حلفنى بهذه اليمين أنها لى لحلفت . فوكر الفضل عبد الله برجله - وكان له فيه هوئى - وقال له : احلف ويحك ! فجعل يحلف بهذه اليمين ، ووجهه متغير ، وهو يرعد ، فضرب يحيى بين كتفيه ، وقال : يا ابن مصعب ، قطعت عمرك ، لا تفلح بعدها أبدا !

قالوا : فما برح من موضعه حتى عرض له أعراض الجذام ، استدارت عيناه ،

وتفقاً وجهه ، وقام إلى بيته ففتقطع وتشقق لحمه وانتثر شعره ، ومات بعد ثلاثة أيام ،
وحضر الفضل بن الربيع جنازته ، فلما جُمِل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت
منه غبرة شديدة ، وجعل الفضل يقول : التراب التراب ! فطرح التراب وهو يهوى فلم
يستطيعوا سده حتى سقف بخشب ، وطم عليه ؛ فكان الرشيد يقول بعد ذلك
للفضل : أرايت يا عباسي ما أسرع ما أدبل ليحيى ^(١) من ابن مصعب ^(٢) !



مركز تحقیق و تہذیب و علوم اسلامی

الأمثل :

بَابْنِ آدَمَ ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ ، وَاعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤَثِّرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ .

الشرح :

لا ريب أن الإنسان يؤثر أن يخرج ماله بعد موته في وجوه البر والصدقات والقربات ليحل ثواب ذلك إليه ، لكنه يظن بإخراجه وهو حي في هذه الوجوه لحته العاجلة وخوفه من الفقر والحاجة إلى الناس في آخر العمر ، فيقيم وصيًا يعمل ذلك في ماله بعد موته .

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام الإنسان أن يعمل في ماله وهو حي ما يؤثر أن يعمل فيه وصية بعد موته ، وهذه حالة لا يقدر عليها^(١) إلا من أخذ التوفيق بيده .

الأصل :

الحِدةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ
فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ .

الشرح :

كان يقال : الحِدةُ كُنتِيَةُ الْجَهْلِ .
وكان يقال : لا يَصِحُّ لِلْجَدِيدِ رَأْيٌ ، لِأَنَّ الْحِدَّةَ تُصْدِي الْعَقْلَ كَمَا يُصْدِي الْخَلْءُ
المرآة فلا يرى صاحبه فيه صورة حسن فيفعله ، ولا صورة قبيح فيجتنبه .
وكان يقال : أول الحِدة جنون وآخرها ندم .
وكان يقال : لا تَحْمِلَنَّكَ الْحِدَّةُ عَلَى أَقْرَافِ الْإِثْمِ ، فَتُشْفِيَ عَيْظَكَ ، وَتُسَهِمَ دِينَكَ .

الأصل :

صِحَّةُ الْحَسَدِ ، مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ .

البيان :

معناه أن القليل الحسد لا يزال مُعَانِي في بدنه ، والكثير الحسد يُمَرِّضُهُ ما يجده في نفسه من مَضَاوِةِ النِّفَاقَةِ ، وما يتجرَّعه من النِّبَاطِ ، ومزاجُ البدن ينفع أحوال النفس .

قال المأمون : مَا حَسَدْتُ أَحَدًا قَطًّا إِلَّا أَبَا دُلْفٍ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْتَضِرَةٍ (١)

فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ عَبْدِوسِ بْنِ أَبِي دُلْفٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : قَالَ :

لِي الْمَأْمُونُ : يَا قَاسِمُ ، أَنْتَ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ عَلَى بْنُ جَبَلَةَ :

* إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

البيتين ، فَقَالَتْ مُسْرِعًا : وَمَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ قَوْلِهِ فِي :

أَبَا دُلْفٍ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلَّهُمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

ومع قول بكر بن النطاح في :

أبا دُلْفٍ إِنَّ الْفَقِيرَ بَعِيْنَهُ لَمَنْ يَرْتَجِي جَدْوَى بَدِيْكَ وَيَأْمُلُهُ
أَرَى لَكَ أَبَا مُغَلَقًا مَتَمِّنًا إِذَا فَتَحُوهُ عَنْكَ فَالْبُؤْسُ دَاخِلُهُ
كَأَنَّكَ طَبْلٌ هَائِلٌ الصَّوْتُ مَعْجِبٌ خَلِيًّا مِنَ الْخَيْرَاتِ نَعْسٌ مَدَاخِلُهُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ فِيكَ تَسْلِيمٌ لِأَمْرِ (١) عَلَيْكَ عَلَى طَنْزٍ وَأَنْتَ قَائِلُهُ

• قال : فلما انصرفْتُ قال المأمون لمن حوله : لله دَرَه ! حَفِظَ هَجَاءَ نَفْسِهِ حَتَّى اسْتَفْعَ بِهِ عِنْدِي ، وَأَطْفَأَ لَهَيْبَ الْمُنَافَسَةِ .



مركز تحقيقات كتاب ویراسته اسلامی

الأبطل :

وقال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي :

يا كميل، مر أهلك أن يروحوأ في كسب المكارم، وبذلجوا في حاجة من هو
نائم، فوالذي وسع سمعه الأصوات؛ ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق
الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت نائمة جرى إليها كالماء في انحداره؛
حتى يطردها عنه كما تطرده غريبة الليل.

مركز تحقيق كتب التراث
مركز تحقيق كتب التراث

الشيخ :

قال عمرو بن العاص لمعاوية : ما بقي من لذتك ؟ فقال : ما من شيء يصيبه الناس
من اللذة إلا وقد أصبته حتى ملته ، فليس شيء عندي اليوم ألذ من شربة ماء بارد
في يوم صائف ، ونظري إلى بني وبناتي يدرجون حولي ؛ فما بقي من لذتك أنت ؟
فقال : أرض أغرسها وآكل ثمرتها ، لم يبق لي لذة غير ذلك . فالتفت معاوية إلى
وردان غلام عمرو ، فقال : فما بقي من لذتك يا ورید ؟ فقال : سرور أدخلة قلوب الإخوان ،
وصنائع اعتقدوها في أعناق الكرام ؛ فقال معاوية لعمرو : تباً لجلسي ومجلسك ! لقد
غابني وغلبك هذا العبد ، ثم قال : يا وردان ، أنا أحق بهذا منك ؛ قال : قد
أمكنتك^(١) فافعل .

(١) في دء أمكنت .

فإن قلت : السرور عَرَضٌ ، فكيف يَخْلُقُ الله تعالى منه لُطْفًا ؟

قلت : مِنْ هَاهُنَا هِيَ مِثْلُ « مِنْ » فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ ^(۱) ، أَيْ عِوَضًا مِنْكُمْ .
ومثله :

فليت لنا من ماء زمزم شربةً مبردةً باتت على طهّيان ^(۲)
أى ليت لنا شربةً مبردةً باتت على طهّيان ، وهو اسمُ جَبَلٍ ؛ بدلًا وعِوَضًا من
ماء زمزم .



مرکز تحقیقات کتب و تدریس علوم اسلامی

الأصل :

إِذَا أَمَّاكُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ .

التبسيط :

قد تقدم القول في الصدقة .

وقالت الحكماء : أفضل العبادات الصدقة لأن نفعها يتعدى ، ونفع الصلاة والصوم لا يتعدى .

وجاء في الأثر أن علياً عليه السلام عمل ليهودي في سقي نخل له في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بمئة من شعير ، فغبره قرصاً ، فلما هم أن يفطر عليه ، أتاه سائل يستظم ، فدفعه إليه وبات طاوياً وتاجر الله تعالى بتلك الصدقة ، فعدّ الناس هذه الفعلة من أعظم السخاء ، وعدّوها أيضاً من أعظم العبادة .

وقال بعض شعراء الشيعة يذكر إعادة الشمس عليه وأحسن فيما قال :

جَادَ بِالْقُرْصِ وَالطَّوَى مِلْهُ جَنَبَيْهِ ، وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوَ سَغُوبٌ^(١)
فَأَعَادَ الْقُرْصُ الْمَسِيرُ عَلَيْهِ ۖ قُرْصَ وَالْقُرْصُ الْكِرَامُ كَسُوبٌ^(٢)

(١) السغوب : الجائع . (٢) في د « والقُرْصُ للكرام » ، وهو وجه أيضاً .

الأصل :

الوفاء لأهل الغدر عذر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله .

الشرح :

معناه أنه إذا اعتيد من العدو أن يغدر ولا يفي بأقواله وأيمانه وعهوده ، لم يحز الوفاء له ، ووجب أن ينقض عهوده ولا يوقف مع العهد المعقود بيننا وبينه ، فإن الوفاء لمن هذه حاله ليس بوفاء عند الله تعالى ، بل هو كالغدر في قبحه ، والغدر بمن هذه ^(١) حاله ليس بقبيح ، بل هو في الحسن كالوفاء لمن يستحق الوفاء عند الله تعالى .

الأفضل :

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَفْرُورٍ بِالسُّرْعَانِيَةِ ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ ، وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :
وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ هَاهُنَا زِيَادَةٌ جَيِّدَةٌ مُفِيدَةٌ .

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

الْبَيْزُ :

قد تقدم الكلام في الاستدراج والإملاء .

وقال بعض الحكماء : احذر الذمم المتواصلة إليك أن تكون استدراجا ، كما يحذر المحارب من اتباع عدوه في الحرب إذا فر من بين يديه من الكمين ، وكم من عدو فر مستدراجا ثم إذ هو عاطف ، وكم من ضارِعٍ في يدك ثم إذ هو خاطف .

الأصل :

ومن كلامه - عليه السلام - المتضمن ألفاظاً من الغريب تحتاج إلى تفسير :

قوله - عليه السلام - في حديثه : «إِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنْبِهِ ،
فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَرْعُ الْخَرِيفِ .

قال الرضائي رحمه الله تعالى :

يَعْسُوبُ الدِّينِ : السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الْمَالِكُ لِأُمُورِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ ؛ وَالْقَرْعُ : قِطْعُ
النِّعَمِ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا .

مركز تحقيق كتابي

الشرح :

أصاب في اليعسوب ، فأما القرع فلا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء ،
بل القرع قطع من السحاب رقيقة ، سواء كان فيها ماء أو لم يكن ، الواحدة قرعة
بافتتح ، وإنما غره قول الشاعر يصف جيشاً بالقلة والخفة .

* كَانَتْ رَعَالَهُ قَرْعَ الْجَهَامِ ^(١) *

وليس يدل ذلك على ما ذكره ، لأن الشاعر أراد المباينة ، فإن الجهام الذي
لا ماء فيه إذا كان أقطاعاً متفرقة خفيفة ، كان ذكره أبلغ فيما يريد من التشبيه ؛
وهذا الخبر من أخبار الملاحم التي كان يُخبر بها عليه السلام ، وهو يذكّر فيه المهدي
الذي يوجد عند أصحابنا في آخر الزمان . ومعنى قوله : « ضَرَبَ بِذَنْبِهِ » أقام وثبت بعد

اضطرابه ، وذلك لأنَّ اليعسوب فحل النحل وسيدّها ، وهو أكثر زمانه طائرٌ
بجناحيه ، فإذا ضرب بذنبه الأرض فقد أقام وترك الطيران والحركة .

فإن قلت : فهذا يُشيد مذهب الإمامية في أن المهدي خائف مستتر ينتقل في
الأرض ، وأنه يظهر آخر الزمان ويثبت ويقم في دار ملكه .

قلت : لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان
مضطرب الأمر ، منتشر الملك في أول أمره لمصلحة يعلمها الله تعالى ، ثم بعد ذلك
يثبت ملكه ، وتنظم أموره .

وقد وردت لفظة اليعسوب عن أمير المؤمنين عليه السلام في غير هذا الموضع ، قال
يَوْمَ اجْلَسَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ بْنِ أَسِيدٍ وَقَدْ مَرَّ بِهِ قَتِيلًا : « هَذَا يَعْسوب قريش » ،
أي سيدّها .

مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الأصل :

وفي حديثه - عليه السلام : هَذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ .
 قَالَ : يُرِيدُ الْمَاهِرَ بِالْخُطْبَةِ ، الْمَاضِي فِيهَا ، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلَامٍ أَوْ سَيْرٍ
 فَهُوَ شَحْشَحٌ . وَالشَّحْشَعُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : الْبَخِيلُ الْمُسِكُ .



الشرح :

قد جاء الشَّحْشَحُ بمعنى الْفَيُورِ والشَّحْشَحُ بمعنى الشَّجَاعِ ، والشَّحْشَحُ بمعنى المواظِبِ
 على الشيء المُلَازِمِ له ، والشَّحْشَحُ : الْحَاوِي ، وَمِثْلُهُ الشَّحْشَحَانُ .
 وهذه الكلمة قالها عليُّ عليه السلام لصَعَصَةَ بنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَفَى
 صَعَصَةً بِهَا نَفْرًا أَنْ يَكُونَ مِثْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُثْنِي عَلَيْهِ بِالْمَهَارَةِ وَقَصَاحَةِ الْإِسَانِ ؛
 وَكَانَ صَعَصَةُ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُنَا أَبُو عَثَانَ الْجَاهِظُ (١) .

الأصل :

ومنه : إنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا .

قال : يُرِيدُ بِالْقُحْمِ الْمَهَالِكَ ، لِأَنَّهَا تُقْحَمُ أَصْحَابُهَا فِي الْمَهَالِكِ وَالتَّارِيفِ فِي الْأَكْثَرِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قُحْمَةُ الْأَعْرَابِ ، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّنَةُ فَتَفَرَّقُوا أَمْوَالُهُمْ ، فَذَلِكَ تَقْحُمُهَا فِيهِمْ . قال : وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ ، وَهُوَ أَنَّهَا تُقْحَمُهُمْ بِلَادَ الرِّيفِ ، أَيْ تُخَوِّجُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ الْبَدْوِ .

مركز تحقيق كتب التراث
مركز تحقيق كتب التراث

الشرح :

أصلُ هذا البناء للدُّخُولِ فِي الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ رَدِّةٍ وَلَا تَثْبُتٍ ، قَحْمَ الرَّجُلِ فِي الْأَمْرِ بِالْفَتْحِ قُحُومًا ، وَأَقَحَمَ فَلَانٌ فَرَسَهُ الْبَحْرَ فَانْقَحَمَ ، وَانْقَحَمْتُ أَيْضًا الْبَحْرَ دَخَلْتُهُ مَكَاخِفَةً ، وَقَحَمَ الْفَرَسُ فَرَسَهُ تَقْحِيًا عَلَى وَجْهِهِ ؛ إِذَا رَمَاهُ ، وَغَلَّ مِقْحَامٌ ، أَيْ يَقْتَحِمُ الشَّوْلَ مِنْ غَيْرِ إِسْأَالٍ فِيهَا .

وهذه الكلمة قالها أمير المؤمنين حين وَكَّلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ فِي الْخُصُومَةِ عَنْهُ ، وَهُوَ شَاهِدٌ .

وأبو حنيفة لَا يُجِيزُ الْوَكَالََةَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَيَقُولُ : لَا تَجُوزُ إِلَّا مِنْ غَائِبٍ أَوْ مَرِيضٍ ؛ وَأَبُو يُونُسَ وَمُحَمَّدٌ يُجِيزَانِهَا أَخْذًا بِفِعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الأصل :

ومنه : إذا بلغ النساء نص الحقائق فالمصبة أولى .

قال : وروى « نص الحقائق » ، والنص منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كائنص في السير لأنه أقصى ما تقدر عليه الدابة ؛ ويقال : نصت الرجل عن الأمر إذا استقصيت مسأله لتستخرج ما عنده فيه ، ونص الحقائق يريد به الإدراك ؛ لأنه منتهى الصغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبر ، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر وأغربها ؛ يقول : فإذا بلغ النساء ذلك فالمصبة أولى بالمرأة من أمها إذا كانوا محرماً مثل الإخوة والأعمام ، وتزويجها إن أرادوا ذلك .

والحقائق : محاكاة الأم للمصبة في المرأة ، وهو الجدال ، والخصومة ، وقول كل واحد منهما للآخر : أنا أحق منك بهذا ، يقال منه : حاققته حقائقاً ، مثل جادلته جدالاً . قال : وقد قيل إن نص الحقائق يلوغ العقل وهو الإدراك ، لأنه عليه السلام إنما أراد منتهى الأمر الذي تجب به الحقوق والأحكام .

قال : ومن رواه « نص الحقائق » فإنما أراد جمع حقيقة ، هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام .

قال : والذي عندي أن المراد بنص الحقائق هاهنا يلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز فيه تزويجها ونصرها في حقوقها ، تشبيهاً بالحقاق من الإبل ، وهي جمع حقة وحق ، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة ؛ وعند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يمكن فيه من ركوب ظهره ونصره في سيره . والحقائق أيضاً : جمع حقة ؛

فالروايتان جميعاً ترجعان إلى معنى واحد؛ وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أولاً .

الشرح :

أما ما ذكره أبو عبيد فإنه لا يشفي الغليل، لأنه فسر معنى النص، ولم يفسر معنى نص الحقائق، بل قال : هو عبارة عن الإدراك، لأنه منتهى الصغر، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حدّ الكبر، ولم يبين من أي وجه يدل لفظ نص الحقائق على ذلك، ولا اشتقاق الحقائق وأصله، ليظهر من ذلك مطابقة اللفظ للمعنى الذي أشير إليه .

فأما قوله : «الحقائق هاهنا مصدر حاقه حقا» ، فلنقابل أن يقول : إن كان هذا هو مقصوده عليه السلام فقبل الإدراك يكون الحقائق أيضاً ، لأن كل واحدة من القرايات تقول للأخرى : أنا أحقّ بها منك ، فلا معنى لتخصيص ذلك بحال البلوغ ، إلا أن يزعم زاعم أن الأمّ قبل البلوغ لها الخضانة ، فلا ينافيها قبل البلوغ في البنت أحد ولكن في ذلك خلاف كثير بين الفقهاء .

وأما التفسير الذي هو أن المراد بـ «نص الحقائق» منتهى الأمر الذي تجب به الحقوق فإن أهل اللغة لم يتقبلوا من العرب أنها استعملت الحقائق في الحقوق ، ولا يعرف هذا في كلامهم .

فأما قوله : «ومن رواه نص الحقائق» ، فإثما أراد جمع حقيقة ، فلنقابل أن يقول : وما معنى الحقائق إذا كانت جمع حقيقة هاهنا ؟ وما معنى إضافة «نص» إلى «الحقائق» جمع حقيقة ، فإن أبا عبيدة لم يفسر ذلك مع شدة الحاجة إلى تفسيره !

وأما تفسير الرضى رحمه الله فهو أشبه من تفسير أبي عبيدة ، إلا أنه قال في آخره :

والحقائق أيضا جمعُ حِقَّة ، فالروايتان ترجعان إلى معنى واحد . وليس الأمرُ على ما ذكر
من أن الحقائق جمعُ حِقَّة ، ولكن الحقائق جمع حِقاق ، والحقاق جمع حِق ، وهو ما كان
من الإبل ابن ثلاث سنين ، وقد دخل في الرابعة ، فأستحق أن يُحمل عليه ويُنتفع به ،
فالحقائق إذن جمع التجمع لحق لا لِحِقَّة ، ومثل إفال وأفائل . قال : ويمكن أن
يقال : الحقاق هاهنا الخصومة ، يقال : ماله فيه حق ولا حِقاق أى ولا خصومة ،
ويقال لمن يُنازع في صِنار الأشياء إنه لبرق الحقاق ، أى خصومته في الدنئ . من الأمر ؛
فيكون المعنى إذا بَكَت المرأةُ الحَدَّ الذي يستطيع الإنسان فيه الخصومة والجدالَ
فَعَصَبَتُهَا أَوَّلَى بهامن أمِّها ؛ والحَدُّ الذي تَكُمِّل فيه المرأةُ والفُلامُ للخصومة والحكومة
والجدالِ والمناظرة هو سِنُّ البلوغ .

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الأصل :

ومنه ، إنَّ الإيمانَ يَبْدُو لُمَظَةً في الْقَافِ ، كُلَّمَا أزدَادَ الْإِيمَانُ أزدَادَتْ اللُّمَظَةُ .

قال : اللُّمَظَةُ مِثْلُ الذُّبْكَةِ أَوْ نَحْوِهَا مِنْ الْبَيَاضِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : فَرَسٌ أَلْمَظُ إِذَا كَانَ يَحْتَفِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ .



الشرح :

قال أبو عبيد : هي لُمَظَةٌ بضم اللام ؛ والحدَّثون يقولون : لُمَظَةٌ بِالْفَتْحِ ؛ والمعروفُ من كلام العرب الضم ؛ مِثْلُ الدُّهْمَةِ والشَّهْبَةِ والخُمْرَةِ . قال : وقد رَوَاهُ بَعْضُهُمْ «لُمَظَةٌ» بِالضَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وهذا لا نَعْرِفُهُ .

قال : وفي هذا الحديث حُجَّةٌ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ^(١) ، الْأَثَرُ يَقُولُ : كُلَّمَا أزدَادَ الْإِيمَانُ أزدَادَتْ اللُّمَظَةُ .

الأصل :

ومنه ، إنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُّونُ يَحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ .

قَالَ : الظَّنُّونُ : الَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ أَيْقُضِيهِ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا ، فَكَأَنَّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ ذَلِكَ ، فَمَرَّةً يَرْجُوهُ ، وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَلَا تَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُّونٌ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى : تَحْقِيقُ كَامِرٍ بِرِجْلِهِ

مَنْ يَجْعَلُ الْجَدَّ الظَّنُّونَ الَّذِي جُبَّ صَوْبَ اللَّحِبِ الْمَاطِرِ
مِثْلَ الْفَرَائِى إِذَا مَا طَمَا يَقْذِفُ بِالْبُوصَى وَالْمَاهِرِ
وَالْجَدُّ : الْبَيْتُ الْعَادِيَّةُ فِي الصَّحْرَاءِ . وَالظَّنُّونُ : الَّتِي لَا يُعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَمْ لَا .

الشرح :

قال أبو عبيدة : في هذا الحديث من الفقه أن من كان له دين على الناس فليس عليه أن يزكِّيَه حتى يقبضه ، فإذا قبضه زكاه لما مضى ، وإن كان لا يرجوه ، قال : وهذا يردّه قول من قال : إنما زكاه على الذي عليه المال ، لأنه ^(١) المنتفع به ؛ قال :

(١) : لأنه الذى ينتفع به .

وكما يروى عن إبراهيم ، والعمل عندنا على قول علي عليه السلام ؛ فأما ما ذكره الرضى
من أن الجدة هي البئر العادية في الصحراء ، فالمعروف عند أهل اللغة أن الجدة البئر التي
تكون في موضع كثير الكَلَأ ، ولا تُسمى البئر العادية في الصحراء التواتر جداً ،
وشعر الأعشى لا يدل على ما فسر الرضى ، لأنه إنما شبه علقمة بالبئر والكَلَأ ، يظن أن
فيها ماء لمكان الكَلَأ ، ولا يكون موضع الظن هذا هو مراده ومقصوده ، ولهذا قال :
الظنون ، ولو كانت عادية في بيداء مقفرة لم تكن ظنوناً ، بل كان يُعلم أنه لا ماء
فيها ، فسقط عنها اسمُ الظنون .



مركز تحقيقات کتب ویراث علوم اسلامی

الأضل :

ومنه : أنه شيع جيشاً يغزيه فقال : أعزبوا عن النساء ما استطعتم .

ومعناه : اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن ، وامتنعوا من المقاربة لهن ، لأن ذلك يفت في عضد الحمية ، ويقدح في معاقب العزيمة ، ويكسر عن العدو ، ويبلغ عن الإبعاد في الغزو ، فكل من امتنع من شيء فقد أعزب عنه ، والعازب والعزوب : الممتنع من الأكل والشرب .

مركز تحقيق مكتبة محمد بن عبد الله بن مسعود

الشرح :

التفسير صحيح ، لكن قوله : « من امتنع من شيء فقد أعزب عنه » ، ليس بجيد ؛ والصحيح « فقد عزب عنه » ثلاثي ، والصواب وكل من منعه من شيء فقد أعزبته عنه عنه تعديه بالهمزة ؛ كما تقول : أقنته وأقعدته ، والفعل ثلاثي قام وقعد ، والدليل على أن الماضي ثلاثي هاهنا . قوله : « والعازب والعزوب الممتنع من الأكل والشرب » ولو كان رباعياً لكان « المعزب » ؛ وهو واضح ؛ وعلى هذا تكون الهمزة في أول الحرف همزة وصل مكسورة ، كما في « اضربوا » لأن المضارع يعزب بالكسر .

الأصل :

ومنه : كالياسر الفالاح ، ينتظر أول فوزة من قداحه .

قَالَ : الْيَاسِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بِالْقِدَاحِ عَلَى الْجُزُورِ ، وَالْفَالِحُ : الْقَاهِرُ
الغَالِبُ ، يُقَالُ : قَدْ فَالَحَ عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ ، قَالَ الرَّاجِزُ :
• لَمَّا رَأَيْتُ فَالِحًا قَدْ فَلَجَا •

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

الشرح :

أول الكلام أن المرء المسلم مالم ينشَ دَنَاءَةً يَخْشَعَ لها إذا ذكرت ، ويُعْرِى به لثامَ
الناس ، كالياسر الفالاح ينتظر أول فوزة من قداحه ، أو داعى الله ، فاعند الله خيرٌ
للأبرار ، بقول : هو بين خيرتين : إما أن يصيرَ إلى ما يُحِبُّ من الدنيا ، فهو بمنزلة
صاحب القِدَحِ المُعَلَّى ، وهو أوفرُها نصيبا ، أو يموت فاعند الله خيرٌ له وأبقى ^(١) .

وليس يعنى بقوله : الفالاح القاهر الغالب كما قسره الرضى رحمه الله ، لأن الياسرَ
الغالبَ القاهرَ لا ينتظر أول فوزة من قداحه ، وكيف ينتظر وقد غلب ! وأى حاجة
له إلى الانتظار ! ولكنه يعنى بالفالاح الميمونَ النقيبة الذى له عادةٌ مطردةٌ أن يغلب ،
وقل أن يكون مشهورا .

الأصل :

ومنه : كذا إذا احمر البأس اتقينا رسول الله فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه .

قال : معنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو ، واشتدّ عِصَاضُ الحرب فرع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، فيُنزل الله تعالى النصر عليهم به ، ويؤمنون ما كانوا يخافونه بمكانه .
وقوله : « إذا احمر البأس » : كناية عن اشتداد الأمر ؛ وقد قيل في ذلك أقوال ؛ أحسنها أنه شبه حى الحرب بالنار التي تجتمع الحرارة والجمرة بفعلها ولونها ؛ ومما يقوى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وقد رأى مجتهد الناس يوم حنين وهي حرب هوازن : « الآن حى الوطيس » ، والوطيس : مستوقد النار ، فشبه رسول الله صلى الله عليه وآله ما استحرّ من جلال القوم باحتدام النار وشدة التهابها .

الشرح :

الجيد في تفسير هذا اللفظ أن يقال : البأس الحرب نفسها ، قال الله تعالى : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾ ^(١) ؛ وفي الكلام حذف مضاف تقديره

إذا احمر موضعُ أبيأس ، وهو الأرضُ التي عليها معركة القوم ، واحمرارها لما يسيل عليها من الدَّم .

[نبذ من غريب كلام الإمام عليّ وشرحه لأبي عبيد]

ولما كان تفسير الرضى رحمه الله قد تعرض للغريب من كلامه عليه السلام ، ورأينا أنه لم يذكر من ذلك إلا اليسير ، آثرنا أن نذكر جملةً من غريب كلامه عليه السلام مما نقله أربابُ الكتب المصنفة في غريب الحديث عنه عليه السلام .
فمن ذلك ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه : لأنّ أطلّ بجواه قدّر أحبّ إلى من أن أطلّ بزعمروان .
قال أبو عبيد . هكذا الرواية عنه « بجواه قدّر » ، قال : وسمعت الأصمعيّ يقول : إنما هي الجاوة ، وهي : الوعاء الذي يجعل القدر فيه وجمعها جيا .
قال : وقال أبو عمرو : يقال : لذلك الوعاء جواء وجيا ؛ قال : ويقال للخرقة التي يُنزل بها الوعاء عن الأثافيّ جمال .

ومنها قوله عليه السلام حين أقبل يريد العراق فأشار إليه الحسن بن عليّ عليه السلام أن يرجع : والله لا أكونُ مثلَ الضبعُ تسمعُ الدَّم حتى تخرج فتصاد .
قال أبو عبيد : قال الأصمعيّ : الدَّم صوتُ الحجر ، أو الشيء يقع على الأرض ، وليس بالصوت الشديد ، يقال منه : لَدِمَ أُنْدَم بالكسر ، وإنما قيل ذلك للضبع ، لأنهم إذا أرادوا أن يصيدوها رموا في جحرها بحجر خفيف ، أو ضربوا بأيديهم فتخصبه

شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد ، وهي زعموا أنها من أحق الدواب ، بلغ من تحقها أن يدخل عليها فيقال : أمّ عامر نائمة ، أو ليست هذه ! والضبع ، هذه أمّ عامر ، فتسكت حتى تؤخذ ، فأراد على عليه السلام : أني لا أخدع كما تخدع الضبع باللدم .

ومنها قوله عليه السلام : من وجد في بطنه رزاً فليتنصرف وليتوضأ .
قال أبو عبيد . قال أبو عمرو : إنما هو أرزاً مثل أرز الحية ، وهو دورانها وحركتها ، فشبه دوران الرّيح في بطنه بذلك .
قال : وقال الأصمعي : هو الرز ، يعني الصوت في البطن من القرقرة ونحوها
قال الراجز :

كَأَنَّ فِي رِبَابَةِ الْكِبَارِ رِزٌّ عِشَارٌ جُلْنَ فِي عِشَارٍ^(١)

وقال أبو عبيد : فقه هذا الحديث أن ينصرف فيتوضأ ويبنى على صلاحه ما لم يتكلم ، وهذا إنما هو قبل أن يحدث .

قلت : والذي أعرفه من الأرز أنه الانقباض لا الدوران والحركة ، يقال : أرز فلان بالفتح وبالكسر ؛ إذا تضامّ وتقبّض من بخله فهو أرز ، والمصدر أرزاً وأروزا ، قال رؤبة .
* فذلك يخالُ أروز الأرز^(٢) *

فأضاف الاسم إلى المصدر كما يقال : عمر العدل وتحمرو الدهاء ، لما كان العدل والدّهاء أغلب أحوالهما ، وقال أبو الأسود الدؤلي يذمُّ إنساناً : إذا سئل أرز ، وإذا دُعِيَ اهتز ، يعني إلى الطعام ، وفي الحديث : «إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حُجْرها» .
أي يجتمع إليها وينضمّ بعضه إلى بعض فيها .

ومنها قوله : لئن رليتُ بنى أُمّية لأنفضنهم نفضَ القصاب التراب^(١) الوذمة .
وقد تقدم منا شرحُ ذلك والكلامُ فيه .

ومنها قوله في ذى الثُدَيّة المقتول بالنهر وان : إنه مُودن اليد أو مُثدن اليد أو مخدج اليد .
قال أبو عبيدة : قال الكسائي وغيره : المودن اليد : القصيرُ اليدِ ؛ ويقال : أودنتُ
الشيءَ أى قصرتَه ، وفيه لغةٌ أخرى ، ودنته فهو مودون ؛ قال حسان يذم رجلا :
وأملكُ سوداه مودونةٌ كأنَّ أناميلها الخنْطُ

وأما مُثدن اليد ، بالثاء فإن بعضَ الناس قال : نراه أخذَه من الثُدُوة ، وهى أصل
الثُدَى ، فشبهَ يده فى قصرها واجتماعها بذلك ، فإن كان من هذا فالقياس أن يقال :
مُثدٍ لأنَّ النون قبل الدال فى الثُدُوة ، إلا أن يكون من المقلوب ، فذاك كثيرٌ فى كلامهم .
وأما مخدج اليد فإنه القصيرُ اليد أيضا ، أخذَ من إخداج الناقة ولَدَها ، وهو أن
تضعه لغير تمام فى حلقه ، قال : وقال الفرّاء : إنما قبل ذو الثُدَيّة ؛ فأدخلت الهاء فيها ،
وإنما هى تصغير «ثُدَى» ، والثُدَى مذكر ، لأنها كأنها بقيّة ثُدَى قد ذهب أكثرُه فقلّلتها
كما تقول الحَيمة وشُحَيمة ، فأنت على هذا التأويل ؛ قال : وبعضهم يقول ذو اليُدَيّة ، قال
أبو عبيد : ولا أرى الأصلَ كان إلا هذا ، ولكن الأحاديث كلها تتابعُ بالثاء
ذو الثُدَيّة .

ومنها قوله عليه السلام لقومٍ وهو يعاتبهم : ما لَكُمْ لا تُنظّفون عذراتكم !
قال : العذرة فناء الدار ، وإنما سُميت تلك الحاجة عذرة لأنها بالأفنية كانت تُلتقى ،

(١) قال الأصمى : سألتُ شعبة عن هذا الحرف ، فقلت : ليس هو هكذا ، إنما هو نفض القصاب الوزام
الترمة . والترمة : التى سقطت فى التراب فخربت ، والقصاب ينفضها .

فَكَتَفَى عَنْهَا بِالْعَذْرَةِ كَمَا كَتَفَى عَنْهَا بِالْغَائِطِ ، وَإِنَّمَا الْغَائِطُ الْأَرْضُ الْمُطْمَئِنَّةُ ؛ وَقَالَ الْحَطِيبَةُ
يَهْجُو قَوْمًا :

لَعَنَرِي لَقَدْ جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ قِبَاحَ الْوُجُوهِ سَيِّئِي الْعَذِرَاتِ

ومنها قوله عليه السلام : لَا بُحْجَةَ وَلَا تَشْرِيْقَ إِلَّا فِي مِصْرَ جَامِع .

قال أبو عبيد : التَّشْرِيقُ هَاهُنَا صَلَاةُ الْعِيدِ ؛ وَتُمِيتُ تَشْرِيقًا لِإِضَاءَةِ وَقْتِهَا ؛ فَإِنَّ
وَقْتَهَا إِشْرَاقُ الشَّمْسِ وَصَفَاؤُهَا وَإِضَاءَتُهَا ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ التَّشْرِيقِ
فَلْيُعَذِّبْ » ، أَيْ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ .

قال : وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ : التَّشْرِيقُ هَاهُنَا هُوَ التَّكْبِيرُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ ،
يَقُولُ : لَا تَكْبِيرَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْأُمُصَارِ تِلْكَ الْأَيَّامَ ، لَا عَلَى الْمَسَافِرِينَ أَوْ مَنْ هُوَ فِي
غَيْرِ مِصْرَ .

قال أبو عبيد : وَهَذَا كَلَامٌ لَمْ نَجِدْ أَحَدًا يَعْرِفُهُ ، إِنَّ التَّكْبِيرَ يُقَالُ لَهُ التَّشْرِيقُ ،
وَلَيْسَ يَأْخُذُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا أَبُو يُوسُفَ وَلَا مُحَمَّدٌ ، كُلُّهُمْ يَرَوْنَ التَّكْبِيرَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا حَيْثُ كَانُوا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَفِي الْأُمُصَارِ وَغَيْرِهَا .

ومنها قوله عليه السلام : « اسْتَكْبَرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ يَنْكُمْ
وَبَيْنَهُ ، فَكَأَنِّي بِرَجُلٍ مِنَ الْحَبَشَةِ أَصْعَلَ أَصْمَعَ سَحَشَ السَّاقِينَ قَاعِدًا عَلَيْهَا وَهِيَ تَهْدَمُ » .
قال أبو عبيد : هَكَذَا يُرْوَى « أَصْعَلَ » وَكَلَامُ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفِ « صَعْلٌ » وَهُوَ
الصَّغِيرُ الرَّأْسُ ، وَكَذَا رُءُوسُ الْحَبَشَةِ ، وَلِهَذَا قِيلَ لِلظَّلِيمِ : صَعْلٌ ؛ وَقَالَ عَنَتْرَةُ بِصَفِ
ظَلِيمًا :

صَعْلٌ يَلُودُ بَذَى الْعَشِيرَةِ بَيْضُهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

قال : وقد أجازَ بعضهم أصْعَلَ في الصَّل ، وذكّر أنها لغة لأدري عن هي !
والأصْعُ : الصغيرُ الأذن ، وامرأة صَمْعاء .
وفي حديث ابن عباس : إنه كان لا يرى بأساً أن يُصَحَّى بالصَمْعاء . وخش الساقين
بالتسكين : دقيقتها .

ومنها : أن قوماً أتوه رجل فقالوا : إن هذا يؤمّننا ونحن له كارهون ، فقال له : إنك
لخَرُوط ، أتوّم قوماً هم لك كارهون !
قال أبو عبيد : الخَرُوط : المشهور في الأمور ، الزاكبُ برأيه جهلاً ؛ ومنه قيل :
انخرط علينا فلان ، أي اندرأ بالقول السيئ والفعل . قال : وقفه هذا الحديث أنه
ما أفتى عليه السلام بفسادِ صلّاته لأنه لم يأمره بالإعادة ، ولكنه كره له أن يؤمّ قوماً
هم له كارهون .

ومنها : أن رجلاً أتاه وعليه ثوبٌ من قهز ، فقال : إن بني فلان ضربوا بني فلانة
بالكناسة ، فقال عليه السلام : صدقني سنّ بكره .
قال أبو عبيد : هذا مثلٌ تُضرب به العرب للرجل يأتي بالخبر على وجهه ويصدق فيه .
ويقال : إن أصله أن الرجل رثماً باع بغيره فيسأل المشتري عن سنّه فيكذبه ،
فترض رجلٌ بكره له فصدق في سنّه ، فقال الآخر : صدقني سنّ بكره ، فصار مثلاً .
والقهزُ بكسر القاف : ثياب بيض يُخالطها حرير ، ولا أراها عربية ، وقد استعملها
العربُ قال ذو الرمة يصف البزاة البيضاء :

من الوُزُق أو صُقع كأنّ رموسها من التَّهْز والقُوْهي بيضُ المقَانعِ

ومنها : ذكر عليه السلام آخر الزمان والفِتْن ، فقال : خير أهل ذلك الزمان كلُّ
نُومَةٍ ، أولئك مصاييح الهدى ، ليسوا بالمصاييح ولا المذاييع البُدُر .
وقد تقدّم شرح ذلك .

ومنها : أن رجلاً سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا ، فاتّهم أهله أصحابه
ورفعوهم إلى شُريح ، فسألم البيّنة على قتله ، فارتفعوا إلى عليّ عليه السلام ، فأخبروه
بقول شُريح ، فقال :

أوردّه — اسعد وسعد مشتمل — ياسعد لا تروى بهذاك الإبل

ثمّ قال : إنَّ أهوَنَ السَّقَى التشريع ، ثمّ فرّق بينهم وسألم ، فاختلفوا ، ثمّ أقرّوا
بقتله ، فقتلهم به .

قال أبو عبيد : هذا مثل ، أصله أن رجلاً أورد إبله ماء لا تصل إليه الإبل إلّا
بالاستقاء ، ثمّ اشتمل ونام وتركها لم يستسق لها ؛ والكلمة الثانية مثل أيضاً ، يقول :
إنَّ أبسر ما كان ينبغي أن يفعل بالإبل أن يمكّنها من الشريعة ويعرض عليها المساء .
يقول : أقلّ ما كان يجب على شُريح أن يستقصي في المسألة والبحث عن خير الرّجل
ولا يقتصر على طلب البيّنة .

ومنها : قوله : « وقد خرج على الناس وهم ينتظرونه للصلاة قياما : مالى أراكم سائدين ! »

قال أبو عبيدة : أى قائمين ، وكلُّ رافع رأسه فهو سائد ، وكانوا يكرهون أن ينتظروا الإمامَ قياما ولكن قعودا ، والسائد فى غير هذا الموضع : اللامى اللآعب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ ﴾ ^(١) ، وقيل : السُّود الغناء بِلُغَةٍ خَيْر .



ومنها : أنه خرج فرأى قوماً يصلّون قد سدّكوا ثيابهم ، فقال : كأنهم اليهود خرجوا من فُهرهم .

قال أبو عبيد : فُهرهم بضم الفاء : موضع مدّراسهم الذى يجتمعون فيه كالعيد يصلّون فيه ويُسَدِّلون ثيابهم ، وهى كلمة نبطية أو عبرانية أصلها بُهر بالباء فمرّبت بالفاء .

والسَدَل : إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضمّ جانبيه بين يديه ، فإن ضمّ فليس بَسَدَل ، وقد رويت فيه السكراهة عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

ومنها : أن رجلا أتاه فى فريضة وعنده شريح ، فقال : أتقول أنت فيها أيها العبد الأبطّار !

قال أبو عبيد : هو الذى فى شَفْتِه العُلْيَا طُول وتواء فى وسطها محاذى الأُنْف . قال : وإنما نراه قال لشريح : « أيها العبد » ، لأنه كان قد وقع عليه سبٌّ فى الجاهلية .

ومنها : أن الأشعث قال له وهو على المنبر : غلبتنا عليك هذه الحراء ؛ فقال عليه السلام : من يعذرني من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم بتقلب على فراشه وحشاياه كالعير ويهجر هؤلاء للذكر ! أطردهم ؟ إني إن طردتهم لمن الظالمين . والله لقد سمعته يقول : والله ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا .

قال أبو عبيد : الحراء : العجم والموالي ، سموا بذلك لأن الغالب على ألوان العرب السمرة ، والغالب على ألوان العجم البياض والحمرة . والضيافة : الضخام الذين لا نفع عندهم ولا غناء ، واحدهم ضيفار .



ومنها : قوله عليه السلام : اقتلوا الجان ذا الطفتين ، والكلب الأسود ذا الفرتين . قال أبو عبيد : الجان حية بيضاء ، والطفتية في الأصل : خوصة المقل ، وجمعها طفت ، ثم شبهت الخطتان على ظهر الحية بطفتين . والفرة : البياض في الوجه .

[نبذ من غريب كلام الإمام علي وشرحه لابن قتيبة]

وقد ذكر ابن قتيبة في غريب الحديث له عليه السلام كلمات أخرى .
فمنها قوله : من أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما خفة الرداء في البقاء ؟ فقال : الدين .

قال ابن قتيبة : قوله « الرِّداء الدِّين » مذهب في اللغة حسنٌ جيد ، ووجهٌ صحيح ، لأنَّ الدِّينَ أمانةٌ ، وأنت تقول : هو لك على وفي عنقي حتى أوذيه إليك ، فكان الدِّينَ لازم للعنق ، والرِّداء موضعه صَفْحَتَا العنق ، فسَمَّى الدِّينَ رداءً وكُنِيَ عنه به ، وقال الشاعر :

إن لي حاجةً إليك فقالت بين أذني وعاتقي ما تريد

يريد بقوله : « بين أذني وعاتقي ما تريد » في عنقي ، والمعنى أُنِي قد ضمنتَه فهو على ، وإنما قيل للسيف رداء لأنَّ حالته تقع موقع الرداء ، وهو في غير هذا الموضع العطاء ، يقال : فلانٌ غمر الرداء أي واسعُ العطاء ؛ قال : وقد يجوز أن يكون كُنِيَ بالرِّداء عن الظَّهر ، لأنه يقع عليه ؛ يقول : فايخفف ظهري ولا يثقله بالدِّين ، كما قال الآخر : « خاص الأزر » ، يريد خاص البطون .

مركز تحقيق تكملة ترمذ علوم اسلامی

قال : وبلغني نحو هذا الكلام عن أبي عبيد ، قال : قال فقيه العرب : من سرَّه النساءُ ولا نساءً فليُكرِّ العشاء ، وليُباكرِ الغداء ، وليخفف الرِّداء ، وليُقِلَّ غُشَيانِ النساءِ قال : فالنساءُ التأخيرُ ، ومنه : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زُرَّةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

وقوله : فليُباكرِ النساءَ أي : فليُؤخِّرهنَّ . قال الشاعر :

* فَأَكْرَبْتُ الْعَمَاءَ إِلَى سُهَيْلِ *

ويجوز أن يريد فليُنقصِ العشاء ، قال الشاعر :

* وَالطَّلَّ لَمْ يَنْضَلْ وَلَمْ يَكُرْ *

* * *

ومنها: أنه أتى عليه السلام بالمال فكسوم كومةً من ذهب وكومة من فضة ، فقال :
يا حمران يا بيضاء احمرى وابيضى وغرغى غدرى .

هذا جنائ وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

قال ابن قتيبة : هذا مثل ضرب به ، وكان الأصمعي يقول : «وهجانه فيه» ، أى خالصه ،
وأصل المثل لعمر بن عدى ابن أخت جذيمة الأبرش ، كان يحكى الكأمة مع
أثراب له ، فكان أثرابه يأكلون ما يجدون ، وكان عمرو يأتي به خاله ويقول
هذا القول ^(١) .



ومنها حديث أبي جاب قال : جاء عتي من البصرة يذهب بي وكنت عند أُمي ،
فقلت : لا أتركك تذهب به ، ثم أتت عليا عليه السلام فذكرت ذلك له ، فجاء عتي
من البصرة ، فقال : نعم والله لأذهبن به وإن رغب أفك ، فقال علي عليه السلام : كذبت
والله ، وولّقت ، ثم ضرب بين يديه بالدرة ، قال : ولّقت مثل كذبت وكذلك ولّعت
بالمين ، وكانت عائشة تقرأ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْهُ بِالْسِّنَةِ كُمْ ﴾ ^(٢) وقال الشاعر :
• ومن من الأخلاف والوكمان ^(٣) •

يعنى النساء أى من أهل الأخلاف .

ومنها قوله عليه السلام : إن من ورائكم أموراً متاحلة رُدُّها وبلاء مكلِّها مبلِّها .

(١) ١ : « الكلام » . (٢) سورة التور ١٠

(٣) اللسان (ولع) ، مصدره :

• غلبة العينين كذابة النوى •

قال ابن قتيبة : التماحلة الطُّوال ، يعني فتناً يطول أمرُها ويعظم ؛ ويقال : رجل مُمَاحِلٌ وسَبَّسَ مُمَاحِلٌ ، والردحُ جمع رِدَاح ، وهي العظيمة ؛ يقال للكتيبة إذا عَظُمَتْ رَدَاحٌ ، ويقال للمرأة العظيمة العَجِيزَةُ رَدَاحٌ .

قال : ومنه حديثُ أبي موسى ، وقيل له زمن عليٍّ ومعاوية : أهيَ أهيَ ؟ فقال : إنما هذه الفِثنة حَيضةٌ من حيضات الفتن ، وبقيت الرَدَاحُ المظلمة التي من أشرفِ أشرفَت له .

ومكلعاً أي يكلع الناسُ بشدتها ، يقال كَلَعَ الرجل وأكلعته ، الكلعة المم . والبلع ، من قولهم : بلع الرجل إذا انقطع من الإعياء ، فلم يقدر على أن يتحرك ، وأبلعه السيرُ ؛ وقال الأعشى .

• واشتكى الأوصالَ منه وبلع •

ومنها قوله عليه السلام يوم خيبر :

أنا الذي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْسَدَرَةَ كَلَيْتِ غَابَتِ صَكْرِيهِ النَّظَرَةَ
• أَوْفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ •

قال ابن قتيبة : كانت أم عليٍّ عليه السلام سمته وأبو طالبٍ غائبٌ حين ولدته أسدًا باسم أَيْبَا أسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فلما قدم أبو طالبٍ غيَّرَ اسمَهُ وسمَّاه عَلِيًّا ، وحَيْدَرَةُ : اسمٌ من أسماء الأسد ، والسَّنْدَرَةُ : شجرةٌ يُعْمَلُ منها القِيَسُ والنَّبَلُ ؛ قال :

• حَتَوَتْ لَمْ بِالسَّنْدَرِيِّ الْمُؤَثَّرِ •

فالسندرة في الرَّجَزِ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مِثْلًا يُتَّخَذُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، سَمِيَ بِاسْمِهَا كَمَا يَسَمَّى الْقَوْسُ بِنَبْتِهِ . قال : وأحسب إن كان الأمرُ كذلك أن الكيل بها قد كان

جُرَافًا فِيهِ إِفْرَاطٌ ؛ قَالَ : وَتَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ السَّنْدَرَةُ هَاهُنَا أَمْرًا كَانَتْ تَكِيلُ
كَثِيلًا وَافِيًا أَوْ رَجُلًا .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَتَمَنَّقُ بِهِ .
قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : هَذَا مَثَلٌ ضَرْبُهُ ، يَرِيدُ مِنْ كَثْرَتِ إِخْوَتِهِ عَزَّ وَأَشَدَّ ظَهْرُهُ ،
وَضَرْبُ الْمِنْطَقَةِ إِذَا كَانَتْ تَشَدُّ الظَّهْرَ مَثَلًا لَذَلِكَ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمْ طَوِيلًا كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ ^(١)
قِيلَ كَانَ لِلْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ ذَكَرًا ، وَكَانَ ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو
الضَّبِّيُّ يَقُولُ : أَلَا إِنَّ شَرَّ حَائِلٍ أُمٍّ ، فَزَوَّجُوا الْأُمَّهَاتِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صُرِعَ ، فَأَخَذَتْهُ
الرُّمَاحُ ، فَأَشْتَبَكَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ لِأُمِّهِ حَتَّى نَلَّصُوهُ .
قَالَ : فَأَمَّا الْمَثَلُ الْآخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : مَنْ يَطْلُ ذَيْلَهُ يَتَمَنَّقُ بِهِ ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَثَلِ
الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَأَنْفَقَ فِي غَيْرِ مَا يَلْزَمُهُ
الِإِنْفَاقَ فِيهِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : خَيْرُ بَثْرٍ فِي الْأَرْضِ زَمْزَمٌ ، وَشَرُّ بَثْرٍ فِي الْأَرْضِ بَرَهَوْتُ .
قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : هِيَ بَثْرٌ بِحَضْرَمَوْتَ يُرْوَى أَنَّ فِيهَا أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ .
قَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ قَالَ : نَجِدُ
فِيهَا الرَّائِحَةَ الْمُنِنَةَ الْفَظِيحَةَ جَدًّا ، ثُمَّ نَمُكُثُ حِينَئِذٍ نَأْتِينَا الْخَبْرُ بِأَنَّ عُظَمَاءَ
الْكُفَّارِ قَدْ مَاتَ ، فَتَرَى أَنَّ تِلْكَ الرَّائِحَةَ مِنْهُ ، قَالَ : وَرَبَّمَا سَمِعَ مِنْهَا مِثْلَ أَصْوَاتِ الْحَاجِّ ،
فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْشِيَ بِهَا .

(١) اللسان (نطق) ، من غير نسبة .

ومنها قوله عليه السلام : أَيْتِمَا رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَجْنُونَةً ، أَوْ جَذْمَاءً ، أَوْ بَرَصَاءً ، أَوْ بِهَا قَرْنٌ ؛ فَهِيَ امْرَأَتُهُ ، إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ .

قال ابن قتيبة : الْقَرْنُ بِالتَّسْكِينِ : الْعُقْلَةُ الصَّغِيرَةُ ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ شَرِيحَاتِهِ اخْتَصِمَ إِلَيْهِ فِي قَرْنٍ بَجَارِيَةٍ ، فَقَالَ : أَقْعِدُوهَا فَإِنْ أَصَابَ الْأَرْضَ فَهُوَ عَيْبٌ ، وَإِنْ لَمْ يُصِْبِ الْأَرْضَ فَالَيْسَ بِعَيْبٍ .

ومنها قوله عليه السلام : لَوْ دَّ مَعَاوِيَةُ أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ نَافِخُ ضِرْمَةٍ إِلَّا طَعَنَ فِي نَيْطِهِ .

قال ابن قتيبة : الضَّرْمَةُ النَّارُ ؛ وَمَا بِالْدارِ نَافِخُ ضِرْمَةٍ ، أَيُّ مَا بِهَا أَحَدٌ .
قال : وقال أبو حاتم عن أبي زيد : طَعَنَ فُلَانٌ فِي نَيْطِ مَا فِي جِنَازَتِهِ ، وَمِنْ أَيْتِمَاءٍ فِي شَيْءٍ أَوْ دَخَلَ فِيهِ فَقَدْ طَعَنَ فِيهِ ، قَالَ : وَيُقَالُ : النَّيْطُ : الْمَوْتُ ، رَمَاهُ اللَّهُ بِالنَّيْطِ ؛ قَالَ : وَقَدْ رَوَى «إِلَّا طَعَنَ» بضم الطاء ، وهذا الراوى يذهب إلى أن النَيْطَ نَيْطُ الْقَلْبِ ، وَهِيَ عَلاقَةُ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا ، فَإِذَا طَعَنَ إِنْسَانٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَاتَ .

ومنها قوله عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ ابْنَ لِي يَتَنَّى فِي الْأَرْضِ ، فَضَاقَ بِذَلِكَ ذَرْعًا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ السَّكِينَةَ ، وَهِيَ رِيحٌ خَجْجُوجٌ ، فَتَطَوَّقَتْ^(١) حَوْلَ الْبَيْتِ كَالْحِجَّةِ .

وقال ابن قتيبة : الْخَجْجُوجُ مِنَ الرِّيحِ : السَّرِيعَةُ لِلرَّوْرِ ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا : خَجْجَوْجَاءُ ،

قال ابن أحرر :

(١) كذا في ب ، وفي أ ، د : « تَطَوَّقَتْ » .

هُوَ جَاهُ رَغَبِ السَّلَامَةِ الرَّوَاحُ خَجَوُ جَاءَ الْغُدُوَّ وَوَأَحْمَا شَهْرُ^(١)

قال : وهذا مثلُ حديثٍ عليٍّ عليه السلام الآخر ، وهو أنه قال : السَّكِينَةُ لها وجهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ ، وهي بعدُ رِيحٌ هَفَافَةٌ ، أي خفيفةٌ سريعةٌ ، والحَجَفَةُ : الثُّرْسُ .

ومنها أن مَكَاتِبًا لِبَعْضِ بَنِي أَسَدٍ ، قال : جِئْتُ بِتَقْدِيرٍ أُجِلُّ بِهِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَاتَّهَيْتُ بِهِ إِلَى الْجِسْرِ ، فَإِنِّي لَأُسَرِّبُهُ عَلَيْهِ إِذَا أَقْبَلَ مُوَلَّى بَكْرٍ بْنِ وَائِلٍ بِتَخْلُلِ الْغَنَمِ لِيَقْطَعَهَا ، فَفَنَفَرْتُ نَقْدَةً ، فَقَطَّرْتُ الرَّجُلَ فِي الثُّرَاتِ ، فَفَرَّقِي ، فَأَخَذْتُ . فَارْتَفَعْنَا إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا فَإِنِ عَرَفْتُمُ النَّقْدَةَ بَعَيْنَهَا فَأَدْفَعُوهَا إِلَيْهِمْ . وَإِنِ اخْتَلَطَتْ عَلَيْكُمْ فَأَدْفَعُوا شَرَّوَاهَا مِنَ الْغَنَمِ إِلَيْهِمْ .

قال ابن قتيبة : النَّقْدُ : غَنَمٌ صِفَارٌ ، الْوَاحِدَةُ نَقْدَةٌ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ : « أَذِلَّ مِنَ النَّقْدِ » .

وقوله : « أُسَرِّبُهُ » أي أُرْسِلُهُ قِطْعَةً قِطْعَةً . وَشَرَّوَاهَا : مِثْلُهَا .

ومنها قوله عليه السلام في ذِكْرِ الْمُهَدِّيِّ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ رَجُلٌ أَجَلِي الْجَمِينِ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، ضَخْمُ الْبَطْنِ ، أَرْبَلُ الْفَخْذَيْنِ ، أَفْلَجُ الشَّيْأَا ، بَفَخِذِهِ الْيَمَنِ شَامَةٌ .

قال ابن قتيبة : الْأَجَلِيُّ وَالْأَجْلَحُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَالْقَنَا فِي الْأَنْفِ : طَوْلُهُ وَدِقَّةُ أَرْبَبَتِهِ

وَحَدَّثَ فِي وَسْطِهِ . وَالْأَرْبَلُ الْفَخِذَيْنِ : المتباعدُ ما بينهما ، وهو كالأفْحَجِ ؛ نَرَبْلُ الشَّيْءِ ؛
أَي انْفَرَجَ ، وَالْفَلَجُ : سَفْرَةٌ فِي الْأَسْنَانِ .

ومنها قوله عليه السلام : إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَا يَزَالُونَ يَطْعُنُونَ فِي مَسْجَلِ ضَلَالَةٍ ، وَلَهُمْ
فِي الْأَرْضِ أَجَلٌ حَتَّى يُهْرَبُوا الدَّمَ الْحَرَامَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
غِرْنُوقٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَغَبَّطُ فِي دَمِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ عَازِرٌ ، وَلَمْ يَبْقَ
لَهُمْ مُلْكٌ ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : هُوَ مِنْ قَوْلِكَ : رَكِبَ فُلَانٌ مَسْجَلَهُ ، إِذَا جَدَّ فِي أَمْرٍ هُوَ فِيهِ
كَلَامًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ ، وَهُوَ مِنَ السَّحْلِ وَهُوَ الصَّبُّ . وَالْغِرْنُوقُ : الشَّابُّ .
قُلْتُ : وَالْغِرْنُوقُ الْقُرَشِيُّ الَّذِي قَتَلُوهُ ، ثُمَّ انْقَضَى أَمْرُهُمْ عَقِيبَ قَتْلِهِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ ،
وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَةُ فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ ، فَقِيلَ : قُتِلَ بِالسَّيْفِ ؛ وَقِيلَ : خُنِقَ فِي جِرَابٍ فِيهِ
نُورَةٌ ، وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسْنِدُ الرِّوَايَةَ الْأُولَى .

ومنها ما رَوَى أَنَّهُ اشْتَرَى قَيْصًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَا مِنْ رِيَاشِهِ .
قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : الرِّيشُ وَالرِّيشُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْكِسْوَةُ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ ، وَقُرِئَ : ﴿ وَرِيَاشًا ﴾ .

ومنها قوله عليه السلام : لَا قَوَدَ إِلَّا بِالْأَسَلِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : هُوَ مَا أَرْهَفَ وَأَرِقَّ مِنَ الْحَدِيدِ ، كَالسَّنَانِ وَالسِّيفِ وَالسَّكِينِ ؛
وَمِنْهُ قِيلَ : أَسَلَةُ الذَّرَاعِ لَمَّا اسْتَدَقَّ مِنْهُ ، قَالَ : وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ

وقومٌ من الناس يقولون : قد يجوز أن القود بغير الحديد كالحجر والمصا إن كان المقتول قُتل بغير ذلك .

ومنها أنه عليه السلام رأى رجلاً في الشمس، فقال : قم عنها فإنها مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ، تُثْقِلُ الرِّيحَ ، وتُبَلِّى الثَّوبَ ، وتُظْهِرُ الدَّاءَ الدِّفِينَ .

قال ابن قتيبة : مَبْخَرَةٌ : تَوْرِثُ الْبَخْرَ فِي الْقَمَرِ . وَتَجْفَرَةٌ : تَقْطَعُ عَنِ النَّكَاحِ وَتُذْهِبُ شَهْوَةَ الْجَمَاعِ ، يقال جفَر الفحل سن الإبل ؛ إذا أَكْثَرَ الضَّرَابَ حَتَّى يَمْلَأَ وَيَنْقَطِعَ ، ومثله قَذَرَ ، وَتَقَذَّرَ ، قَذُوراً ، ومثله أَقْطَعَ فهو مقطوع .

وجاء في الحديث أن عثمان بن مظعون قال : يا رسول الله ، إني رجل تشقُّ عليَّ العُزْبَةُ فِي الْمَغَارِي ، أَفْتَأْذِنُ لِي فِي الْخِصَاءِ ؟ قال : لا ، ولكن عليك بالصَّوْمِ فَإِنَّهُ يُجْفِرُ .

قال : وقد رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْهُ ، قَالَ : تَكَلَّمَ أَعْرَابِي فَقَالَ : لَا تَنْكَحَنَّ وَاحِدَةً فَتَحِيضَ إِذَا حَاضَتْ ، وَتَرْضَ إِذَا مَرَضَتْ ، وَلَا تَنْكَحَنَّ اثْنَتَيْنِ فَتَكُونَ بَيْنَ ضَرَّتَيْنِ وَلَا تَنْكَحَنَّ ثَلَاثًا فَتَكُونَ بَيْنَ أَثَافٍ ، وَلَا تَنْكَحَنَّ أَرْبَعًا فَيَفْلِسَنَّكَ وَيَهْرِمَنَّكَ وَيُنْجِلَنَّكَ وَيُجْفِرَنَّكَ قَلِيلَ لَه : لَقَدْ حَرَّمْتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كُوزَانِ ، وَقُرْصَانِ ، وَطُمْرَانِ وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ ، وَقَوْلُهُ «تُثْقِلُ الرِّيحَ» ، أَيْ تُثْقِلُهَا ، وَالْأَسْمُ الثَّقِيلُ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «وَلِيُخْرِجَنَّ ثَفَلَاتٍ» . وَالْدَّاءُ الدِّفِينُ ؛ الْمُسْتَرْ الَّذِي قَدْ قَهَرَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، فَالْشَّمْسُ تُعِينُهُ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَتُظْهِرُهُ .

ومنها قوله عليه السلام وهو يذكر مسجد الكوفة في زاويته : فَارَ التَّنَوُّرِ ، وَفِيهِ هَلَاكُ يَفُوتٍ وَيَمُوتٍ ، وَهُوَ الْفَارُوقُ ، وَمِنْهُ يَسْتَرِ جَبَلُ الْأَهْوَازِ ، وَوَسَمَّاهُ عَلَى رَوْضَةٍ مِنْ

رياض الجنة ، وفيه ثلاثُ أعينٍ أنبتت بالضَّغْثِ ، تذهب الرجس ، وتطهر المؤمنين : عَيْنُ
من لبن ، وعَيْنُ من دُهْنٍ ، وعَيْنُ من ماء ، جانبهُ الأيمن ذِكْرٌ ، وفي جانبهِ الأيسر
مَكْرٌ ، ولو يعلم الناسُ ما فيه من الفضل لآتَوْهُ ولو حبواً .

قال ابن قتيبة : قوله : « أنبتت بالضَّغْثِ » أحسبه الضَّغْثُ الذي ضرب أيوب أهله .
والعين التي ظهرت لما رَكَضَ الماءُ برجله . قال : والباءُ في « بالضَّغْثِ » زائدة ، تقديره :
أنبتت الضَّغْثُ ، كقوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ^(١) ﴾ ، وكقوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا
عِبَادُ اللَّهِ ^(٢) ﴾ .

وأما قوله : « في جانبهِ الأيمن ذِكْرٌ » ، فإنه يعني الصلاة . و« في جانبهِ الأيسر مَكْرٌ »
أراه أراد به المكْرَ به حتى قُتِلَ عليه السلام في مسجد الكوفة .

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا رافع مولاه يتلقى جعفرَ بنَ أبي
طالب لما قَدِمَ من الحبشة ، فأعطاه عليٌّ عليه السلام حَتِيًّا وعُكَّةَ سَمْنٍ ، وقال له : أنا أعلم
بجعفر أنه إن علمَ رآه مرة واحدة ثم أطعمه ، فادفع هذا السَّمْنَ إلى أسماء بنتِ عميس
تذهنُ به بنى أخى من صَترِ البَحر ، وتطعمهم من الحَتِيِّ .

قال ابن قتيبة : الحَتِيٌّ : سَوِيقٌ يُتَّخَذُ مِنَ اللَّقْلِ ، قال الهذلي يذكُرُ أضيافه :

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ أَطْعَمْتَ نَازِلَكُمْ قَرَفَ الْحَتِيِّ وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ ^(٣)

(١) سورة المؤمن : ٢٠

(٢) سورة الدهر : ٦

وقوله : « ثَرَاه مَرَّة » أى بَلَّه دَفْعَةً واحدة وأطعمه الناس ، والثرا : النَّدَا . وصَمَرَ البحر نَدَنَهُ وَغَمَقَهُ ، ومنه قيل للدُّبُر الصَّكَّارَى .

ومنها قوله عليه السلام يوم الشُّورَى لما تَكَلَّمَ : الحمد لله الذى اتَّخَذَ مُحَمَّدًا مِنَّا نَبِيًّا ، وابتَعَثَهُ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَتَحَنَّنَ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيَّةِ ، وَمَعَدَنَ الْحِكْمَةَ ؛ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ طَلَبَ ، إِنْ لَنَا حَاجَةٌ إِنْ نَعِظُهُ بِأَخْذِهِ ، وَإِنْ نَمْنَعُهُ نَرْكَبُ أَهْجَازَ الْإِبِلِ ، وَإِنْ طَالَ الشَّرَى ، لَوْ عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا لَجَالَدْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ ، أَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا لَا نَفْذُهُ قَوْلُهُ عَلَى رَغْنِنَا . لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى صَلَاةٍ رَحِمَ وَدَعَاةٍ حَقَّ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ يَا بَنَ عَوْفٍ عَلَى صِدْقِ النَّيَّةِ ، وَجُهْدِ النَّصْحِ ؛ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

قال ابن قتيبة : أى أن معناه رَكِبْنَا مَرْكَبَ الضَّمِّمِ وَالذَّلِّ ، لِأَنَّ رَاكِبَ عَجْزِ الْبَعِيرِ يَجِدُ مَشَقَّةً ، لَا سِيَّمَا إِذَا تَطَاوَلَ بِهِ الرِّكُوبُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : نَصَبَ عَلَى أَنْ نَكُونَ أَتْبَاعًا لغيرِنَا ، لِأَنَّ رَاكِبَ عَجْزِ الْبَعِيرِ يَكُونُ رِدْفًا لغيرِهِ .

ومنها قوله عليه السلام لما قَتَلَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ : غَمَصَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَنَقَصَ الْأَشْيَاءَ . قال ابن قتيبة : يُقَالُ غَمَصْتُ فَلَانًا أَغْمِصُهُ وَاغْتَمَصْتُهُ إِذَا اسْتَصَغَّرْتَهُ وَاحْتَقَرَّتَهُ ، قَالَ : وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَقَصَ الْخَلْقَ مِنْ عَظَمِ الْأَبْدَانِ وَطَوَّلَهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْبَطَاشِ وَطَوَّلَ الْعُمُرَ وَنَحَوَ ذَلِكَ .

ومنها أَنَّ سَلَامَةَ الْكَنْدِيِّ قَالَ : كَانَ عَلَىَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَلْمِنَا الصَّلَاةَ عَلَى

رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : اللهم داحي المدحوات ، وبارئ السموات ، وجبار القلوب على فطراتها ، شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونواحي بركاتك ، ورأفة تحياتك ، على محمد عبدك ورسولك ، الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعز الحق بالحق ، والدامع جيئات الأباطيل ، كاحتمته فاضطلع بأمرك لطاعتك ، مستوفزاً في مرضاتك ، لغير نكّل في قديم ، ولا وهن في عزم ، داعياً لوحيك ، حافظاً لعهديك ، ماضياً على نفاذ أمرك ، حتى أوري قبساً لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه به ، هديت القلوب بعد خووضات الفتن والإثم ، موضحات الأعلام ، ونائرات الأحكام ، ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازنك للخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيذك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة . اللهم أفسح له مفسحاً في عدلك ، واجزه مضاعفات انتخير من فضلك ، مهنات غير مكدرات ، من فوز ثوابك المحلول ، وجزل عطائك العلول ، اللهم أعل على بناء البانين بناءه ، وأكرم مشواه لديك ونزله وأنم له نوره ، واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة ، مرضى المقالة ، ذا منطق عدل ، وخطّة فصل ، وبرهان عظيم .

قال ابن قتيبة : داحي المدحوات ، أي باسط الأرضين ، وكان الله تعالى خالقها ربوة ثم بسطها ، قال سبجانه ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾^(١) ؛ وكل شيء بسطته فقد دحوته ومنه قيل لموضع بيض التعمامة أدحى ، لأنها تدحوه للبيض أي توسعه ، ووژه أفعول . وبارئ السموات : خالق السموات . وكل شيء رفعته وأعليته فقد سمكته ، وسمك البيت والحائط ارتفاعه ، قال الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

وقوله : جَبَّارُ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَاتِهَا . من قولك جَبَرْتَ الْعَظْمَ فَجَبَرَهُ إِذَا كَانَ مَكْسُورًا فَلَأَمَّتَهُ وَأَقَمَّتَهُ ، كَأَنَّهُ أَقَامَ الْقُلُوبَ وَأَثْبَتَهَا عَلَى مَا فُطِرَ هَا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْإِفْرَارِ بِهِ ، شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا ، قَالَ : وَلَمْ أَجْعَلْ جَبَّارًا هَاهُنَا ، مِنْ أَجْبَرْتُ فَلَانًا عَلَى الْأَمْرِ إِذَا أَدْخَلْتَهُ فِيهِ كَرْهًا ، وَقَسَرْتَهُ ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ مِنْ أَفْعَلٍ فَعَالٌ ، لَا أَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْقُرَّاءِ قَرَأَ ﴿ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(١) بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ ، وَقَالَ : الرَّشَادُ اللَّهُ ، فَهَذَا فَعَالٌ مِنْ أَفْعَلٍ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ شَادَّةٍ ، غَيْرُ مُسْتَعْمَلَةٍ ، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ ^(٢) فَإِنَّهُ أَرَادَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمَسْطٍ تَسْلِيطِ الْمُلُوكِ . وَالْجَبَّارُ : الْمُلُوكُ ، وَأَعْتَبَارُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ ﴾ ^(٣) أَيْ بِمُسَلِّطٍ تَسْلُطِ الْمُلُوكِ ، فَإِنْ كَانَ يَحُوزُ أَنْ يُقَالَ مِنْ أَجْبَرْتُ فَلَانًا عَلَى الْأَمْرِ أَنَا جَبَّارٌ لَهُ ، وَكَانَ هَذَا مُحْفُوظًا ، فَقَدْ يَحُوزُ أَنْ يُجْعَلَ قَوْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَبَّارُ الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَحْسَنُ فِي الْمَعْنَى .

وقوله : « الدَّمَاعُ جَيْشَاتُ الْأَبَاطِيلِ » ، أَيْ مُهْلِكُ مَا نَجَّمَ وَأَرْتَفَعَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ ، وَأَصْلُ الدَّمَاعِ مِنَ الدَّمَاعِ ، كَأَنَّهُ الَّذِي يَضْرِبُ وَسَطَ الرَّأْسِ فَيَدْمَعُهُ أَيْ يَصِيبُ الدَّمَاعُ مِنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ^(٤) أَيْ يُبْطِلُهُ وَالِدَّمَاعُ مَقْتَلٌ ، فَإِذَا أَصِيبَ هَلَكَ صَاحِبُهُ .

وجَيْشَاتُ : مَأْخُودٌ مِنْ جَاشَ الشَّيْءُ أَيْ ارْتَفَعَ ، وَجَاشَ الْمَاءُ إِذَا طَفَى ، وَجَاشَتِ النَّفْسُ .

وقوله : « كَمَا حَمَلُ فَأَضْطَلَعَ » افْتَعَلَ مِنَ الضَّلَاعَةِ وَهِيَ الْقُوَّةُ .

(٢) سورة ق : ٤٥ .

(٤) الأنبياء : ١٨ .

(١) سورة المؤمنین : ٣٨ .

(٣) سورة النّاشیة : ٢٢ .

وقوله : « لغير نُكُلٍ في قَدَمٍ » ، النُّكُلُ : مَصْدَرٌ وهو النُّكُول ، يقال : نَكَلَ فلانٌ عن الأمرِ يَنْكُلُ يَنْكُلُ نُكُولًا ، فهذا المشهورُ ونَكَلَ بالكسر يَنْكُلُ نُكَلًا قليلة .

والقَدَمُ : التقدم ، قال أبو زيد : رجلٌ مَقْدَامٌ إذا كان شجاعا ، فالقدم يجوز أن يكون بمعنى التقدم ، وبمعنى المتقدم .

قوله : « ولا وَهْنٌ في عَزْمٍ » ، أى ولا ضَعْفٌ في رأى .

وقوله : « حتى أورى قَبَسًا لِقَابِسٍ » ، أى أظهر نورا من الحق ، يقال : أَوْرَيْتُ النارَ إذا قَدَحْتَ ما ظهر بها ، قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله : « آلاءُ الله تصلُ بأهله أسبابه » ، يريد نعم الله تصلُ بأهلٍ ذلك القَبَسُ ، وهو الإسلام والحق سبحانه أسبابه وأهله ، المؤمنون به .

قلتُ : تقديرُ الكلامِ حتى أورى قَبَسًا لِقَابِسٍ : تصلُ أسبابُ ذلك القَبَسِ آلاءُ الله ونِعَمُهُ بأهله المؤمنين به . وأعلم أن اللام في « لغير نُكُلٍ » متعلقة بقوله : « مستوفزا » ، أى هو مُستوفزٌ لغير نُكُولٍ ، بل للخوف منك ، والخضوع لك .

قال ابنُ قتيبة : قوله عليه السلام : « به هُديت القلوب بعدَ الكُفر ، والفتن موضحات الأعلام » ، أى هديته لموضحات الأعلام ؛ يقال هَدَيْتَ الطريقَ والطَّرِيقَ وإلى الطريق .

وقوله : « نائرات الأحكام ، ومُنيرات الإسلام » ، يريد الواضحات البينات ، يقال : نار الشيء وأَنَارَ ، إذا وَضَحَ .

وقوله : « شَهِيدك يومَ الدين » ، أى الشاهد على الناس يومَ القيامة . وَبَعِثُكَ رَحَّةً ، أى مَبْعُوثُكَ ، فَعِيلٌ في معنى مَفْعُول .

وقوله : « افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا » ؛ أى أَوْسِعْ لَهُ سَعَةً ؛ وَرُوي « مُفْنَسِحًا » بـالتاء .
وقوله : « فِي عَذْلِكَ » أى فِي دَارِ عَذْلِكَ ، يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ رِوَاةٍ « عَذْلِكَ »
بـالتون ، أَرَادَ جَنَّةَ عَذْنٍ .

وقوله : « مِنْ جَزَلٍ عَطَائِكَ الْمَعْلُولِ » ، مِنْ الْعَمَلِ ، وَهُوَ الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ ،
فَالشُّرْبُ الْأَوَّلُ نَهْلٌ ، وَالثَّانِي عَمَلٌ ، يَرِيدُ أَنْ عَطَاءَهُ عَزَّ وَجَلَّ مُضَاعَفٌ ، كَأَنَّهُ يَعْمَلُ
عِبَادَةً ، أَيْ يُعْطِيهِمْ عَطَاءً بَعْدَ عَطَاءٍ .

وقوله : « أَعْلٍ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءً » ، أَيْ أَرْفَعَ فَوْقَ أَعْمَالِ الْإِبْرَاهِيمِ عَمَلَهُ . وَأَكْرَمَ
مَنْوَاهُ ، أَيْ مَنْزِلَتَهُ ، مِنْ قَوْلِكَ : نَوَيْتُ بِالْمَسْكَانِ أَيْ نَزَلْتُهُ وَأَقَمْتُ بِهِ ، وَنَزَلَهُ : رَزَقَهُ .
وَنَحْنُ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَمَا تَقَدَّمَ عَلَى رِوَايَةِ الرَّضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهِيَ
مُخَالَفَةٌ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ ، وَشَرَحْنَا مَا رَوَاهُ الرَّضِيُّ ، وَذَكَرْنَا الْآنَ مَا رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَشَرَحَهُ
لأنه لَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ .

ومنها قوله عليه السلام : « خُذِ الْحِكْمَةَ أَتَى أَتْنُكَ » ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَكُونُ
فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَكْجَاجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَسْكُنَ إِلَى صَاحِبِهَا .

قال ابن قتيبة : يَرِيدُ الْكَلِمَةَ قَدْ يَعْلَمُهَا الْمُنَافِقُ فَلَا تَزَالُ تَتَحَرَّكُ فِي صَدْرِهِ
وَلَا تَسْكُنُ حَتَّى يَسْمَعَهَا مِنْهُ الْمُؤْمِنُ أَوْ الْعَالِمُ فَيَعْبِيهَا وَيَنْقُفُهَا وَيَفْقَهَا مِنْهُ ، فَتَسْكُنُ فِي
صَدْرِهِ إِلَى أَخَوَاتِهَا مِنْ كَلِمِ الْحِكْمَةِ .

ومنها قوله عليه السلام : الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ نِتَاقُ الْكَعْبَةِ مِنْ فَوْقِهَا .
قال ابن قتيبة : نِتَاقُ الْكَعْبَةِ ، أَيْ مُظَلٌّ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقِهَا ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَنَّةَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ (١)، أَيْ زُعِزِعَ فَأُظْلِمَ عَلَيْهِمْ .

ومنها قوله عليه السلام : «أَنَا قَسِيمُ النَّارِ» ، قال ابن قتيبة : أراد أن الناس فريقان ! فريقٌ معي فهم على هُدًى ، وفريقٌ عليّ فهم على ضلالة ، كَالْخَوَارِجِ ، وَلَمْ يَحْسُرْ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنْ يَقُولَ : «وَكَا هَلِ الشَّامُ» بِتَوَرُّعٍ يَزْعُمُ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَنْطَقَهُ بِمَا تَوَرَّعَ عَنْ ذِكْرِهِ ، فَقَالَ مُتَمِّعًا لِلْكَلَامِ بِقَوْلِهِ : فَأَنَا قَسِيمُ النَّارِ ، نَصَفْتُ فِي الْجَنَّةِ مَعِيَ ، وَنَصَفْتُ فِي النَّارِ ؛ قَالَ : وَقَسِيمٌ فِي مَعْنَى مُقَابِلٍ ، مِثْلُ جَابِسٍ وَأَكِيلٍ وَشَرِيبٍ .

قلت : قد ذكر أبو عبيد الهَرَوِيُّ هذه الكلمة في الجمع بين الغريبين ؛ قال : وقال قوم : إنه لم يُرد ما ذَكَرَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ : هُوَ قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقِيقَةً ، يَقْسِمُ الْأُمَّةَ ، فَيَقُولُ : هَذَا لِلْجَنَّةِ ، وَهَذَا لِلنَّارِ . وَهَذَا تَحْقِيقٌ كَمَا تَبَيَّنَ مِنْ عِلْمِ رَسُوْلِي

[خطبة منسوبة للإمام عليّ خالية من حرف الألف]

وأنا الآن أذكرُ من كلامه الغريب ما لم يُورِدْهُ أبو عبيد وابن قتيبة في كلامهما وأشرحهُ أيضاً ، وهي خطبة رَوَاهَا كثيرٌ من الناس له عليه السلام خاليةً من حرف الألف ؛ قالوا : تذاكر^(١) قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله : أي حروف الهجاء أدخل في الكلام ؟ فأجمعوا على الألف ، فقال عليّ عليه السلام :

حَدَّثْتُ مَنْ عَظُمَتْ مَنَّتُهُ ، وَسَبَقَتْ نَعْمَتُهُ ، وَسَبَقَتْ غَضَبُهُ رَحْمَتُهُ ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَنَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ ، وَبَلَغَتْ قَضِيَّتُهُ ؛ حَدَّثْتُهُ حَدَّ مُقَرَّرٍ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، مُتَخَضِعٍ لِعِبَادِيَّتِهِ ، مُتَنَصِّلٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، مُتَفَرِّدٍ بِتَوْحِيدِهِ ، مُؤَمِّلٍ مِنْهُ مَغْفَرَةً تُنْجِيهِ ، يَوْمَ يُشْمَلُ عَنْ فَصِيائِهِ وَبَنِيهِ .

مركز تحقيق كتاب تبيين علوم اسلامی

وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَرْشُدُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَشَهِدْتُ لَهُ شَهَادَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ ، وَفَرَّدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ مُتَيَقِّنٍ ، وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مُذْعِنٍ ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صَنِيعِهِ ، جَلَّ عَنْ مَشِيرِ وَوَزِيرٍ ، وَعَنْ عَوْنٍ مُعِينٍ وَنَصِيرٍ وَنَظِيرٍ .

عَلِمَ فَسْتَر ، وَبَطَّنَ نَجَرَ ، وَمَلَكَ فَفَهَرَ ، وَعُصِيَ فَفَفَرَ ، وَحَكَّمَ فَفَدَّلَ ، لَمْ يَزَلْ وَلَنْ يَزُولَ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(٢) ، وَهُوَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ رَبٌّ مُتَعَزِّزٌ بِعَزَّتِهِ ، مُتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ ، مُتَقَدِّسٌ بِعُلُوِّهِ ، مُتَكَبِّرٌ بِسَمَوِّهِ ، لَيْسَ يَدْرِكُهُ بَصَرٌ ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ نَظَرٌ ، قَوِيٌّ مُنِيعٌ ، بَصِيرٌ سَمِيعٌ ، رَهَوفٌ رَحِيمٌ .

عَجَزَ عَنْ وَصْفِهِ مِنْ يَصِفُهُ ، وَضَلَّ عَنْ نَعْتِهِ مَنْ يَعْرِفُهُ .

(١) في الأصل : « تذاكر » ؛ تصحيف .

(٢) سورة الشورى : ١١

قَرُبَ قَبْعَدَ ، وَبُعْدَ قَرُبَ ، يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ ، وَيَرْزُقُهُ وَيَحْبُوهُ ، ذُو لَطْفٍ خَفِيٍّ ، وَبَطْشٍ قَوِيٍّ ، وَرَحْمَةٍ مُوسِعَةٍ ، وَعَقُوبَةٍ مُوجِعَةٍ ، رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُوَقَّةٌ ، وَعَقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مُمَدَّودَةٌ مُوَقَّةٌ .

وَشَهِدَتْ بَيْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، وَعَبْدُهُ وَصَفِيُّهُ ، وَنَبِيُّهُ وَنَجِيُّهُ ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ ، وَحِينَ فَتْرَةٍ وَكَفَرٍ ، رَحْمَةً لِمُسْلِمِهِ ، وَمِنَّةً لِمُزِيدِهِ ، خَتَمَ بِهِ نَبُوَّتَهُ ، وَشَيَّدَ بِهِ حُجَّتَهُ ، فَوَعظَ وَنَصَحَ ، وَبَلَّغَ وَكَدَحَ ، رَهَوفٌ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، رَحِيمٌ سَخِيٌّ ، رَضِيَ وَلِيُّ زَكِيٍّ ، عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ ، وَبِرَكَّةٌ وَتَكْرِيمٌ ، مِنْ رَبِّ غَفُورٍ رَحِيمٍ ، قَرِيبٍ مُجِيبٍ .

وَصَيَّيْتُكُمْ مَعَشَرَ مِنْ حَضَرَتِي بِوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِرَحْمَةٍ تَسْكُنُ قُلُوبَكُمْ ، وَخَشْيَةٍ تَذَرِي دُمُوعَكُمْ ، وَتَقِيَّةٍ تَنْجِيكُمْ قَبْلَ يَوْمِ نُبُلِيِّكُمْ وَتَنْدَهِالِكُمْ ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقُلَ وَزْنُ حَسَنَتِهِ ، وَخَفَّ وَزْنُ سَيِّئَتِهِ ، وَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ وَتَمَلُّقُكُمْ مَسْأَلَةً ذَلٍّ وَخُضُوعٍ ، وَشُكْرِ وَخُشُوعٍ ، بِتَوْبَةٍ وَتَوَرُّعٍ ، وَتَدَمُّعٍ وَرَجُوعٍ ، وَلِيَغْنَمَ كُلُّ مُفْتَئِمٍ مِنْكُمْ حَقَّهُ قَبْلَ سَقْمِهِ ، وَشَيْبَتِهِ قَبْلَ هَرَمِهِ ، وَسَعَتَهُ قَبْلَ قَرَرِهِ ، وَفُرْغَتَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ ، وَحَضَرَتَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ ، قَبْلَ تَكْبُرٍ وَتَهَرُّمٍ وَتَسْقُمٍ ، يَسْأَلُهُ طَيْبُهُ ، وَيَعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ وَيَنْقَطِعُ غَدُّهُ ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ ، ثُمَّ قِيلَ : هُوَ مَوْعُودُكُمْ ، وَجَسَدُهُ مَنُوبُكُمْ ، ثُمَّ جُدَّ فِي نَزْعِ شَدِيدِهِ ، وَحَضَرَتُهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، فَشَخَصَ بَصَرُهُ ، وَطَمَحَ نَظَرُهُ ، وَرَشَّحَ جَبِينُهُ ، وَعَطَفَ عَرِيْنُهُ ، وَسَكَنَ حَبِينُهُ ، وَحَزَنَتُهُ نَفْسُهُ ، وَبَكَتُهُ عَرْسُهُ ، وَخَفَرَ رَأْسُهُ ، وَبَتَمَ مِنْهُ وَلَدُهُ ، وَتَفَرَّقَ مِنْهُ عَدَدُهُ ، وَقَسِمَ جَمْعُهُ ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ وَتَمَعَهُ ، وَمَدَّدَ وَجُرَّدَ ، وَغَرَى وَغِيلَ ، وَنَشَفَ وَسَجَى ، وَبُسِطَ لَهُ وَهْيُهُ ، وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ ، وَشُدَّ مِنْهُ دَقْنُهُ ، وَقُصَّ وَعَمَمٌ ، وَوُدِعَ وَسَامٌ ، وَوُحِلَ فَوْقَ سَرِيرٍ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ ، وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مُرْخَرَفَةٍ ، وَقُصُورٍ مُشِيدَةٍ ، وَحُجِّرَ مُنْجِدَةٍ ، وَجُمِلَ فِي ضَرْبِ مَلْحُودٍ

وضيق مرصود ، بدين منصود ، مسقف بجلود ، وهيل عليه جفود ، رحي عليه مدره ،
وتحقق حذره ، ونسي خبره ، ورجع عنه وليه وصفه ، وندمه ونسيبه ، وتبدل به قرينه
وحبيبه ، فهو حشوقير ، ورهين قفر ، يسمي بجسمه دود قبره ، ويسيل صديده من
منخريره ، يسحق تربه لحمه ، وينشف دمه ، ويرم عظمه حتى يوم حشره ،
فتش من قبره حين ينفخ في صور ، ويدعى بحشر ونشور .

فتم بعثت قبور ، وحصلت سريرة صدور ، وحي بكل نبي وصدق
وشهيد ، وتوحد الفصل قدير بعده خير بصير ، فكم من زفرة تضنيه ، وحسرة
تنضيه ، في موقف مهول ، ومشهد جليل ، بين يدي ملك عظيم ، وبكل صغير
وكبير عالم ، حينئذ يا حيه عرقه ، ويحصره قلعه ، عثرته غير مرحومة ، وصرخته
غير مسموعة ، وحجته غير مقبولة ، زالت جريدته ، ونشرت صحيفته ؛ نظر في سوء عمله ،
وشهدت عليه عينه بنظره ، وبدت ببطشه ، ورجله بخطوه ، وفرجه بلسه ، وجلده
بسمه ، فسلسل جيده ، وغلت يده ، وسبق ف سحب وحده ، فورد جهنم بكرم
وشدة ، فظل يعذب في جهنم ، ويشتى شربة من حميم ، تشوى وجهه ، وتسلخ
جلده ، وتضربه زبانية بمقمع من حديد ، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد ،
يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ، ويستصرخ فيلبث حبة يندم .

نعوذ برح قدير ، من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضى عنه ، ومفرة
من قبله ، فهو ولي مسألتي ، ومنجح طابتي ، فمن زخرح عن تعذيب ربه جعل
في جنته بقربه ، وخلد في قصور مشيدة ، وملك بحور عين وحفدة ، وطيف
عليه بكنوس ، أسكن في حظيرة قدوس ، وتقلب في نعيم ، وسقى من تسليم ،
وشرب من عين سلسيل ، ومزج له برنجيل ، تحتم بمسك ، وعير مستديم للملك ،
مستشعر للسرر ، يشرب من خور ، في روض مفدي ، ليس يصدع من شربه ،
وليس ينف .

هَذِهِ مَنْزِلَةٌ مِّنْ خَشْيِ رَبِّهِ ، وَحَذَرِ نَفْسِهِ مَعْصِيَتَهُ ، وَتِلْكَ عَقُوبَةُ مَنْ جَحَدَ
مَشِئَتَهُ ، وَسَوَّاتٌ لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَتَهُ ، فَهُوَ قَوْلٌ فَصْلٌ ، وَحُكْمٌ عَدْلٌ ، وَخَبَرٌ قَصَصٌ
قَصٌّ ، وَوَعْدٌ نَّصٌّ ، ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَنِيدٍ ﴾ ^(١) نَزَلَ بِهِ رُوحُ قُدُّسٍ مُّبِينٌ ،
عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مُّهْتَدٍ رَّشِيدٍ ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلُ سَفَرَةٍ ، مُكْرَمُونَ بِرَّوَّةٍ ، عُدَّتْ
رَبِّهِ عِلْمٌ ، رَحِيمٌ كَرِيمٌ ، مِّنْ ثَمَرِ كُلِّ عَدْوٍ لِّعَيْنٍ رَّجِيمٍ ، فَلْيَتَضَرَّعْ مُتَضَرِّعُكُمْ ،
وَلْيَبْتَهِلْ مُبْتَهِلُكُمْ ، وَلْيَسْتَغْفِرْ كُلُّ مَرْبُوبٍ مِّنْكُمْ لِي وَلَكُمْ ، وَحَسْبِيَ رَبِّي وَحْدَهُ .

البَيْتُ :

فَصِيلَةُ الرَّجُلِ : رَهْطُهُ الْأَذْنُونُ . وَكَدَحٌ : سَمَى سَعِيًّا فِيهِ نَعَبٌ ، وَفَرُغَتْهُ : الْوَاحِدَةُ
مِنَ الْفَرَاغِ ، تَقُولُ : فَرَغْتُ فَرُغَةً ، كَقَوْلِكَ : ضَرَبْتُ ضَرْبَةً . وَصَجَّى الْمَيِّتَ : بَسَطَ
عَلَيْهِ رِداءً . وَنَشَرَ الْمَيِّتَ مِنْ قَبْرِهِ بَفَتْحِ النَّوْنِ وَالشَّيْنِ ، وَأَنْشَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَبُعِثَتْ قُبُورٌ : انْتَثَرَتْ وَنَبِشَتْ .

قَوْلُهُ : « وَسِيقٌ بِسَحْبٍ وَحْدَهُ » ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَهُ غَيْرُهُ كَانَ كَالْمَأْسَى بِغَيْرِهِ ، فَكَانَ
أَخْفَ لَأَلْبِهِ وَعَذَابُهُ ، وَإِذَا كَانَ وَحْدَهُ كَانَ أَشَدَّ أَلَمًا وَأَهْوَلَ ، وَ« فَسِيرٌ » حَبٌّ
وَحْدَهُ ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى تَنَاسُبِ الْفَقْرَتَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنْفَعُ مَعْنَى .

وَزَيْبُذِيَّةٌ عَلَى وَزْنِ « عِفْرِيَّة » وَاحِدُ الزَّيْبَانِيَةِ ، وَهِيَ عِنْدَ الْعَرَبِ الشَّرْطُ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ
بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لَدَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا كَمَا يَفْعَلُ الشَّرْطُ فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ مَنْ
يَجْعَلُ وَاحِدَ الزَّيْبَانِيَةِ زَيْبًا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : زَابِنٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ ،
نَحْوُ أَبَائِيلَ وَعِبَادِيدَ ، وَأَصْلُ الزَّيْبِ فِي اللُّغَةِ الدَّفْعُ ، وَمِنْهُ نَاقَةُ زَيْبُون : تَضْرِبُ
حَالَهَا وَتَدْفَعُهُ .

وتقول : مَلِكٌ زَيْدٌ بِفَلَانَةٍ بَغِيرَ ، أَلِفٌ وَالْبَاءُ هَاهُنَا زَائِدَةٌ كَمَا زَيْدٌ فِي « كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا » ، وَإِنَّمَا حَكَمْنَا بِزِيَادَتِهَا لِأَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ : مَلَكَتُ أَنَا فَلَانَةٌ أَيْ تَزَوَّجْتُهَا وَأَمْلَكْتُ فَلَانَةً بِزَيْدٍ أَيْ تَزَوَّجْتُهَا بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْبَاءُ هَاهُنَا وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ الْأَلِفِ لِأَجْلِ مَجِيئِهَا جَمَلَتْنَاهَا زَائِدَةً ، وَصَارَ تَقْدِيرُهُ : وَمَلَكَتُ حُورًا عَيْنًا .

وقال المفسرون في تَسْنِيمٍ : إِنَّهُ اسْمٌ مَاءٌ فِي الْجَنَّةِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْرِي مِنْ فَوْقِ الْغُرُفِ وَالْقُصُورِ .

وقالوا في سَلْسَبِيلٍ : إِنَّهُ اسْمٌ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ لَيْسَ يُنْزِفُ وَلَا يُنْخَرُّ كَمَا يُنْخَرُّ شَارِبُ الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا .



انْقَضَى هَذَا الْفَصْلُ ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى سَائِرِ الْفُرُصِ الْأَوَّلِ .

الأصل :

وقال عليه السلام ، لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار ، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة ، وأذركم الناس وقالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن نكفيكم فقال عليه السلام :

وَاللَّهِ مَا تَكْفُونِي أَنْفُسَكُمْ ، فَكَيْفَ تَكْفُونِي غَيْرَكُمْ ! إِنْ كَانَتْ الرَّعَابَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَابِيهَا ، فَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي ، كَأَنِّي الْمَقُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ ، أَوْ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزَعَةُ .

قال : فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاراً في جملة الخطب ، تقدم إليه رجلان من أصحابه ؛ فقال أحدهما : ﴿ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ ^(١) ، فمرنا بأمر لك يا أمير المؤمنين ننفذ ^(٢) ، فقال : وَأَيْنَ تَعَاكَرٍ مِمَّا أُرِيدُ !

الشرح :

السنن : الطريقة ، يقال : تنح عن السنن ، أى عن وجه الطريق . والنخيلة : بظاهر الكوفة ، وروى « ما تكفوني » بحذف النون .

والحيف : الظلم .

والوزعة : جمع وازع ، وهو الدافع الكاف .

ومعنى قوله : « ما تكفوني أنفسكم » ، أى أفعالكم ردية قبيحة تحتاج إلى جند غيركم

(١) سورة المائدة : ٢٥

(٢) في الأصل : « ننفذ » ، تصحيف .

أستعين بهم على تثقيفكم وتهذيبكم ، فمن هذه حاله كيف أثقف به غيره ، وأهذب به سواه !

وإن كانت الرعايا : إن هاهنا مخففة من الثغيلة ، ولذلك دخلت اللام في جوابها .
وقد تقدم ذكرنا هذين الرجلين ، وإن أحدهما قال : يأمر المؤمنين ؛ أقول لك ماقاله العبد الصالح : (ربِّ إني لأملك إلا نفسي وأخي)^(۱) . فشكر لها وقال : وأين تعان مما أريد !



مركز تحقیقات کتب ویر علوم اسلامی

الأفضل :

وَقِيلَ : إِنَّ أُنْثَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَتَى عَدِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُرَانِي أُظُنُّ أَنَّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ ؟
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

بِأَحَارٍ ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحَنُّكَ ، وَلَمْ تَنْظُرْ فَرَقَكَ ، فَجِئْتَ ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْخُلُقَ
فَتَعْرِفُ أَهْلَهُ ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفُ مَنْ أَنَاهُ .
فَقَالَ أُنْثَارِثُ :

فَأَنَّى أُعْزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ .
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ سَعْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْخُلُقَ ، وَلَمْ يَتَّخِذَا الْهَاطِلَ .

الشرح :

اللفظة التي وردت قبل أحسن من هذه اللفظة ، وهي أولئك قومٌ خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ ، وتلك كانت حالتهم ، فإنهم خَذَلُوا عَالِيًا وَلَمْ يَنْصُرُوا مُعَاوِيَةَ وَلَا أَصْحَابَ الْجَمَلِ .
فَأَمَّا هَذِهِ اللفظة ففيها إشكال ؛ لأن سَعْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ لَعَمْرِي لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ ، وهو جانبُ عليٍّ عليه السلام ، لَكِنَّمَا خَذَلَا الْبَاطِلَ ، وهو جانبُ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِ الْجَمَلِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْصُرُوهُمْ فِي حَرْبٍ قَطَّ ، لَا بَأْسَهُمْ وَلَا بِأَمْوَالِهِمْ وَلَا بِأَوْلَادِهِمْ ، فَيَنْبَغِي

أن تتأول كلامه فنقول : إنه ليس بمعنى بالخذلان عدم المساعدة في الحرب ، بل بمعنى بالخذلان هاهنا كل ما أثر في تحق الباطل وإزالته ، قال الشاعر يصف قرّسا :

وهو كالدلّو بكفّ المستقي خذلت عنه العراقى فأخذم

أى بآيئته العراقى ، فلما كان كل مؤثر في إزالة شيء مباحثاً له نقل اللفظ بالأشتراك في الأمر العام إليه ، ولما كان سعداً وعبداً الله لم يقوموا خطيئين في الناس بعلماهم باطل معاوية وأصحاب الجمل ، ولم يكشفوا الأبس والشبهة الداخلة على الناس في حرب هذين الفريقين ، ولم يوضحوا وجوب طاعة علي عليه السلام فيرد الناس عن اتباع صاحب الجمل وأهل الشام صدق عليهما أنهما لم يخذلا الباطل . ويمكن أن يتأول على وجه آخر ، وذلك أنه قد جاء خذلت الوحشية إذا قامت على ولدها ، فيكون معنى قوله : « ولم يخذلا الباطل » ، أى لم يقموا عليه وينصروا ، فترجع هذه اللفظة إلى اللفظة الأولى ، وهى قوله : « أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل » .

والخارث بن حوط بالخاء المهملة . ويقال : إن الموجود في خط الرضى « ابن حوط »

بالخاء المعجمة المضمومة .

الأصل :

صاحبُ السُّلْطَانِ كِرَاكِبِ الْأَسَدِ بِمُطَبِّقِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ .

الشرح :

قد جاء في صُحْبَةِ السُّلْطَانِ أمثال حِكْمِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ تُنَاسِبُ هَذَا الْمَعْنَى ، أَوْ تَجْرِي
تَجَرَّاهُ فِي شَرْحِ حَالِ السُّلْطَانِ ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كِرَاكِبِ الْأَسَدِ يَهَابُهُ
النَّاسُ ، وَهُوَ لَمْزُ كُوبِهِ أَهْيَبُ .

مرکز تحقیق کتب و تاریخ علوم اسلامی

وَكَانَ يُقَالُ : إِذَا صَحَّحَتِ السُّلْطَانُ فَلْتَكُنْ مُدَارَاتُكَ لَهُ مُدَارَاةَ الْمَرَأَةِ الْقَبِيحَةِ
كَبْعَلِهَا الْمُبْغِضُ لَهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَدَعُ التَّصَنُّعَ لَهُ عَلَى حَالٍ .
قِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ : لِمَ لَا تَقْصِدُ الْأَمِيرَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرَاهُ يُعْطَى وَاحِدًا لغيرِ حَسَنَةٍ
وَلَا يَدِّ ، وَيَقْتُلُ آخَرَ بِلا سِنَةٍ وَلَا ذَنْبٍ ، وَلَسْتُ أَهْدِي أَيَّ الرَّجُلَيْنِ أَوْ كُنْ !
وَلَا أَرْجُو مِنْهُ مَقْدَارَ مَا أَخَاطِرُ بِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ : الْعَاقِلُ مَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ مِنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ عَفَا جَنَى عَلَيْهِ
الْعَفَافُ عِدَاوَةَ الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ بَسَطَ يَدَهُ جَنَى عَلَيْهِ الْبَسْطُ أَلْسِنَةَ الرِّعَايَةِ .
وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ مُخَيْمِدٍ يَقُولُ : عَمَلُ السُّلْطَانِ كَالْحَمَامِ ، الْخَارِجُ يُؤْثِرُ الدَّخُولَ ،
وَالدَّخِلُ يُؤْثِرُ الْخُرُوجَ .

ابن المقفع : إقبالُ السُّلْطَانِ عَلَى أَصْحَابِهِ نَعَبٌ ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُمْ مَذَلَّةٌ .

وقال آخر : السلطان إن أَرْضِيَّتَهُ أَتَمَّتَكَ ، وإنْ أَغْضَبْتَهُ أَعْطَيْتَكَ .

وكان يقال : إذا كنتَ مع السلطان فَكُنْ حَذِيراً مِنْهُ عِنْدَ تَقْرِيْبِهِ ، كَأَنَّما لِسِرِّهِ إِذَا اسْتَسْرَكَ ، وَأَمِيناً عَلَى مَا أَتَمَّتَكَ ، تَشْكُرْ لَهُ وَلَا تَكْلِفْهُ الشُّكْرَ لَكَ ، وَتَعْلَمْ وَكَأَنَّكَ تَعْلَمُ مِنْهُ ، وَتَوَدُّبُهُ وَكَأَنَّهُ يُوَدِّبُكَ ، بِصِرَافٍ بِهَوَاهُ ، مُؤَثِّراً لِمَنْفَعَتِهِ ، ذَلِيلاً إِنْ ضَامَكَ ، رَاضِياً إِنْ أَعْطَاكَ ، قَانِصاً إِنْ حَرَمَكَ ، وَإِلَّا فَأَبْعُدْ مِنْهُ كُلَّ الْبُعْدِ .

وقيل لبعض مَنْ يَخْدُمُ السُّلْطَانَ : لَا تَصْغُرْ بِهِمْ ، فَإِنْ مَثَلَهُمْ مَثَلُ قِدْرِ الثُّورِ ، كَلَّمَ مَتْنَهُ الْإِنْسَانُ أَسْوَدَ مِنْهُ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ خَارِجَ تِلْكَ الْقِدْرِ أَسْوَدَ فِدَاخِلِهَا أَبْيَضَ .
وكان يقال : أَفْضَلُ مَا عُوْشِرَ بِهِ الْمُلُوكُ قِلَّةُ الْخِلَافِ ، وَتَخْفِيفُ الْمُثُونَةِ .

وكان يقال : لَا يَقْدِرُ عَلَى صُحْبَةِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ يَسْتَقِلُّ بِمَا حَمَلُوهُ ، وَلَا يُلْحِفُ إِذَا سَأَلَهُمْ ، وَلَا يَفْتَرِ بِهِمْ إِذَا رَضُوا عَنْهُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمْ إِذَا سَخَطُوا عَلَيْهِ ، وَلَا يَطْعَنُ إِذَا سَخَطُوهُ ، وَلَا يَبْطُرُ إِذَا أَكْرَمُوهُ .

وكان يقال : إِذَا جَعَلَكَ السُّلْطَانُ أَخًا فَأَجْعَلْهُ رَبًّا ، وَإِنْ زَادَكَ فَرِزْدَهُ .

وقال أبو حازم : لِلْسُّلْطَانِ كَحْلٌ يَكْحُلُ بِهِ مَنْ يُؤَلِّيهِ ، فَلَا يُبْصِرُ حَتَّى يُعْزَلَ .

وكان يقال : لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ السُّلْطَانِ أَنْ يَبْتَدِئَهُ بِالسَّأَلَةِ عَنْ حَالِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ النَّوْكَى ^(١) وَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ : كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ ؟ فَقُلْ : صَبَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْكَرَامَةِ ، وَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ : كَيْفَ يَجِدُ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ ، فَقُلْ : وَهَبَ اللَّهُ الْأَمِيرَ الْعَافِيَةَ ؛ وَنَحْنُ هَذَا ، فَإِنَّ الْمَسْأَلَةَ تُوجِبُ الْجَوَابَ ، فَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ اشْتَدَّ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَجَابَكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ .

وكان يقال : صُحْبَةُ الْمُلُوكِ بَغِيرُ أَدَبٍ كَرَكُوبُ الْفَلَاحَةِ بِغَيْرِ مَاءٍ .

وكان يقال : ينبغي لمن صحب السلطان أن يستعدَّ للعذر عن ذنب لم يجنبه، وأن يكون آنس ما يكون به ، أوحش ما يكون منه .

وكان يقال : شدة الأقباض من السلطان تورث التهمة ، وسهولة الانبساط إليه تورث اللالة .

وكان يقال : اصحب السلطان بأعمال الخدر ، ورفض الدالة ، والاجتهاد في النصيحة ، وليكن رأس مالك عنده ثلاث : الرضا ، والصبر ، والصدق .

وأعلم أن لكل شيء حداً ، فما جاوزه كان شرفاً ، وما قصر عنه كان عجزاً ، فلا تبلغ بك نصيحة السلطان أن تُعادي حاشيته خاصة وأهله ، فإن ذلك ليس من حقه عليك ، وليكن أقصى لحقه عنك ، وأدعى لاستمرار السلامة لك ؛ أن تستصاح أولئك جهلك ، فإنك إذا فعلت ذلك شكركت نعمته ، وأمنت سطوته ، وقللت عدوك عنده ، وإذا جاريته عند السلطان كفوا من أكرامك فلتكن مجاراتك ومباراتك إياه بالحجة ، وإن عصبك ^(١) ، وبالرفق وإن خرف بك . واحذر أن يستلحك فتحصى ، فإن الغضب يسمى عن الفرصة ، ويقطع عن الحجة ، ويظهر عليك الخضم ، ولا تنور دن على السلطان بالدالة وإن كان أخاك ، ولا بالحجة وإن وثقت أنها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانت له دونك ، فإن السلطان يمرض له ثلاث دون ثلاث : القدرة دون الكرم ، والحمية دون النصفة ، والأعاج دون الخطأ .

(١) عصبك : كذبك .

الأصل :

أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تَحَفَّظُوا فِي عَقِبِكُمْ .

الشرح :

أكثر ما في هذه الدنيا يقع على سبيل القرض والمكافاة ، فقد رأينا عياناً من ظلم الناس فظلم عقبه وولده ، ورأينا من قتل الناس فقتل عقبه وولده ، ورأينا من أخرج دُوراً فأخرجت داره ، ورأينا من أحسن إلى أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلى عقبه وولده .

وقرأت في تاريخ أحمد بن طاهر^(١) أن الرشيد أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبة بقرعه بذنوبه ، ويقول له : كيف رأيت ! ألم أخرج دارك ؟ ألم أقتل ولدك جعفراً ؟ ألم أنهب مالك ؟ فقال يحيى للرسول : قل له : أما إخراجك داري فستخرج دارك ، وأما قتلك ولدي جعفراً فسيقتل ولدك محمد ، وأما نهبك مالي فسينهب مالك وخزانتك . فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجم طويلاً وحزن ، وقال : والله ليكونن ما قال ، فإنه لم يقل لي شيئاً قط إلا ، وكان كما قال ؛ فأخرجت^(٢) داره وهي الخلد في حصار بغداد ، وقتل ولده محمد ، ونهب ماله ، وخزائنه نهبا طاهر بن الحسين .

(١) هو أحمد بن طاهر صاحب تاريخ بغداد

(٢) : « خرجت »

الأفضل :

إنَّ كلامَ الحكماءِ إذا كانَ صواباً كانَ دواءً ، وإذا كانَ خطأً كانَ داءً .

الشيخ :

كلُّ كلامٍ يقلِّدُ المتكلمَ بهِ لحسنِ عقيدةِ الناسِ فيه نحوَ كلامِ الحكماءِ وكلامِ الفضلاءِ والعلماءِ من الناسِ إذا كانَ صواباً كانَ دواءً ، وإذا كانَ خطأً كانَ داءً ، لأنَّ الناسَ يَحذُّونَ حَدَّوْ المتكلمِ بهِ ، ويقلِّدونه فيما يتضمَّنُه ذلكَ الكلامُ من الآدابِ والأوامرِ والنواهي ، فإذا كانَ حقاً أفلحوا ، وحَصَّلَ لهم الثوابُ واتباعُ الحقِّ ، وكانوا كالدَّواءِ المبرِّئِ للسمِّ ، وإذا كانَ ذلكَ الكلامُ خطأً واتبَعوه خَسِرُوا^(١) ولمْ يُفْلِحُوا ، فكانَ بمنزلةِ الداءِ والمَرَضِ .

الأصل :

وقال عليه السلام حين سأل رجل أن يعرفه ما الإيمان ، فقال :
 إذا كان غداً فأتني حتى أخبرك على أسمع الناس ، فإن نسيت مقالتي حفظها
 عليك غيرك ، فإن الكلام كالشاردة يتفقها هذا ويخطئها هذا .
 قال : وقد ذكرنا ما أجابه به عليه السلام فيما تقدم من هذا الباب ، وهو قوله :
 « الإيمان على أربع شعب »

مركز تحقيق الكتب التراثية
 * * *

الشرح :

يقول : إذا كان غداً فأتني فتكون « كان » ها هنا تامة ، أى إذا حدث ووجد ،
 وتقول : إذا كان غداً فأتني فيكون النصب باعتبار آخر ، أى إذا كان الزمان غداً ،
 أى موصوفاً بأنه من الغد ؛ ومن النحويين من يقدّره : إذا كان الكون غداً ؛ لأن الفعل
 يدل على المصدر ، والكون هو التجدد والحدوث .

وقائل هذا القول يرجّعه على القول الآخر ، لأن الفاعل عندهم لا يُحذف إلا إذا كان
 في الكلام دليل عليه .

ويتفقها : يجدها ؛ ثقفت كذا بالكسر ، أى وجدته وصادفته .

والشاردة : الضالة .

الأفضل :

يَا بَنَ آدَمَ ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ ،
فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ عُمْرِكَ بَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

الشيخ :

قد تقدّم هذا الفصل بتمامه . واعلم أن كل ما أدرته مما هو فاضل عن قوتك
فإنما أنت فيه خازنٌ لغيرك .

مركز تحقيق كتاب توحيد علوم إسلامي

و خلاصة هذا الفصل النهي عن الحرص على الدنيا والاهتمام لها ، وإعلام الناس
أن الله تعالى قد قسم الرزق لكل حيٍّ من خلقه ، فلم يكلف الإنسان فيه لأثاء
رزقه من حيث لا يحتسب .

وفي المثل : يارزاق البغاث^(١) في عشه .

وإذا نظر الإنسان إلى الدودة المسونة داخل الصخر كيف تزق
علم أن صانع العالم قد تكفل لكل ذي حياة بمادّة تقسم حياته إلى
انقضاء عمره .

الأصل :

أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِضَكَ يَوْمًا مَا ، وَأَبْغِضْ بَغِضَكَ
هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا .

الشرح :

المؤمن بالفتح : التآنى ، والبغض . البغض .

وخلاصة هذه الكلمة . التنبه عن الإسراف في المودة والبغضة ؛ فربما انقلب من
تود فصار عدوا ، وربما انقلب من تعاديه فصار صديقا .

وقد تقدم القول في ذلك على أتم ما يكون .

وقال بعض الحكماء : توق الإفراط في المحبة ، فإن الإفراط فيها دأب إلى التقصير
منها ، ولأن تكون الحال بينك وبين حبيبك نامية أولى من أن تكون متناهية .
ومن كلام عمر : لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً .

وقال الشاعر :

وأحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مَقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَارِعُ!
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ^(١) فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ!

وقال عدي بن زيد :

وَلَا تَأْمَنْ مَنْ يُبْغِضُ قَرَبَ دَارِهِ وَلَا مِنْ مُحِبٍّ أَنْ يَنْلُ فَيَبْعِدَا

(١) مباین : مغارق .

الأصل :

النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ :

عَامِلٌ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يُخَلِّفُ الْفَقْرَ ، وَيَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَيَفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةٍ غَيْرِهِ .

وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأُخْرِزَ الْخَطِيئِينَ مَعًا ، وَمَلَكَ الدَّارُ كُلَّ حَيْثُ ، فَأَصْبَحَ وَحِيدًا عِنْدَ اللَّهِ ؛ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَاجَةً فَيَمْنَعَهُ .

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الشرح :

معنى قوله : « وَيَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ » ، أى ولا يبالي أن يكون هو فقيراً ، لأنه يعيش عيشَ الفقراء وإن كان ذا مالٍ ، لكنه يدخر المال لولده فيفني عمره في منفعة غيره . ويجوز أن يكون معناه إنه لكثرة ما له قد آمن الفقر على نفسه . والظاهر : ولكنه لا يأمن الفقر على ولده لأنه لا يثق من ولده بحسن الاكتساب كما وثق من نفسه ، فلا يزال في الاكتساب والازدياد منه لمنفعة ولده الذى يخاف عليه الفقر بعد موته .

فأما العاملُ في الدنيا لما بعدها فهم أصحابُ العبادة ، يأتيهم رزقهم بغير اكتساب ولا كدٍ ، وقد حصلت لهم الآخرة ، فقد حصل لهم الخطآن جميعاً .

الأكليل :

وَرَوَى أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حُلَى الْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ ،
 فَقَالَ قَوْمٌ : لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جِيوشَ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ ، وَمَا تَصْنَعُ
 الْكَعْبَةُ بِالْحُلَى ! فَهَمُّ عَمْرٍُ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّ
 هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ ، أَمْوَالُ
 الْمُسْلِمِينَ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ ، وَالْفَقَرِ ، فَقَسَمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ ،
 وَالْخِمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَكَانَ
 حُلَى الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ ، وَلَمْ يَثْرِكْهُ نِسْيَانًا ، وَلَمْ يَخْفَ
 عَنْهُ مَكَانًا ، فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْ لَكَ لَا تَفْضَحْنَا ،
 وَتَرَكَ الْحُلَى بِحَالِهِ .

...

البَيْع :

هذا استدلال صحيح ، ويمكن أن يورد على وجهين :

أحدهما أن يقال : أصلُ الأشياءِ الحظرُ والتَّحْرِيمُ كما هو مذهب كثيرٍ من أصحابنا
 البغداديين ؛ فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بإذن شرعي ؛ ولم يوجد
 إذن شرعي في حُلَى الْكَعْبَةِ ، فبقينا فيه على حُكْمِ الْأَصْلِ .

والوجه الثاني أن يقال : حُلَى الْكَعْبَةِ مالٌ مختصٌّ بالكعبة ؛ هو جَارٌ يَجْرَى سُتُورُ
 الْكَعْبَةِ ، وَتَجْرَى بِأَبِ الْكَعْبَةِ ، فَكَمَا لَا يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِي سُتُورِ الْكَعْبَةِ وَبَابِهَا

إلا بنصر فكذاك حتى الكعبة ، والجامع بينهما الاختصاص بالجلس كل واحد من ذلك كالجزم من الكعبة ، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يكون الاستدلال .

ويجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام عليه ، وألا يحمل على ظاهره لأن لمعرض أن يعترض استدلاله إذا حمل على ظاهره ، بأن يقول : الأموال الأربعة التي عدّها إنما قسمها الله تعالى حيث قسمها لأنها أموال متكررة بتكرّر الأوقات على مرّ الزمان ، يذهب الموجود منها ويختلف غيره ، فكان الاعتناء بها أكثر ، والأهتمام بوجود متصرفيها أشدّ ، لأن حاجات الفقراء والمساكين وأمثالهم من ذوي الاستحقاق كثيرة ومتجددة بتجدد الأوقات ، وليس كذلك حتى الكعبة ، لأنه مال واحد باق غير متكرّر ، وأيضا فهو شيء قليل يسير ، ليس مثله مما يقال : ينبغي أن يكون الشارح قد تعرض لوجود مصرفه حيث تعرض لوجود مصرف الأموال ، فافترق الموضعان .

الأصل :

رَوَى أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ ، أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ ،
وَالْآخَرُ مِنْ عُرْضِ النَّاسِ ، فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ ، مَالُ اللَّهِ
أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ ، فَقَطَعَ يَدَهُ .

الشرح :

هذا مذهب الشيعة أن عبد المَنَم إذا سَرَق من المَنَم لم يُقَطع ، فأما العبدُ الغريبُ
إذا سَرَق من المَنَم فإنه يُقَطع إذا كان ما سَرَقَهُ زَائِدًا عما يَسْتَحِقُّه من الغنِمة بمقدار
النَّصَاب الذي يجب فيه القَطع ، وهو رُبُع دينار ، وكذلك الحرُّ إذا سَرَق من المَنَم
حُكِمَ هذا الحكم بعَيْنِهِ ، فَوَجِبَ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ الْمُقَطَّوعَ
قَدْ كَانَتْ سَرَقَتُهُ مِنَ الْمَنَمِ مَا هُوَ أَزِيدُ مِنْ حَقِّهِ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِمَقْدَارِ النَّصَابِ الْمَذْكُورِ
أَوْ أَكْثَرَ .

فأما الفقهاء فإنهم لا يُوجِبُونَ الْقَطْعَ عَلَى مَنْ سَرَقَ مِنْ مَالِ الْغَنِيْمَةِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا ،
سواء كان ما سَرَقَهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، لِأَنَّ مُحَالَطَةَ حَقِّهِ وَمُتَمَّا زَجَّتْهُ لِلْمَسْرُوقِ
شُبْهَةٌ فِي الْجِلَّةِ تَمْنَعُ مِنْ وَجُوبِ الْقَطْعِ ، هَذَا إِنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فِي الْغَنِيْمَةِ بِأَنْ يَكُونَ شَهِدَ
الْقِتَالِ بِإِذْنِ سَيِّدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَكَانَ لِسَيِّدِهِ فِيهَا حَقٌّ لَمْ يُقَطَّعْ أَيْضًا لِأَنَّ حِصَّةَ
سَيِّدِهِ الْمُسَاعَاةَ شُبْهَةٌ تَمْنَعُ مِنْ قَطْعِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ الْقِتَالَ ^(١) وَلَا شَهِدَهُ سَيِّدُهُ وَسَرَقَ مِنْ
الْغَنِيْمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مَا يَجِبُ فِي مِثْلِهِ الْقَطْعُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَطْعُ .

الأصل :

لَوْ قَدْ أُسْتُوتَ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ

الشرح :

لسنا نشك أنه كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابة ، نحو قطعه السارق من رؤوس الأصابع ، وبيع أمهات الأولاد ، وغير ذلك ، وإنما كان يمتنع من تغيير أحكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج ، وإلى ذلك يشير بالمداحض التي كان يؤمل استواء قدميه منها ، ولهذا قال لقضاته : « افضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة » ، فلفظة « حتى » - ها هنا مؤذنة بأنه فسح لهم في اتباع عاداتهم في القضايا والأحكام التي يعمدونها إلى أن يصير للناس جماعة ، وما بعد « إلى » و « حتى » يبنى أن يكون مخالفا لما قبلهما .

فأما أصحابنا فيقولون : إنه كان فيما يحاول أن يحكم بين الناس مجتهدا ، ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته .

والإمامية تقول : ما كان يحكم إلا عن نص وتوقيف ، ولا يجوز لأحد من الناس مخالفته .

والقول في صحة ذلك وفساده قرع من فروع مسألة الإمامة^(١) .

(١) د : « الإمامية » .

الأفضل :

اعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته ، واشتدت طلبته ،
 وقويت مكيدته ، أكثر مما سمي له في الذكر الحكيم ، ولم يجعل بين
 العبد في ضعفه وقلة حيلته . وبين أن يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم .
 والعارف لهذا ، العاقل به ؛ أعظم الناس راحة في منفعة ؛ والتارك له ، الشاك فيه ،
 أعظم الناس شغلاً في مصرة .
 ورب منعم عليه مستدرج بالنعمة ، ورب مبتلي مصنوع له بالبلوى .
 فزد أيها السميع في شكرك ، وقصر من عجزك ، وقف عند منتهى
 رزقك .

الشرح :

قد تقدم القول في الحرص والجشع وذمهما وذم الكادح في طلب الرزق ، ومدح
 القناعة والاقتصار ، وتذكر هنا طرفاً آخر من ذلك . قال بعض الحكماء : وجدت أطول
 الناس غماً الحسود ، وأهنأهم عيشاً القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص ، وأخفهم
 عيشاً أرقضهم للدنيا ، وأعظمهم ندماً العالم المفرط .

وقال عمر : الطمع فقر ، واليأس غنى ، ومن يشمأ عند الناس استغنى عنهم .

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلّة تمنّيك ، ورضاك بما يسّكتفيك . ولذلك قيل : العيشُ سائتٌ تمرّ ، وخطوبٌ تكرر .

وقال الشاعر :

اقنعْ بعيشك ترَضَهُ واتركْ هواكَ وأنتَ حرٌّ
فلربّ حَقَفَ فوقَهُ ذهبٌ وياقوتٌ ودرّ

وقال آخر :

إلى متى أنا في حِلٍّ وترحالٍ من طولِ سعيٍ وإدبارٍ وإقبالٍ
ونازحِ الدارِ لا أنفكُ مغترِباً عن الأحبةِ لا يدرون ما حالي
بمشرقِ الأرضِ طوّزاً ثم مغربها لا يخطرُ الموتُ من حرصٍ على بالي
ولو قنعتُ أتاى الرزقُ في دعةٍ إن القنوعَ الغنى لا كثرةُ المالِ

وجاء في الخبر المرفوع : « أتجلّوا في الطلب ، فإنه ليس لعبدٍ إلا ما كتّيب له ، ولن يخرج عبداً من الدنيا حتى يأتية ما كتّيب له في الدنيا وهي راحة » .

الأصل :

لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا ، وَبِقَيْنَكُمْ شَكًّا ؛ إِذَا عَلِمْتُمْ فاعْمَلُوا ، وَإِذَا
تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا .



الشرح :

هذا ^(١) نهى العلماء عن ترك العمل ؛ يقول : لا تجعلوا علمكم كالجهل ، فإن الجاهل
قد يقول : جهلت فلم أعمل ، وأنتم فلا عذر لكم ، لأنكم قد علمتم وانكشف لكم
سير الأمر ، فوجب عليكم أن تعملوا ، ولا تجعلوا علمكم جهلاً ، فإن من ^(٢) علم المنفعة
في أمر ولا حائل بينه وبينه ثم لم يأت به كان سفيهاً .

الأصل :

الطعمُ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ ، وضامنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ ، ورُبُّمَا شَرِيقُ شَارِبِ الْمَاءِ
قَبْلَ رِيٍّ ، وكلُّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرِّزْيَةُ لِفَقْدِهِ ، والأمانُ
تُعْمَى أَعْيَنَ الْبَصَائِرِ ، والحفظُ يَأْتِي مَنْ لَا بِأَمِّهِ



الشرح :

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

قد تقدم القول في هذه المعاني كلّها .

وقد ضرب الحكماء مثالا لفرط الطمع ، فقالوا : إن رجلا صادَ قُبْرَةً فقالت : ما تريد
أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك وآكلك ؛ قالت : والله ما أشقى من قَرَمٍ ، ولا أشبع من
جُوعٍ ، ولكنني أعلمك ثلاث خصالٍ هنّ خيرٌ لك من أكلِي ؛ أمّا واحدة فأعلمك
إياها وأنا في بدّك ، وأمّا الثانية فإذا صيرتُ على الشجرة ، وأمّا الثالثة فإذا صرتُ على
الجليل . فقال : هاتِي الأولى ؛ قالت : لا تلهفنّ على ما فات ، فخلاها ، فلما صارت على
الشجرة قال : هاتِي الثانية ، قالت : لا تُصدّقنّ بما لا يكون أنه يكون ، ثمّ طارت ،
فصارت على الجبل ؛ فقالت : يا شقيّ لو ذبحتني لأخرجت من حوصلي دُرّتين وزنُ
كلٍّ واحدةٍ ثلاثون مثقالاً ، فعصّ على يديه وتلفّ تلففا شديدا ؛ وقال : هاتِي الثالثة ؛
فقالت : أنت قد أنسيتَ الاثنين ، فما تصنع بالثالثة ، ألم أقل لك : لا تلهفنّ على ما فات

وقد تَلَهَّفت ، وألم أقل لك لا تصدّقن بما لا يكون أنه يكون . وأنا وألحى ودّى
وريشى لا يكون عشرين مثقالاً ، فكيف صدقت أن فى حَوْصَلَتى دَرَجَتين كلّ
واحدة منهما ثلاثون مثقالاً ! ثم طارت وذهبت .

وقوله : وربّما شَرِقَ شاربُ الماء قبلَ رِيّه « ، كلامٌ فصيحٌ ، وهو مثلُ لمن
يُحْتَرَمُ ^(۱) بَفْتَةٍ أو تَطَرُّقه الحوادثُ وأُلْخَطوب وهو فى تَلَهِّيَةٍ مِنْ عَيْشِهِ .
ومثل الكلمة الأخرى قولهم : على قدرِ العَطِيَةِ تكون الرِّزْيَةُ .
والقولُ فى الأمانى قد أَوْسَعْنَا القول فيه مِنْ قَبْلِ ، وكذلك فى الحظوظ .



مركز تحقیقات کتب و تدریس علوم اسلامی

(۱) یحترم بفتة ، أى يأنبه الموت بفتة .

الأفضل :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي ، وَتُبَيِّحَ فِيهَا
أَبْطُنَ لَكَ سَرِيرَتِي ، مُحَافِظًا عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ
مَعِيَ ، فَأَبْذِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي ، وَأَفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءَ عَمَلِي ، تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ
وَتَبَاعُدًا مِنْ مَرَضَاتِكَ .



الْبَيِّنُ :

قد تقدم القولُ في الرِّياءِ ، وأن يُظهِرَ الإنسانُ من العبادة والفعل الجميل ما يُبطن
غيره ، ويقصد بذلك الشُّعْبة والصَّيِّت لا وجه الله تعالى .

وقد جاء في الخبر المرفوع : « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الرِّياءُ
وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ » .

قال المفسِّرون : والرِّياءُ من الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ ، لأنه شَهْوَةُ الصَّيِّتِ والْجَاهِ بَيْنَ النَّاسِ
بأنه مَتِّينُ الدِّينِ ، مُوَاطِّبٌ عَلَى نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ ، وهذه هي الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ ، أَى لِبَسْتِ
كشهوة الطعام والنسكاح وغيرهما من المَلَاذِ الْحَسِيَّةِ .

وفي الخبر المرفوع أيضا : أَنْ الْبَسِيرَ مِنَ الرِّياءِ شِرْكٌ^(١) ، وَأَنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ
الْأَخْفَاءَ الَّذِينَ هُمْ فِي بُيُوتِهِمْ إِذَا غَابُوا لَمْ يَفْتَقِدُوا ، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ
مَصَابِيحُ الْمُهْدَى ، يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غَيْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ .

(١) كلمة غامضة في الأصول

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غَيْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ ، تَكْثِيرُ عَنْ يَوْمِ أَغَرَ ، مَا كَانَ
كَذًا وَكَذًا .



الشرح :

قد رَوَى : «تفتت» عن يومٍ أَغَرَ . وكثرت أي بسم ، وأصله الكشف .
والغبر : البقايا ^(١) ، وكذلك الإغبار . وهذا الكلام إما أن يكون قاله على جهة التفاؤل ، أو أن يكون إخباراً بنفي ؛
والأول أوجه ^(٢) .

(١) ومنه قول أبي كبير الهذلي :

ومبرأ من كل غير حَيْضَةٍ وفسادِ مرضعةٍ وداءِ مُغِيلٍ

قال في اللسان : « وغبر الحيض : بقاياها » .

(٢) ١ : « والوجه الأول » .

الأصل :

قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ ، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ يَمْلُؤُ مِنْهُ .

الشرح :

لا ريب أن من أراد حفظ كتاب من الكتب العلية فحفظ منه قليلا قليلا ،
ودام على ذلك ، فإن ذلك أنفع له وأرجى لفلاحه من أن يحفظ كثيرا ، ولا يدوم
عليه لملاله إياه وضجره منه ، والتجربة تشهد بذلك .
والقول في غير الحفظ كالقول في الحفظ ، نحو الزيارة القليلة للصديق ، ونحو المطاء
اليسير الدائم ^(١) الذي هو خير من الكثير المنقطع ، ونحو ذلك .

(١) يدها في أ : « غير المنقطع » .

الأصل :

إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ قَارَفُضُوهَا .

الشرح :

قد تقدم القول في النافلة : هل تصح ممن عليه فريضة لم يؤدّها ، وذكرنا مذاهب الفقهاء في ذلك .

ولا ريب أن من استغرق الوقت بالنوافل حتى آن أوقات الفرائض لم يفعل الفرائض فيها ، وشغلها بالعبادة التلقائية ، فقد أخطأ ؛ والواجب أن يرفض النافلة حيث يتضيق وقت الفريضة ، لا خلاف بين المسلمين في ذلك ، وبصريح أن يكون هذا مثلاً ظاهره ما ذكرنا ، وباطنه أمر آخر .

الأصل :

مَنْ تَذَكَّرَ بَعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ .

الشرح :

هذا مثل قولهم في المثل : « الليلُ طويلٌ ، وأنتَ مُقِرٌّ »^(١) ؛ وقال أيضا : شُ
ولا تَنْتَرِ^(٢) .

وقال أصحابُ المعاني : مثل الدنيا كَرَكَبٍ في فلاةٍ وَرَدُوا ماءً طيباً ، فمنهم من شَرِبَ من ذلك الماء شرباً يسيراً ، ثم أفكر في بُعد المسافة التي يقصِدونها ، وأنه ليس بعد ذلك الماء مالا آخر ، فتزود منه ماءً أوصله إلى مقصده ، ومنهم من شَرِبَ من ذلك الماء شرباً عظيماً ولها عن التزود والاستعداد ، وظن أن ما شرب كافٍ له ومُنِّ عن أدخار شيء آخر ، فقطع به ، وأخلفه ظنُّه ، فمَطَّش في تلك الفلاة ومات .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لأصحابه : « إِنَّمَا مَنَى وَمَنَّاكُمْ وَمَنَّا الدُّنْيَا كَقَوْمٍ سَلَكَوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا أَكْثَرُ أَمْ مَا بَقِيَ ! أَنْفَدُوا الزَّادَ وَحَسَرُوا الظَّهْرَ ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَفَازَةِ لَا زَادَ وَلَا حَوْلَةَ ، فَأَيْقَنُوا بِالْهَلَاكَةِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، فَقَالُوا : هَذَا قَرِيبٌ عَهْدٍ بِرَيْفٍ ، وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ ؛ فَلَمَّا أُنْتَهَى إِلَيْهِمْ وَشَاهَدَ حَالَهُمْ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاءَ ، وَرِيَاضٍ خَضِرٍ مَا تَعْمَلُونَ ؟ قَالُوا : لَا نَعْمِيكَ شَيْئاً ؛

قال : عهودكم ومواثيقكم بالله ، فأعطوه ذلك ، فأوردتهم ماء رواء ورياضاً خضراً ،
ومسكت بينهم ماشاء الله ، ثم قال : إني مفارقكم ، قالوا إلى أين؟ قال : إلى ما ليس كما أنتم ،
وررياض ليست كرياضكم ؛ فقال الأكترون منهم : والله ما وجدنا مانحاً فيه حتى ظننا
أنا لا نجده ، وما نصنع بمنزل خير من هذا ! وقال الأقلون منهم : ألم تعطوا هذا الرجل
مواثيقكم وعهودكم بالله لا تعصونه شيئاً ، وقد صدقكم في أول حديثه ، والله
ليصدقنكم في آخره؟ فراح فيمن تبعه منهم ، وتخلف الباقون ، فداهمهم عدو شديد البأس
عظيم الجش ، فأصبحوا مابين أسير وقبيل .



مرکز تحقیقات کتب ویر علوم اسلامی

الأصل :

لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْإِبْصَارِ ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا ، وَلَا يَفْشُ الْعَقْلُ
مَنْ أَسْتَنْصَحَهُ .

الفسخ :

هذا مثلُ قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ ﴾^(١) .

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

أى ليس العى عمى العين ، بل عمى القلب .

كذلك قولُ أمير المؤمنين عليه السلام ، ليست الرؤية مع العيون ، وإنما الرؤية
الحقيقية مع العقول .

وقد ذهب أكابرُ الحكماء إلى أن اليقينيّات من العقولات لا المحسوسات ؛
قالوا : لأنَّ حُكْمَ الْحَسِّ فِي مَظْنَةِ الْغَاطِ ، وَطَالَ مَا كَذَبَ الْحَسُّ ، وَاعْتَقَدْنَا بِطَرِيقِهِ
أَعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةً ، كَمَا نَرَى الْكَبِيرَ صَغِيرًا ، وَالصَّغِيرَ كَبِيرًا ، وَالتَّحَرُّكَ سَاكِنًا ، وَالسَّاكِنَ
مُتَحَرِّكًا ، فَأَمَّا الْعَقْلُ فَإِذَا كَانَ الْعَقُولُ بِهِ بَدِيهِيًّا أَوْ مُسْتَنِدًا إِلَى مُقَدِّمَاتٍ بَدِيهِيَّةٍ فَإِنَّهُ
لَا يَقَعُ فِيهِ غَلَطٌ أَصْلًا .

الأصل :

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغُرَّةِ .

الشرح :

قد تقدم ذكر الدنيا وغرورها ، وأنها بشهواتها ولذاتها حجاب بين العبد وبين الموعظة ، لأن الإنسان يفتقر بالعاجلة ، ويتوهم دوام ما هو فيه ، وإذا خطر بباله الموت والفناء وعد نفسه رحمة الله تعالى وعفوه ، هذا إن كان ممن يعترف بالعماد ، فإن كثيرا ممن يظهر القول بالعماد هو في الحقيقة غير مستيقن له ، والإخلاص إلى عفو الله تعالى والأتكال على المغفرة مع الإقامة على المعصية ، غرور لا محالة ، والحازم من عمل لما بعد الموت ، ولم يمت نفسه الأمانى التى لا حقيقة لها .

(٢٨٩)

الأصل :

جَاهِلِكُمْ مُزْدَادٌ ، وَعَالِكُمْ مُسَوِّفٌ .

الشرح :

هذا قريب مما سلف : يقول : إنَّ الجاهل من الناس مُزْدَادٌ من جهله ، مُصِرٌّ على خطيئته ، مسوِّف من توهماته وعقيدته الباطلة بالعفو عن ذنبه ، وليس الأمر كما توهمه .
﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَلَا يُجْزَى بِهِ وَلَا يُجْزَى لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾

الأصل :

قَطَعَ الْعِلْمُ عَذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ .

الشرح :

هذا أيضاً قريب مما تقدم ، يقول : قَطَعَ الْعِلْمُ عَذْرَ الَّذِينَ يُعَلِّلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْبَاطِلِ ، ويقولون : إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، فلا حاجة لنا إلى إتيان أنفسنا بالعبادة ، كما قال الشاعر :

قَدِمْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بِغَيْرِ زَادٍ مِنْ الْأَعْمَالِ ذَاذَنْبٍ عَظِيمٍ
وَسُوءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَّ زَاداً إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى الْكَرِيمِ

وهذا هو التعليل بالباطل ، فإن الله تعالى وإن كان كريماً رحماً غفوراً غفورا ، إلا أنه صادق القول ، وقد توعد العصاة وقال : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ * وَمَأْمُومٌ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ^(٢) ، ويكفي في رحمته وعفوه وكرمه أن يغفر للتائب أو لمن ثوابه أكثر مما يستحقه من العقاب ، فالقول بالوعيد معلوم بأدلة السمع المتظاهرة المتناصرة التي قد أطنب أصحابنا في تعدادها وإيضاحها ، وإذا كان الشيء معلوماً فقد قَطَعَ الْعِلْمُ به عَذْرَ أَصْحَابِ التعلُّلِ والتعني ، وَوَجَبَ الْعَمَلُ بالمعلوم ورفض ما يخالفه .

الأصل :

كُلُّ مُعَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنْفَازَ ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ .

التبريح :

قال الله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ^(١) ﴾ .
فهذا هو سؤال الإنظار لمن عُوِّجِلَ ، قائما من أَجَلٍ فَإِنَّهُ يَعْلَلُ نَفْسَهُ بِالتَّسْوِيفِ ، ويقول :
سَوْفَ أَتُوبُ ، سَوْفَ أَقْلِعُ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ ، فَأَكْثَرُهُمْ يُحْتَدِمُ ^(٢) مَنْ غَيْرِ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا
الْأَمَلِ ، وَتَأْتِيهِ الْمَنِيَّةُ وَهُوَ عَلَىٰ أَفْجَحِ حَالٍ وَأَسْوَأِهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَشَمَّلَهُ السَّعَادَةُ فَيَتُوبُ
قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خُتِمَتْ أَعْمَالُهُمْ بِخَاتِمَةِ الْخَيْرِ ، وَهُمْ فِي الْعَالَمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ
فِي الثَّوَرِ الْأَسْوَدِ .

(١) سورة المؤمن ٩٩ ، ١٠٠

(٢) يقال : اخترته النية ؛ أى أخذته من بينهم .

الأفضل :

ما قالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ : طُوبَى لَهُ ! إِلَّا وَوَزَّ خَبَأٌ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوَى

الشرح :

قد تقدّم هذا المعنى ، وذكرنا فيه نكتاً جيّدة حميدة .



[نبذ من الأقوال الحكمية في تقلبات الدهر ونصرفاته]

كان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد في قصره على درجاة يوماً ، وإذا بحشيش على وجه الماء ، في وسطه قصبة عليها رُقعة ، فأمر بأخذها ، فإذا فيها :

نَاةَ الْأَعْيَرِجِ وَأَسْتَوَلَى بِهِ الْبَطْرُ فَقُلْ لَهُ : خَيْرُ مَا أَسْتَعْمَلْتَهُ الْخَذَرُ
أَحْسَنْتَ ظَنَّنَكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ وَلَمْ تَحَفَّ سَوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَانْعَزَزْتَ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

فَمَا أَنْتَفَعُ بِنَفْسِهِ مَدَّة .

وفي المثل : الدهر إذا أتى بسحواء سَخَسَ^(١) ، يُعْقِبُهَا بَنَكِبَاءٌ زَعَزَعٌ ، وكذلك شربُ العيش فيه تلوّن ، يَبْنَاهُ عَذْبًا إِذْ تَحْوَلُ آجِنًا .

(١) أي سحابة تصب مطراً شديداً .

يحيى بن خالد : أعطانا الدهر فأسرف، ثم مال علينا فأجحف .

وقال الشاعر :

فيا نعيم ساعدتسنا رقبته وخاست بنا أكفاله والروادف
إسحق بن إبراهيم الموصلي :

هي المقادير تجري في أعينها فاصبر فليس لها صبر على حال
يوماً ترش خسيس الحال ترفعه إلى السماء ويوماً تخفيض العالي
إذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث كان يأتي الخير .
هاني بن مسعود :

إن كسري أتى على الملك النعمت حين سقاه أم الرقوب
كلُّ ملك وإن تصدَّ يوماً بأناس يعود للتصويب
أحيحة بن الجلاح :

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعال
وما تدري إذا أضربت شولاً أتلفح بعد ذلك أم تحيل^(١)
وما تدري إذا أزمعت سبوا بأي الأرض يدركك المقيال
آخر :

فادرن الدنيا ياق لأهل ولا شرة الدنيا بضربة لازم
آخر :

رُب قوم غبروا من عيشهم في سرور ونعيم وغدق

(١) الشول : الناقة التي قصت ألبانها .

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ تَطَلَّقَ
وَمِنْ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ بْنِ زُبَيْدَةَ :

يَانْقَسُ قَدْ حَقَّ الْحَذَرُ أَيْنَ الْفِرَارُ مِنْ الْقَدَرِ
كُلُّ أَمْرٍ مِمَّا يَخَا فِ وَيرْتَجِيهِ عَلَى نَخَطَرِ
مَنْ يَرْتَشِفُ صَفْوَةَ الزَّمَانِ نَ يَفْصَحُ يَوْمًا بِالْكَدَرِ



مرکز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

الأصل :

وقال عليه السلام وقد سُئِلَ عن القدر : طريقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ
ثم سُئِلَ ثانياً فقال : بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلْجُوهُ ؛ ثم سُئِلَ ثالثاً فقال : سِرُّ اللَّهِ
فَلَا تَسْكَلُوهُ .

الشرح :

قد جاء في الخبر المرفوع : القدرُ سرُّ الله في الأرض ، ورُوي : سرُّ الله في عباده ،
والمرادُ نهى المستضعفين عن الخوض في إرادة الكائنات ، وفي خلق أعمال العباد ، فإنه
ربما أفضى بهم القول بالجبر ، لما في ذلك من الخوض ، وذلك أن العاصي إذا سمع قول
القائل : كيف يجوز أن يقع في عالمه ما بكرهه ، وكيف يجوز أن تغلب إرادة المخلوق
إرادة الخالق ؟

وبقول أيضاً : إذا عِلِمَ في القدم أن زيدا يكفر ، فكيف لزيد أن لا يكفر
وهل يمكن أن يقع خلافُ ما عِلِمَ الله تعالى في القدم ، اشتبه عليه الأمر ، وصار
شبهةً في نفسه ، وقوى في ظنه مذهبُ المجبرة ، فنهى عليه السلام هؤلاء عن الخوض
في هذا النحو من البحث ، ولم يَنْهَ غيرهم من ذوى العقول الكاملة ، والرياضة
القوية ، والملسكة التامة ، ومن له قدرةٌ على حلِّ الشبهة ، والتقصي عن المشكلات .

فإن قلت : فإنكم تقولون : إن العاصي والمستضعف يجب عليهما النظر .
قلت : نعم إلا أنه لا بد لهما من موقف بعد إعمالها ما ينتهي إليه جهدهما من النظر ،
بحيث يُرشداهما إلى الصواب ، والهي إتماما هو لمن يستبد من ضعفاء العامة بنفسه في النظر ،
ولا يَبْتَحث مع غيره ليرشده .

(٢٩٤)

الأَجَلُ :

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدَهُ حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ .

الْبَيْزُ :

أَرَادَهُ : جَعَلَهُ رَذُلًا ، وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ عِلَامَةِ بُغْضِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ يُبْغِضَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعِ سُوءِ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَقَالَ لِأَنِّي حَفِظْتُ الْعِلْمَ فَفُضِّلْتُ وَفُضِّلُ اللَّهُ لَا يُؤْتِيهِ عَارِضِي
وَقَالَ رَجُلٌ لِحَكِيمٍ : مَا خَيْرُ الْأَشْيَاءِ لِي ؟ قَالَ : أَنْ تَكُونَ عَالِمًا ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ
أَكُنْ ؟ قَالَ : أَنْ تَكُونَ مُثْرِيًا ؛ قَالَ : فَإِنْ لَمْ أَكُنْ ؟ قَالَ : أَنْ تَكُونَ شَارِيًا ؛ قَالَ :
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ ؟ قَالَ : فَأَنْ تَكُونَ مَيِّتًا .

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

إِذَا فَاتَكَ الْعِلْمُ جُدْ بِالْوَرَى وَإِنْ فَاتَكَ الْمَالُ سُدْ بِالْقِرَاعِ
فَإِنْ فَاتَ هَذَا وَهَذَا وَذَلِكَ فَتْ فَيَا تُكْ شَرُّ النَّاسِ

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْمَعْنَى بَعِينَهُ :

وَلَوْلَا الْحَجَا وَالْقِرَا وَالْقِرَاعُ لَمَّا فَضَّلَ الْآخِرَ الْأَوَّلَا
ثَلَاثٌ مَتَى يَخْلُ مِنْهَا الْفَتَى يَكُنْ كَالْبَيْمَةِ أَوْ أَرُذَلَا

الأصل :

وقال عليه السلام :

كَانَ لِي فِيهَا مَضَى أَخٍ فِي اللَّهِ ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ،
 وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَنْشَى مَالًا يَحْدُ ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ،
 وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا ، فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ ، وَتَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ ، وَنَانَ
 ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا ، فَإِنْ جَاءَ الْجَدُّ فَهُوَ لَيْثٌ عَادٍ ، وَصِلٌ وَادٍ ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ
 حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا ، كَانَ لَا يُلَوِّمُ أَحَدًا عَلَى مَا يَحْدُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ
 أُعْتَذَرَهُ ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ بُرْتِهِ ، وَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ ، وَلَا يَقُولُ
 مَالًا يَفْعَلُ ، وَكَانَ إِنْ غَلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ ، وَكَانَ عَلَى
 أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا بَدَّهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ إِلَيْهِمَا
 أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَىٰ فَخَالَفَهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِهِذِهِ اتِّخَالِيقِي قَالِزْمُوهَا ، وَتَنَافَسُوا فِيهَا ،
 فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْقَلِيلَ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ .

الشرح :

قد اختلف الناس في المعنى بهذا الكلام ، ومن هو هذا الأخ المشار إليه ؟
 فقال قوم : هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، واعتبده قوم لقوله : « وكان ضعيفا
 مستضعفا » ، فإبى النبي صلى الله عليه وآله لا يقال في صفاته مثل هذه الكلمة ،

وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه ، إلا أنها غير لائقة به عليه السلام .

وقال قوم : هو أبو ذر الغفاري واستبعد قوم لقوله : فإن جاء الحد فهو ليث عاد ، وصل واد ، فإن أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة ، والمعروفين بالبسالة وقال قوم : هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من شيعة علي عليه السلام المخلصين ، وكان شجاعاً مجاهداً حسن الطريقة ، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع .

وقال قوم : إنه ليس بإشارة إلى أخ معين ، ولكنه كلام خارج مخرج المثل ، وعادة العرب جارية بمثل ذلك ، مثل قولهم في الشعر : فقلت لصاحبي ، وباصاحبي ، وهذا عندي أقوى الوجوه .

[نبذ من الأقوال الحكيمية في حمد القناعة وقلة الأكل]

وقد مضى القول في صغر الدنيا في عين أهل التحقيق ، فأما سلطان البطن ومدح الإنسان بأنه لا يكثر من الأكل إذا وجد أكلاً ، ولا يشتبهى من الأكل ما لا يحده ، فقد قال الناس فيه فأكثرُوا .

قال أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب :

طاري الصير على العزاء مُنصِلٌ بالقوم لیسلة لاما ولا شجر^(١)
تَكْفِيهِ فَلْدَةُ لَحْمٍ إِنْ أَلَمَ بِهِمَا من الشواء ويروي شربه الفمر
ولا يُبَارِي لِمَا فِي الْقِدْرِ بِرَقْبِهِ ولا تراه أمام القوم بفتقـر

(١) الكامل للمبرد ٤ : ٦٥ . الصير : واحد الصران . والعزاء : الأمر الشديد .

لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْتٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصِرُ عَلَى شُرُوفِهِ الْعَنْفَسُ
وَقَالَ الشُّنْفَرِيُّ :

وَأَطْوَى عَلَى الْخَمَصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خِيَمَةُ مَارِي تَغَارٍ وَتُفْتَمِلُ^(١)
وَلَمَّا مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَمْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمُ أَمْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عَوِّدْ نَفْسَكَ الْأَثَرَةَ ، وَجَاهِدْهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ ،
وَلَا تَهْشَ نَهْشَ السَّبَاعِ ، وَلَا تَقْضِمَ قَضْمَ الْبَرَّادِينَ ، وَلَا تَذْمِنَ الْأَكَلَ إِدْمَانَ النَّعَاجِ ،
وَلَا تَلْقَمْ لَقْمَ الْجِمَالِ ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ إِنْسَانًا ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بَهِيمَةً وَلَا سُبُعًا ، وَاحْذَرْ
سُرْعَةَ الْكِفْلَةِ ، وَدَاءَ الْبُطْنَةِ ، فَقَدْ قَالَ الْحَكِيمُ : إِذَا كُنْتَ بَطْنًا فَقَدْ نَفْسُكَ مِنَ الزَّمْنِ^(٢)
وَقَالَ الْأَعَشَى :

* وَالْبَطْنُ نَفْسُ يَوْمَانِ سَفَةِ الْأَخْلَامِ *

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّبَعَ دَاعِيَةُ الْبَشَمِ ، وَالْبَشَمُ دَاعِيَةُ السَّقَمِ ، وَالسَّقَمُ دَاعِيَةُ الْمَوْتِ ، وَمَنْ
مَاتَ هَذِهِ الْمَيِّتَةَ فَقَدْ مَاتَ مَوْتَةً لَثِيمَةً ، وَهُوَ مَعَ هَذَا قَاتِلُ نَفْسِهِ ، وَقَاتِلُ نَفْسِهِ الْيَوْمَ مِنْ
قَاتِلِي غَيْرِهِ ، يَا بُنَيَّ ، وَاللَّهِ مَا أَدَّى حَقَّ السَّجُودِ وَالرَّكَوعِ ذَوْكِ كِفْلَةٍ ، وَلَا خَشَعُ اللَّهِ
ذَوْ بَطْنَةٍ ، وَالصَّوْمُ مُصَحَّةٌ ، وَلَرَبَّمَا طَالَتْ أَعْمَارُ الْهِنْدِ ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الْعَرَبِ ، وَلِلَّهِ دَرُّ
الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الدَّوَاءَ هُوَ الْأَزْمُ ، وَأَنَّ الدَّاءَ إِدْخَالُ الطَّعَامِ فِي أَثَرِ
الطَّعَامِ ، يَا بُنَيَّ لَمْ صَفَّتْ أَذْهَانُ الْأَعْرَابِ ، وَصَحَّتْ أَذْهَانُ الرُّهْبَانِ مَعَ طَوْلِ الْإِفَامَةِ
فِي الصَّوَامِعِ ، حَتَّى لَمْ تَعْرِفْ وَجَعَ الْمَفَاصِلِ ، وَلَا الْأَوْرَامِ ، إِلَّا ثِقَلَتِ الرِّزَّةُ ، وَوَفَاحَةُ
الْأَكْلِ ، وَكَيْفَ لَا تَرْتَعِبُ فِي تَدْيِيرِ يَجْمَعُ لَكَ بَيْنَ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَذِكَاةِ الذَّهْنِ وَصَالِحِ الْعِبَادَةِ

والقرب وعيش الملائكة.. يا بُنَيَّ لم صار الضَّبُّ أطولَ شيءٍ ذمًّا ، إلا لأنه ينبلغ بالنسيم ، ولم زعم الرسولُ صلى الله عليه وآله أن الصومَ وجاء ، إلا ليَجعله حجابًا دون الشهوات ! قافهم تأديبَ الله ورسوله ، فإنهما لا يقصدان إلا مثلك ، يا بُنَيَّ ، إني قد بلغتُ تسعينَ عامًا ما نقص لي سنٌ ، ولا انتشر لي عَصَبٌ ، ولا عرفتُ دينًا أنفٌ ، ولا سَيِّلانَ عَيْنٍ ، ولا تقطيرَ بَوْلٍ ، مالمالك علةٌ إلا التخفيفُ من الزاد ، فإن كنتَ تحبُّ الحياةَ فهذه سبيلُ الحياة ، وإن كنتَ تريدُ الموتَ فلا يُبعدُ الله إلا من ظلم .

وكان يقال : البِطْنَةُ تذهبُ الفِطْنَةُ .

وقال عمرو بنُ العاص لأصحابه يومَ حكم الحَكَمَان : أَكثِرُوا لأبي موسى من الطَّعامِ الطَّيِّبِ فوالله ما بَطِنَ قومٌ قطَّ إلا فقدوا عقولهم أو بعضَها ، وما مضى عزمُ رجلٍ باتَ بَطْنًا .
وكان يقال : أَقِلِّلْ طَعَامًا تَحْمَدُ مَنَامًا .

ودعا عبدُ الملك بنُ مروانَ رجلاً إلى الغداء فقال : مافيَّ فضلٌ ؛ فقال : إني أحبُّ الرجلَ يأكلُ حتى لا يكونَ فيه فضلٌ ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، عندي مُستَزَادٌ ، ولكنني أكره أن أصيرَ إلى الحال التي استقبَحَها أميرُ المؤمنين .

وكان يقال : مسكينٌ ابنُ آدم ، أسيرُ الجوع ، صريعُ الشَّبع .
وسأل عبدُ الملكُ أبا الزُّعَيْرَةَ ؛ فقال : هل أَتَحِمَتَ قَطَّ ؟ قال : لا ، قال : وكيف ؟ قال : لأنَّا إذا طَبَخْنَا أَنْضَجْنَا ، وإذا مَضَغْنَا دَقْنَا ، ولا نُكِظُ المَعْدَةَ ولا نُخْلِيها .
وكان يقال : من المروءة أن يترك الإنسانُ الطعامَ وهو بعدُ يشتهيهِ .

وقال الشاعر :

فإنَّ قِرابَةَ البَطْنِ بكفِّكَ مَلَأُوهُ وبكفِّكَ سَوَاتِ الأُمُورِ اجْتَنَبُها
وقال عبدُ الرحمن بنُ أخِي الأصمعي : كان عمِّي يقولُ لي : لا تَخْرُجْ يا بُنَيَّ من منزِلِكَ

حَتَّى تَأْخُذَ حِلْمَكَ ، يَعْنِي تَتَغَذَّى ، فَإِذَا أَخَذْتَ حِلْمَكَ فَلَا تَرُدُّ إِلَيْهِ حِلْمًا ، فَإِنَّ الْكَثْرَةَ تَتَوَلَّى إِلَى قَلَّةٍ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، يَحْسَبُ الرَّجُلُ مِنْ طَعْمِهِ مَا أَقَامَ صُلْبُهُ ، وَأَمَّا إِذَا أَبَيْتَ ثُلُثَ طَعَامٍ ، وَثُلُثَ شَرَابٍ ، وَثُلُثَ نَفْسٍ .

وَرَوَى حُذَيْفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ قَلَّ طَعْمُهُ ، صَحَّ بَطْنُهُ ، وَصَفَا قَلْبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ ، سَقَمَ بَطْنُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ ؛ وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَا تُحْمِتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ يَمُوتُ بِهَمَا ، كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا أَكْثَرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ . وَرَوَى عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَكَلْتُ يَوْمًا ثَرِيدًا وَلَحْمًا سَمِينًا ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَجْشَأُ ، فَقَالَ : أَحْبِبِينَ جَسَدَكَ أبا جُحَيْفَةَ ، إِنْ أَكْثَرْتُمْ شَبْعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرْتُمْ جُوعًا فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ : فَمَا أَكَلْتُ أَبُو جُحَيْفَةَ بَعْدَهَا مِلًّا ، بَطْنُهُ إِلَى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ ، وَأَكَلْتُ عَلَى عَالِيَةِ السَّلَامِ قَلِيلًا مِنْ تَمْرٍ دَقَلْتُ^(١) وَشَرِبْتُ عَلَيْهِ مَاءً ، وَأَمَرَ يَدَهُ عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

فَإِنَّكَ مَتَمَّا تَعَطَّرَ بِطَنُكَ سُوْلُهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الدِّمِّ أَجْعَلَا .
وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عِنْدَ الْحَسَنِ لَيْلَةً ، وَعِنْدَ الْحُسَيْنِ لَيْلَةً ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَيْلَةً ، لَا يَزِيدُ عَلَى اللَّفْظَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثِ ، فَيَقَالُ لَهُ : فَيَقُولُ : إِنَّمَا هِيَ لَيَالٍ قَلِيلٌ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا حَبِصُ الْبَطْنِ ، فَضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا مَا بَا كَلَّ أَحَدُهُمْ إِلَّا فِي نَاحِيَةِ بَطْنِهِ ، مَا شَبِعَ رَجُلٌ مِنْهُمْ طَعَامًا حَتَّى فَارَّقَ الدُّنْيَا ، كَانَ يَأْكُلُ ، فَإِذَا قَارَبَ الشَّبْعَ أَمْسَكَ وَأَنْشَدَ الْمَبْرَدَ :

فإن امتسلاء البطن في حسب الفقى قليلُ الغناء وهو في الجسم صالحُ
وقال عيسى عليه السلام : يا بني إسرائيل ، لا تكثرُوا الأكل ، فإنه من أكل من
الأكل أكثر من النوم ، ومن أكثر النوم أقل الصلاة ، ومن أقل الصلاة كتب من
الغافلين ؛ وقيل ليوسف عليه السلام : مالك لا تشبع وفي يدك خزائن مصر ؟ قال
إني إذا شبعت نمتُ الجائعين .

وقال الشاعر :

وأكلة أوقعت في الهلك صاحبها كعبة القمح دقت عنق عصفور
لكثرة بجرش الملح آكلها ألد من تمره تحشى بزنبور

ووصف لسابور ذي الأكتاف رجلاً من اضطخر للقضاء ، فأستقدمه ، فدعاه إلى
الطعام فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصفها ، وجعل نصفها بين يدي ذلك الرجل
فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الآخر ، فصرفه إلى بلده ، وقال : إن
سلفنا كانوا يقولون : من شربه إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشره .

قيل لسبيرة بن حبيب : إن أبناك أكل طعاماً فأنجم ، وكاد يموت ، فقال : والله
لو مات منه ما صليت عليه . أنس يرفعه : إن من السرف أن تأكل كل ما اشتيت .

دخل عمرُ على عاصم ابنه وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟ قال : قرمنا إليه ؟
قال أو كلما قرمت إلى اللحم أكلته ، كفى بالمرء شراً أن يأكل كل ما يشتهي .
أبو سعيد يرفعه : استعيذوا بالله من الرغب ؛ قالوا : هو الشره ، ويقال : الرغب
شؤم . أنس يرفعه : أصل كل داء البردة ، قالوا هي التخمة ؛ وقال أبو ذرّيد : العرب
تغير بكثرة الأكل ، وأنشد :

لست بأكّال كأكل القيد ولا بنوام كنووم القهد

وقال الشاعر :

إذا لم أذُرْ إلا لَأَكُلْ أَكَلَةً فَبَلَا رَفَعْتُ كَفِّي إِلَى طَعَامِي
فَمَا أَكَلَةً إِنْ نَلَتْهَا بَغِيضَةً وَلَا جَوْعَةً إِنْ جُعْتُهَا بَغْرَامِ

ابن عباس ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يبيت طلويًا ليالي ماله ولأهله عشاء ، وكان عامة طعمه الشعير ؛ وقالت عائشة : والذي بعثَ محمدًا بالحق ما كان لنا مُنْخَلٌ ، ولا أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله خُبْزًا مَنخُولًا منذ بعثه الله إلى أن قبض : فالوا : فكيف كنتم تأكلون دقيق الشعير ؟ قالت : كنا نقول : أَفْ أَفْ .

أنس ، ما أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله رغيفًا مُحَوَّرًا إلى أن لقي ربه عز وجل .

أبو هريرة : ما شبع رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهله ثلاثة أيام متوالية من خُبْزِ حِنْطَةٍ حتى فارق الدنيا .

وروى مسروق قال : دخلتُ على عائشة وهي تبكي ؛ فقلتُ : ما يبكيك ؟ قالت : ما أشاء أن أبكي إلا بسكيت ، مات رسولُ الله صلى الله عليه وآله ولم يشبع من خُبْزِ البُرِّ في يومٍ مرتين ، ثم انهارت علينا الدنيا .

حاتم الطائي :

وإني لأستحي صحابي أن يروا مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً^(١)
أقصر كفي أن تنال أكَفَّهُمْ إذا نحنُ أهوينَا وحاجاتُنَا معاً
أبيتُ تحييصَ البطانِ مضطجِر الحشا حياءُ أخافُ الضيمَ أنْ أنْضَلَمَا

فإنك إن أعطيت نفسك سؤلها وفرتك نالا منتهى الدم أجمعا

فأما قوله عليه السلام : « كان لا يدشهي ، ما لا يجد » فإنه قد نهى أن يشهي
الإنسان ما لا يجد ؛ وقالوا : إنه دليل على سقوط المروءة .

وقال الأحنف : جنبوا بحالنا ذكر تشهي الأطعمة وحديث النكاح .

وقال الجاحظ : جلسنا في دار فجمعنا تشهي الأطعمة ؛ فقال واحد : وأنا أشتهي
سكباجا^(١) كثيرة الزعفران .

وقال آخر : أنا أشتهي طبأجة ناشفة ، وقال آخر : أنا أشتهي هريسة كثيرة الدارصيني
وإلى جانبنا امرأة بيننا وبينها بئر الدار ، فضربت الحائط وقالت : أنا حامل ،
فأعطوني ملء هذه الفضايرة من طبيخكم ، فقال ثمانية : جارتنا تشم
رائحة الأمانى .

الأصل :

لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُقْضَى شُكْرُ النِّعَمِ .

الشرح :

قالت المعتزلة : إِنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ الْوَعِيدَ السَّمْعَى لَمْ يَرُدْ لَمَّا أُخْلَتْ ذَلِكَ بِكَوْنِ الْوَاجِبِ وَاجِبًا فِي الْعَقْلِ ، نَحْوَ الْعَدْلِ وَالصَّدَقِ ، وَالْعِلْمِ ، وَرَدِّ الْوَدِيعَةِ ، هَذَا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ ، وَأَمَّا فِي جَانِبِ السَّلْبِ فَيَجِبُ فِي الْعَقْلِ أَنْ لَا يَظْلَمَ ، وَأَلَّا يَكْذِبَ ، وَأَلَّا يَجْهَلَ ، وَأَلَّا يَخُونَ الْأَمَانَةَ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَالَتْ مُعْتَزِلَةُ بَغْدَادَ : لَيْسَ الثَّوَابُ وَاجِبًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَقْلِ ، لِأَنَّ الْوَاجِبَاتِ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَى الْمَكْلُفِ ، لِأَنَّ أَدَاءَهَا كَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَشُكْرُ الْمُنِيعِ وَاجِبٌ ، لِأَنَّهُ شُكْرُ مَنْعٍ ، فَلَمْ يَبْقَ وَجْهٌ يَقْتَضِي وَجُوبَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ : بَلِ الثَّوَابُ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَدْلًا ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْعَوَاضُ عَنْ إِيْلَامِ الْحَيِّ ؛ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ الْإِزَامَ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ ، كَمَا أَنَّ الْإِيْلَامَ إِنْزَالُ مَضَرَّةٍ ، وَالْإِزَامُ كَالْإِنْزَالِ .

الأصل :

وقال عليه السلام للأشعث بن قيس وقد عراه عن ابن له :
يا أشعثُ ، إنَّ تحزنَ على ابنِكَ فقدِ استحققتَ ذلكَ مِنكَ الرَّحيمُ ، وإنَّ تصبِرَ
ففى الله مِن كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفٌ .

يا أشعثُ إنَّ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى
عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ .

يا أشعثُ ، ابنُكَ سِرٌّ ، وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ ، وَجَزَنُكَ ، وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ .

مركز تحقيقات كالمپور علوم اسلامی

الشرح :

قد روى هذا الكلام عنه عليه السلام على وجوه مختلفة وروايات متنوعة ، هذا
الوجه أحدها ، وأخذ أبو العتاهية الفاظه عليه السلام فقال لمن يعزبه عن ولد :

ولا بدَّ مِن جَرَّيَانِ الْقَضَاءِ إِمَّا مُثَابًا وَإِمَّا أُثِمًا

ومن كلامهم فى التنازى : إذا أَسْأَلْتَ اللَّهَ بِشَيْءٍ فَالَهُ عَنْهُ ، وَتُنَسَّبُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَى
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وذكر أبو العباس فى الكامل أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عِيَاضَ بْنَ تَمِيمٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى
أُسْتُشْهِدَ ، فَعَزَّى أَبَاهُ مُعَزٌّ فَقَالَ : اِحْتَسِبْهُ وَلَا تَجْزَعْ عَلَيْهِ فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا ؛ فَقَالَ عِيَاضُ :
أَتَرَانِ كُنْتُ أَسْرُهُ وَهُوَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَأُسَاءَ بِهِ وَهُوَ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ؟

وهذا الكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن التعازي الجيدة قولُ القائل :

ومن لم يزل غرضاً للمنو ن يتركه كل يوم عيدا^(١)
فإن هن أخطأته مرة فيوشك مخطئها أن يعودا
فبينما يحيد وأخطأته قصدن فأعجلته أن يحيدا
وقال آخر :

هو الدهر قد جرّبه وعرفته فصبرا على مكروهه وتجلدا
وما الناس إلا سابق ثم لاحق وفأنت موت سوف ياحقه غدا
وقال آخر :

أينا قدمت صرُوف الليالي فالذي أخرت سريح اللحاق
غدرات الأيام منزعجات عنقينا من أنس هذا العناق^(٢)
ابن نباتة السعدي :

نُعل بالّدواء إذا مَرَضنا وهل يشفى من الموت الدّواء !
وتختار الطيبَ وهل طيبٌ يؤخر ما يقدمه القضاء !
وما أنفاسنا إلا حاسبٌ وما حركاتنا إلا فناء
البُحْرى :

إن الرزية في الفقيد فإن هفا جزعٌ بلبك فالرزية فيك^(٣)
ومتى وجدت الناس إلا تاركا لحيمه في التراب أو مذوكا
لو ينجلي لك ذخرها من نكبة جلال لأضعك الذي يُيكبا

(١) رجل عميد : هذه المشق .

(٢) حاشية به : قوله : « عنقينا » الثانية باعتبار التقدم والتأخر .

(٣) ديوانه ٢ : ١٥٣ ، من رثائه لعمد بن وهب .

وكتب بعضهم إلى صديق له مات ابنه : كيف شكرُك الله تعالى على ما أخذ من وديعته ، وعوّض من مشوّبته .

وعزّى عمر بن الخطاب أبا بكر عن طفل ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك ؛ فإنّ الطفل يعوّض من أبويه الجنة .

وفي الحديث الرفوع : « مَنْ عَزَّى مَصَابَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » .

وقال عليه السلام : من كنوز السرّ كتمانُ للصائب ، وكتمانُ الأمراض وكتمانُ الصدقة .

وقال شاعر في رثاء ولده :
وسمّيته يَحْيَى لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ
تَخَيَّرْتُ فِيهِ الْقَالَ حِينَ رُفِقَتْهُ وَلَمْ أَذِرْ أَنْ الْقَالَ فِيهِ يَفِيلُ
وقال آخر :

وهُوَ نَجْدِي بَعْدَ فَدِكَ أَنِّي إِذَا شِئْتُ لَأَقِيتُ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ
آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لَوْ تَمَلَّيْتُ عِيشَةً عَالِيكَ اللَّيَالِي مَرَّهَا وَأَنْتَقَالَهَا
فَأَمَّا وَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي قَبْضَةِ الرَّدَى فَقُلْ لِلَّيَالِي فَلْتُصِيبْ مَنْ بَدَا لَهَا
أَخَذَهُ الْمُنْبِي فَقَالَ :

قَدْ كُنْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بِمَدَمِ هَانَا^(١)
ومثله لغيره :

فِرَاقُكَ كُنْتُ أَخْشَى فَافْتَرَقْنَا فَمِنْ فَارَقْتُ بِمَدَمِكَ لَا أَبَالِي

الأصل :

وقال عليه السلام عند وقوفه على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دُفِنَ
رسول الله صلى الله عليه وآله :

إِنَّ الصَّبْرَ جَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَإِنَّ الْمَصَابَ بِكَ
لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ بَعْدَكَ لَقَلِيلٌ .



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

البشرح :

قد أخذت هذا المعنى الشعراء فقال بعضهم :

أَمَسْتُ بِجَفْنِي لِلذَّمُوعِ كُلُّوْمُ حَزَنًا عَلَيْكَ وَفِي الْخُدُودِ رُسُومُ^(١)
وَالصَّبْرُ يُحَمَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

وقال أبو تمام :

وقد كان يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَقَدْ صَارَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٢)

وقال أبو الطيب :

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكَ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكٍ جَمِيلًا^(٣)

وقال أبو تمام أيضاً :

الصَّبْرُ أَجَلُ غَيْرِ أَنْ تَلْذَذَا فِي الْحَبِّ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٤)

(١) الكامل : ٢ : ٤١ ، ونسبها إلى محمد بن عبد الله الحنفي

(٢) ديوانه ٣٣٣ (بشرح الحياط) ، التبيان ١ : ٢٤٦

(٣) ديوانه ٣ : ٢٣٣

(٤) ديوانه ٢٤٢ (بشرح الحياط) .

وقالت خنساء أخت عمرو بن الشريد :

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني لقد أضحكته دهرًا طويلاً
بكيتك في نساء مغولات وكنت أحق من أبدى العوياً
دفعت بك الجليل وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً
إذا قبّح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجليلاً^(١)

ومثل قوله عليه السلام : « وإنه بعدك لقليل » ، يعنى المصاب ، أى لا مُبالاة بالمصاب

بعد المصيبة بك ، قول بعضهم :

قد قاتُ للموت حين نازله والموت مقدمٌ على البهم
أذهب بمن شئت إذ ظفرت به ما بعد يحيى للموت من ألم

وقال الشاعر ذك اليزبوعى يرنى أخاه :

إذا ما أتى يومٌ من الدهر بيننا لحياك عنا شرقه وأصائله^(٢)
أبى الصبر أن العين بعدك لم تزل يحالِف جفنيها قذى ما تزايله
وكنت أعير الدمع قبلك من بسكى فأنت على من مات بعدك شاغله
أعيني إذ أبكا كما الدهر فابكيا لمن نصره قد بانَ عنا ونائله
وكنت به أغشى القتال فمزيتى عليه من المقدار من لا أقاتله
لعمرك إن الموت منا لمولع بمن كان يرجى نفعه وفواضله

قوله :

* فأنت على من مات بعدك شاغله *

هو المعنى الذى نحن فيه ، وذكرنا سائر الأبيات لأنها فائقة بعيدة النظر .

وقال آخر يَرَى رجلاً اسمه جارية :

أَجَارِيَّ مَا أَبْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ عَلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيَا
أَجَارِيَّ لَمْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فِدَيْتَكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً فَحَالُ قَضَاءِ اللَّهِ دُونَ قَضَائِيَا
أَلَا فَلَيْمَتُ مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

ومن الشعر المنسوب إلى عليّ عليه السلام - ويقال : إنه قاله يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله :

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاطِرِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحْزَانِي
ومن شعر الحماسة :

سَابَكِيكَ مَا قَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضُّ فحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَائِحُ
لَنْ حَسُنْتُ فِيكَ الْمَرَانِي بِوَصْفِهَا لَقَدْ حَسُنْتُ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ

الأصل :

لَا تَصْحَبِ الْمَائِيقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيَبْودُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ .

الشرح :

المائيق : الشديدُ الحقُّ ، والموق : شدةُ الحقِّ ، وإنما يزین لك فعله لأنه يعتقد فعله صواباً بمحمقه فيزيئه لك كما يزین العاقل لصاحبه فعله لا اعتقاد كونه صواباً ، ولكن هذا صوابٌ في نفس الأمر ، وذلك صوابٌ في اعتقاد المائق ، لا في نفس الأمر ؛ وأما كونه يود أن تكون مثله فليس معناه أنه يود أن تكون أحق مثله ، وكيف وهو لا يعلم من نفسه أنه أحق ، ولو علم أنه أحق لما كان أحق ، وإنما معناه أنه لحبه لك ، وصحبته إيتاك ، يود أن تكون مثله ، لأن كل أحدٍ يود أن يكون صديقه مثل نفسه في أخلاقه وأفعاله ، إذ كل أحدٍ يعتقد صوابَ أفعاله ، وطهارة أخلاقه ، ولا يشعر بعيب نفسه لأنه يهوى نفسه ، فعيب نفسه مطوى مستور عن نفسه ، كما تخفى عن العاشق عيوبُ الممشوق .

الأفضل :

وقال عليه السلام وقد سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَقَالَ :
مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

الشرح :

هكذا تقول العرب « بينهما مسيرة يوم » بالهاء ، ولا يقولون « مسيرُ يوم » لأنَّ
المسيرة المصدر ، والمسيرة الاسم .

وهذا الجواب تسميه الحكماء جواباً إقناعياً ، لأن السائل أراد أن يذكر له
كمية المسافة مفصلة ، نحو أن يقول : بينهما ألف فرسخ أو أكثر أو أقل ، فعُدل عليه
السلام عن ذلك وأجابه بغيره ، وهو جواب صحيح لا ريب فيه ، لكنه غير شافٍ
لغلب السائل ، وتحت غرض صحيح ، وذلك لأنه سأله بحضور العامة تحت المنبر ، فلو
قال له : بينهما ألف فرسخ مثلاً ، لكان للسائل أن يطالبه بالدلالة على ذلك ،
والدلالة على ذلك يشق حصولها على البدئية ، ولو حصلت لشق عليه أن يوصلها
إلى فهم السائل ، ولو فهمها السائل لما فهمتها العامة الحاضرون ، ولصار فيها قول
وخلاف ، وكانت تكون فتنة أو شبهة بالفتنة ، فعُدل إلى جواب صحيح إجمالي
أسكت السائل به ، وقنع به السامعون أيضاً واستحسنوه ، وهذا من نتائج حكيمته
عليه السلام .

الأصل :

أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ؛ فَأَصْدِقَاؤُكَ : صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ ،
وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ . وَأَعْدَاؤُكَ : عَدُوُّكَ ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ .



الشرح :

قد تقدم القول في هذا المعنى .
مركز بحوث وعلوم اسلامی

والأصل في هذا أن صديقك جار مجرى نفسك ، فاحكم عليه بما تحكم به على نفسك ، وعدوك ضدك ، فاحكم عليه بما تحكم به على الضد ، فكما أن من عاداك عدو لك ، وكذلك من عادى صديقك عدو لك ، وكذلك من صادق صديقك فكأنما صادق نفسك ، فكان صديقك أيضا ، وأما عدو عدوك فعدو ضدك ؛ وضد ضدك ملائم لك ، لأنك أنت ضد لذلك الضد ، فقد اشتهر كما في ضدية ذلك الشخص ، فكنتما متناسبين ، وأما من صادق عدوك فقد مائل ضدك ، فكان ضدا لك أيضا ، ومثل ذلك بياض مخصوص يُعَادَى سَوَاداً مخصوصاً وبضاده .

وهناك بياض ثانٍ هُوَ مِثْلُ البِياضِ الْأَوَّلِ وَصَدِيقُهُ ، وهناك بياض ثالثٌ مِثْلُ البِياضِ الثَّانِي ، فيكون أيضا مِثْلُ البِياضِ الْأَوَّلِ وَصَدِيقُهُ ، وهناك بياضٌ

رابع^١ تأخذه بالاعتبار ضدًا للسواد المخصوص المفروض ، فإنه يكون مماثلًا وصديقًا للبياض الأول ، لأنه عدو عدوه ؛ ثم نفرض^(١) سوادا ثانيا مضادا للبياض الثاني ، فهو عدو للبياض الأول ، لأنه عدو صديقه ، ثم نفرض سوادا ثالثا هو مماثل السواد المخصوص المفروض ، فإنه يكون ضدًا للبياض المفروض المخصوص ، لأنه مثل ضده ؛ وإن مثلت ذلك بالحروف كان أظهر وأكشف .



مركز تحقيقات كتابية وعلوم إسلامية

الأصل :

وقال عليه السلام لِرَجُلٍ رَأَاهُ يَسْعَى عَلَى عَدُوِّ لَهُ يَمَافِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ .

الشرح :

هذا يختلف باختلاف حال الساعى ، فإنه إن كان يضر نفسه أولا ثم يضر عدوه تبعا لإضراره بنفسه ، كان - كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - كالطاعن نفسه ليقتل ردفه ؛ والردف : الرجل الذى تزدفه خلفك على فرس أو ناقة أو غيرها ، وفاعل ذلك يكون أسفه الخلق وأقلهم عقلا ، لأنه يبدأ بقتل نفسه وإن كان يضر عدوه أولا ، يحصل فى ضمن إضراره بعدوه إضراره بنفسه ، فليس يكون مثال أمير المؤمنين عليه السلام منطبقا على ذلك ، ولكن يكون كقولى فى غزل من قصيدة لى :

إن تَرَمَّ قلبى تُصمِّمَ نَفْسَكَ إِنَّهُ لَكَ مَوْطِنٌ تَأْوِي إِلَيْهِ وَمَنْزِلٌ^(١)

(٣٠٣)

الأصل :

ما أَكْثَرَ الْعِبَرِ وَأَقَلَّ الْاِعْتِبَارَ !

الشرح :

ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها ! ولا ريب أن العبر كثيرة جداً ، بل كل شيء في الوجود ففيه عبرة ، ولا ريب أن العبرين بها قليلون ، وأن الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى ، وأرداهم حب الدنيا ، وأسكروهم تغرُّها ، وإن اليقين في الأصل ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال .

الأصل :

مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَيْمٌ ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلَمَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ
مَنْ خَاصَمَ .

التبريح :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : الغالب بالشر مغلوب .
وكان يقال : ما تساب اثنان إلا غلب الأملهما .

وقد نهى العلماء عن الجدال والخصومة في الكلام والفقه ؛ وقالوا : إنهما مظنة المباحة
وطلب الرئاسة والغلبة ، والمجادل يكره أن يفهره خصمه ؛ فلا يستطيع أن يتقى الله .
وهذا هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه .

وأما الخصومة في غير العلم كمنازعة الناس بعضهم بعضاً في أمورهم الدنيوية ، فقد
جاء في ذمها والنهي عنها شيء كثير ، وقد ذكرنا منه فيما تقدم قولاً كافياً ؛ على أن
منهم مَنْ مدح الجهل والشر في موضعهما .

وقال الأحنف : ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا .

وقال بعض الحكماء : لا يخرج من أحد من بيته إلا وقد أخذ في حُجْرَتِهِ قِيرَاطَيْنِ
مِنْ جَهْلٍ ؛ فَإِنْ أَجَاهَلَ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الْجَهْلُ . وقالوا : الجاهل من لا جاهل له .
وقال الشاعر :

إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالْحِلْمِ قَاعِداً	وَحَيَّرْتَ أَيْ شَتَّتَ فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ
وَلَكِنْ إِذَا أَنْصَفْتَ مَنْ لَيْسَ مَنْصَفاً	وَلَمْ يَرْضَ مِنْكَ الْحِلْمُ فَالْجَهْلُ أَمْثَلُ
إِذَا جَاءَنِي مَنْ يَطْلُبُ الْجَهْلَ عَامداً	فَإِنِّي سَأُعْطِيهِ الَّذِي هُوَ سَائِلُ

الأصل :

مَا أَهَنِي أَمْرٌ أَتَيْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

الشرح :

هذا فتحٌ لباب التوبة وتطريق إلى طريقها ، وتعليم للنهضة إليها والاهتمام بها ، ومعنى الكلام أن الذنب الذي لا يعاجل الإنسان عقيبه بالموت يبين للإنسان ألا يهتم به ، أي لا ينقطع رجاءه عن المغفرة وتأمله الغفران ، وذلك بأن يقوم إلى الصلاة عاجلاً ، ويستغفر الله ، ويندم ويعزم على ترك المعادة ، ويسأل الله العافية من الذنوب والمعصية من المعاصي ، والعون على الطاعة ، فإنه إذا فعل ذلك بنية صحيحة واستوفى شرائط التوبة سقط عنه عقاب ذلك الذنب .

وفي هذا الكلام تحذيرٌ عظيم من مواعاة الذنوب ، لأنه إذا كان هذا هو محصول الكلام ، فكأنه قد قال : الحذر الحذر من الموت المفاجئ قبل التوبة ، ولا ريب أن الإنسان ليس على ثقة من الموت المفاجئ قبل التوبة ، إنه لا يفاجئه ولا يأخذه بفتة ، فالإنسان إذا كان عاقلاً بصيراً يتوقى الذنوب والمعاصي غاية التوقى .

الأجمل :

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثَرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثَرَتِهِمْ .
 قِيلَ : كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ .



الشرح :

هذا جواب صحيح ، لأنه تعالى لا يرزقهم على الترتيب ، أعنى واحداً بعد واحد ، وإنما يرزقهم جميعهم دفعة واحدة ، وكذلك تكون محاسبتهم يوم القيامة .
 والجواب الثانى صحيح أيضاً ؛ لأنه إذا صح أن يرزقنا ولا نرى الرزاق ، صح أن نحاسبنا ولا نرى المحاسب .

فإن قلت : فقد ورد أنهم يتكثرون فى الحساب ألف سنة ؛ وقيل أكثر من ذلك ، فكيف يجمع بين ماورد فى الخبر وبين قولكم : « إن حسابهم يكون ضربة واحدة » !
 ولا ريب أن الأخبار تدل على أن الحساب يكون لواحد بعد واحد .

قلت : إن أخبار الأحاد لا يعمل عليها ؛ لا سيما الأخبار الواردة فى حديث الحساب والنار والجنة ، فإن المحدثين طعنوا فى أكثرها ، وقالوا : إنها موضوعة ، وجملة الأمر أنه ليس هناك تكليف ، فيقال إن ترتيب المحاسبة فى زمانٍ طويل جداً يتضمن لطفاً فى التكليف فيفعله البارئ تعالى لذلك ، وإنما الغرض من المحاسبة صدق الوعد وما سبق من القول ؛ والكتاب العزيز لم ينطق إلا بالمحاسبة مجملّة ، فوجب القول بالمتيقن المعلوم فيها ورفض ما لم يثبت .

(٣٠٧)

الأصل :

رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطَلِقُ عَنْكَ .

الشرح :



قالوا في المثل : الرسول على قدر المرسل .

وقيل أيضا : رسولك أنت ، إلا أنه إنسان آخر .

وقال الشاعر :

تَخَيَّرَ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مَرِيلاً فَبَلَغَ آرَاءَ الرِّجَالِ رَسُولُهَا
وَرَوَّ وَفَكَّرَ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا بِأَطْرَافِ أَقْلَامِ الرِّجَالِ عَقُولُهَا

الأصل:

مَا الْمُبْتَكَى الَّذِي قَدْ أَشَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ ، بِأَخْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمَعَانِي الَّذِي
لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءُ .

الشرح:

هذا ترغيب في الدعاء، والذي قاله عليه السلام حق ، لأن المعاني في الصورة مبتلى في
المعنى ، ومادام الإنسان في قيد هذه الحياة الدنيا فهو من أهل البلاء على الحقيقة ، ثم
لا يأمن البلاء الحسى ، فوجب أن يتضرع إلى الله تعالى أنه ينقذه من بلاء الدنيا المعنوى،
ومن بلائها الحسى في كل حال .

ولا ريب أن الأدعية مؤثرة ، وأن لها أوقات إجابة ، ولم يختلف المليون^(١)
والحكما في ذلك .

(٣٠٩)

الأصل :

النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ .

الشرح :

قد قال عليه السلام في موضع آخر: « الناس برماهم أشبه منهم بأبائهم » .

وقال الشاعر :

وَنَحْنُ بَنَى الدُّنْيَا غُذَيْنَا بِدَرَّهَا وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فُهوشِيءَ مَحَبِّ (١)

مركز تحقيقات كتابی ویرا علوم اسلامی

(١) الدر : اللب ، والكلام على الاستعارة .

الأُسْلُ :

إِنَّ الْمَسْكِينِ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ
أَعْطَى اللَّهَ .

الشَّرْحُ :

هذا حُضٌّ عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلٌ مَقْنَعٌ فِيهَا .
وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ لَمَّا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّه » .
وَقَالَ أَيْضًا : « مَنْ رَدَّ سَائِلًا خَائِبًا لَمْ تَغْشَ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ الْبَيْتَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ » .
وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَكِلُ خَصَاتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَصْنَعُ طَهُورَهُ ^(١) بِالْأَيْلِ
وَيَحْمَرُّهُ ، وَكَانَ يَنَاولُ الْمَسْكِينِ بِيَدِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ : مَنْ لَمْ تَكُنْ نَفْسُهُ إِلَى ثَوَابِ الصَّدَقَةِ أَحْوَجَ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى
صَدَقَتِهِ ، فَقَدْ أَبْطَلَ صَدَقَتَهُ ، وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّلَاةُ تَبْلُغُكَ نَصَبِ الطَّارِقِ ، وَالصَّوْمُ يَبْلُغُكَ بَابِ الْمَلِكِ ، وَالصَّدَقَةُ
تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ .

(١) الطهور : الماء الذي يطهر به . ويحمره : يستره .

الأصل :

مَا زَنَى غَيْرَ قَطُّ .

الشرح :

قد جاء في الأثر : مَنْ زَنَى زُنِيَ بِهِ وَلَوْ فِي عَقِبِ عَقِبِهِ .
 وهذا قد جُرِّبَ فوجد حقاً ، وَقَالَ مَنْ تَرَى مُقْدَاماً عَلَى الزَّانَا إِلَّا وَالْقَوْلَ فِي حَرَمِهِ
 وَأَهْلِهِ وَذَوِي مُحَارَمِهِ كَثِيرَ فَاشٍ .
 والكلمة التي قالها عليه السلام حق ، لَأَنَّ مَنْ اعْتَادَ الزَّانَا حَتَّى صَارَ دُرْبَتَهُ وَعَادَتَهُ
 وَأَلْفَتَهُ نَفْسَهُ ، لَا بَدَّ أَنْ يَهْوَنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَظُنَّه مَبَاحاً ، أَوْ كَالْمَبَاحِ ، لَأَنَّ مَنْ تَدَرَّبَ بِشَيْءٍ
 وَمَرَّنَ عَلَيْهِ زَالَ قَبْحُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِذَا زَالَ قَبْحُ الزَّانَا مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي
 أَهْلِهِ ، وَإِذَا لَمْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَدْ سَقَطَتْ غَيْرَتُهُ .

(٣١٢)

الأصل :

كفى بالأجل حارساً !

الشرح :

قد تقدّم القول في هذا المعنى :
وكان عليه السلام يقول : إن عليّ من الله جنة ^(١) حصينة ، فإذا جاء يومي أسلمتني ؛
فحينئذ لا يطيش السهم ، ولا يبرأ الكلام .
والقول في الأجل وكونه حارساً شعبة من شعب القول في القضاء والقدر ، وله موضع
هو أملاك به ^(٢) .

(٢) ١ : هـ أولى به .

(١) الجنة بالضم : كل ما وفي .

(۳۱۳)

الأفضل :

يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكُلِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرْبِ .

قَالَ السَّيِّدُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى قَتْلِ الْأَوْلَادِ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ الْأَمْوَالِ .



الشيخ :

مركز تحقيقات كتابية و نشر اسلامي

كان يقال : المال عدل النفس .

وفي الأثر أن مَنْ قُتِلَ مِنْ دُونِ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .

وقال الشاعر :

لَنَا إِبِلٌ غُرٌّ يَضِيقُ فِصَاؤُهَا وَيَغِيرُ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تَسْبِاحَ دِمَاؤُهَا وَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْبِاحَ دِمَاؤُهَا
جَحَى وَفَرَى قَالَمُوتٍ دُونَ سَرَامِهَا وَأَيْسَرُ أَمْرٍ يَوْمَ حَقِّ فَنَائُهَا

الأفضل :

مَوَدَّةُ الْآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ ، وَالْقَرَابَةُ أُخْرَجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ
إِلَى الْقَرَابَةِ .

الشرح :

كان يقال : الحبُّ يُتَوَارَثُ ، والبُغْضُ يُتَوَارَثُ .

وقال الشاعر :

أَبْقَى الضُّفَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا ^{من تحت كبريتك علوم} فَن تَبِيدَ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ

ولا خير في القرابة من دون مودة .

وقد قال القائل لما قيل له : أيُّما أحبُّ إليك ؟ أخوك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحبُّ

أخي إذا كان صديقا .

فالقربى محتاجة إلى المودة ، والمودة مستغنية عن القربى ^(١) .

الأصل :

أَتَقُوا ظُنُونَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى السِّدِّهِمْ .

الشرح :



كان يقال : ظَنُّ الْمُؤْمِنِ كِهَانَةٍ .

وهو أثرٌ جاء عن بعض السلف .

قال أوس بن حجر ^(١) : *مركز تحقيقات كميته علوم إسلامي*

الألمى الذى يَظُنُّ ^(٢) بك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سَمِعَا ^(٣)

وقال أبو الطيب ^(٤) :

ذَكَى تَظَنِّيهِ طَلِيعةٌ عَيْنُهُ يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى غَدَا ^(٥)

(١) ديوانه ٥٣

(٢) الديوان : « ذَكَى » .

(٣) الألمى : الحديد اللسان والقلب ؛ قال في الكامل :

« وقد أَبَانَهُ بقوله : « الذى يظن بك الظن » . (٤) ديوانه ١ : ٢٨٢

(٥) الظننى : هو التظنن ، قلبت النون الثانية ياء . والطليلة : الذى يطلع القوم على السدود فإذا جاءهم السدود أنفروهم .

الأصل :

لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ مَبْجَانَهُ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ .

التبريح :



هذا كلام في التوكل ، وقد سبق القول فيه .

وقال بعض العلماء : لَا يَشْغَلُكَ الْمُضْمُونُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ عَنِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكَ مِنَ الْعَمَلِ ، فَتَضَيِّعَ أَمْرَ آخِرَتِكَ ، وَلَا تَنَالِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ .
وقال يحيى بن معاذ في جود^(١) العبد : الرزق عن غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد .

وقال بعضهم : متى رضيت بالله وكليلاً ، وجدت إلى كل خير سبيلاً^(٢) .

(٢) زاد بعدها في ١ : « واضجاً » .

(١) في ب : « وجود » تحريف .

وقال عليه السلام لأنس بن مالك ، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرونها شيئاً قد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناها ، فلوى عن ذلك فرجع ، فقال : إني أنيت ذلك الأمر ، فقال عليه السلام : إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا توارىها العمامة .



قال : يعنى البرص ، فأصاب أنساً بهذا الداء فيما بعد في وجهه ، فكان لا يرى إلا متبرقماً .

الشنخ :

المشهور أن علياً عليه السلام ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة ، فقال : أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي وهو منصرف من حجة الوداع : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والي من والاه ، وعاد من عاداه » ! فقام رجال فشهدوا بذلك ، فقال عليه السلام لأنس بن مالك : لقد حفرتها ، فما بالك ! فقال : يا أمير المؤمنين كبرت سني ، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره ؛ فقال له : إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا توارىها العمامة ، فما مات حتى أصابه البرص .

فأما ما ذكره الرضی من أنه بعث أنساً إلى طلحة والزبير فغير معروف ، ولو كان قد بعثه ليدكرهما بكلام يختص بهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لما أمكنه أن

يرجع ، فيقول : إني أنسيته ، لأنه ما فارقته متوجّها نحوها إلا وقد أقرت بمعرفته وذكره ، فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم فيقول : إني أنسيته ، فينكر بعد الإقرار ! هذا مما لا يقع .

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص ، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب " المعارف " ، في باب البرص ^(١) من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متهم في حقّ عليّ عليه السلام ، على المشهور من انحرافه عنه .



مركز تحقيقات كتابية و نشر علوم اسلامی

الأصل :

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًَ وَإِدْبَارًا ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْجِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ ، وَإِذَا
أَذْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ .

الشرح :

لا ريب أن القلوب تمل كما تمل الأبدان ؛ وتقبل تارة على العلم وعلى العمل ، وتدبر
تارة عنهما .

مركز تحقيق تكملة ترمذ علوم إسلامي

قال على عايه السلام : فإذا رأيتموها مقبلة أي قد نشطت وارتاحت للعمل فاحملوها
على النوافل ؛ ليس يعني اقتصروا بها على النافلة ، بل أدوا الفريضة وتنقلوا بعد ذلك .
وإذا رأيتموها قد ملّت العمل وسئمت فاقصروا بها على الفرائض ، فإنه لا انتفاع بعمل
لا يحضر القلب فيه .

الأصل :

فِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ .

الفتح :

هذا حق ؛ لأن فيه أخبار القرون الماضية ، وفيه أخبار كثيرة عن أمور مستقبلية ، وفيه أخبار كثيرة شرعية ؛ فالأقسام الثلاثة كلها موجودة فيه .

مركز تحقيق مكتبة نور علوم إسلامي

الأضد :

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ .

* * *

الشنج :

هذا مثل قولهم في المثل : إن الحديد بالحديد يُفْلَحُ وقال عمرو بن كاثوم .

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(١)

وقال الفيند الزماني :

قَلَمًا صَرَّحَ الشَّرُّ فَامْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ^(٢)

وَلَمْ يَسْقَ سِوَى الْعُدُوِّ نِ دِنَانَهُمْ كَمَا دَانُوا

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِينَ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ

وقال الأحنف :

وَذِي ضِمْنٍ أَمَتَ الْقَوْلَ عَنْهُ بِحِلْيِ فَاسْتَمَرَ عَلَى الْمَقَالِ

وَمَنْ يَحْمِلُ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيَّةٌ يُبْلِقِ الْمَعْضَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ

(١) من المعلقة ص ٣٢٣ - بشرح النجدي (٢) ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - ٢٦ - بشرح النجدي

قلها في حرب البسوس .

وقال الراجز :

لا بد للسودد من أرماح ومن غدير يقي بالراح
* ومن سفيه دائم الثباح *

وقال آخر :

ولا يابث الجهال أن يهضموا أبا الحلم ما لم يستعين بجهول

وقال آخر :

ولا أتمنى الشر والشر ناري ولكن متى أتحل على الشر أركب



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

الأصل :

وقال عليه السلام لِكَاتِبِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ :
أَلْتِ دَوَاتَكَ ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ ، وَقَرِّمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ
فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصِبَا حَةِ الْخَطِّ .



الشرح :

لاقَ الحبرُ بالكاغِدِ يَاقِ ، أى التَّصَقَّ ، وَلَقِيَهُ أَنَا يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وهذه دَوَاةٌ
مُليقة : أى قد أَصْلَحَ مَدَادُهَا ، وجاءَ أَلَى الدَّوَاةِ إِلاقَةٌ فَعِى مُليقة ، وهى لغة قليلة وعاليها
وردت كلمة أمير المؤمنين عليه السلام .

ويقال للمرأة إذا لم تحفظ عند زوجها : ما عاقَتْ عند زوجها ولا لَاقَتْ ، أى
ما التصقت بقاءه .

وتقول : هى جِلْفَةُ القَلَمِ بالكسر ، وأصل الجِلْفُ القَشْرُ ، جِلْفَتُ الطَّيْنِ من رأس الدن ،
والجِلْفَةُ هيئة فتحة القلم التى يستمد بها المداد ، كما تقول : هو حسن الرُّكْبَةِ والجِلْسَةِ ونحو
ذلك من الهيئات .

وتقول : قد قرمط فلانُ خطوه إذا مشى مشياً فيه ضيق وتقارب ؛ وكذلك التمرل
فى تضيق الحروف .

فأما التفريج بين السطور فيكسب الخط بهاء ووضوحاً .

الأصل :

أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجار .

وقال : معنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني ، والفجار يتبعون المال ؛ كما تتبع النحل يعسوبها ، وهو رئيسها .



الشرح :

مركز تحقيقات کتب پیر علم اسلامی

هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظين مختلفين ، تارة : « أنت يعسوب الدين » وتارة : « أنت يعسوب المؤمنين » ، والكل راجع إلى معنى واحد ، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم ، أو جعل الدين يتبعه ، ويقفوا أثره ؛ حيث سلك كما يتبع النحل العسوب .

وهذا نحو قوله : « وأدبر الحق معه كيف دار » .

الأصل :

وقال لبعض اليهود حين قال له : مادَقَنْتُمْ نَبِيِّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ !
فقال له :

إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ ؛ وَلَكِنَّكُمْ مَا جَعَلْتُمْ أَرْجُلَكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى
قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَالَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَكُونَ ﴾ ^(١) .



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

الْبَزْخ :

ما أحسن قوله : « اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ » ، وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد
والنبوة ؛ بل في فروع خارجة عن ذلك ، نحو الإمامة والميراث ، والخلاف في الزكاة
هل هي واجبة أم لا ؛ واليهود لم يختلفوا كذلك ، بل في التوحيد الذي هو الأصل .

قال المفسرون : سرُّوا على قوم يعبدون أصناماً لهم على هيئة البقر ؛ فسألوا موسى أن يجعل
لهم إلهاً كواحد منها ، بعد مشاهدتهم الآيات والأعلام ، وخلاصهم من رق العبودية ،
وعبورهم البحر ، ومشاهدة غرق فرعون ؛ وهذه غاية الجهل .

وقد روى حديث اليهودي على وجه آخر ؛ قيل : قال يهودي لعلي عليه السلام :
اختلفتم بعد نبيكم ولم يحفّ ماؤه - يعني غسله - صلى الله عليه وآله - فقال عليه السلام :
وأنتم قلتم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ولما يحفّ ماؤكم .

(١) سورة الأعراف : ١٣٨

الأصل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَأَى شَيْءٍ غَلَبَتْ الْأَقْرَانُ ؟ قَالَ :
مَا لَقِيتُ أَحَدًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِي .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : يَوْمِي بِذَلِكَ إِلَى تَحَكُّنِ هَيْبَتِهِ فِي الْقُلُوبِ .



البشرح : مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

قالت الحكماء : الوهم مؤثر ، وهذا حق ، لأن المريض إذا تقرر في وهمه أن مرضه قاتل له ربما هلك بالوهم ، وكذلك مَنْ تلبسه الحية ؛ ويقع في خياله أنها قاتلته ؛ فإنه لا يكاد يسل منها ، وقد ضربوا لذلك مثالا ، الماشي على جذع معترض على مهواة ؛ فإن وهمه وتحيله السقوط يقتضي سقوطه ؛ وإلا فشيء عليه وهو منصوب على المهواة كشيء عليه وهو ملق على الأرض ؛ لا فرق بينهما إلا الوهم والخوف والإشفاق والحذر ، فكذلك الذين بارزوا عليا عليه السلام من الأقران ؛ لما كان قد طار صيته ، واجتمعت الكلمة أنه ما بارزه أحد إلا كان المقتول ، غلب الوهم عليهم ، تقصرت أنفسهم عن مقاومته ، وانخذلت أيديهم وجوارحهم عن مناهضته ؛ وكان هو في الناية القصوى من الشجاعة والإقدام ، فيقتحم عليهم ويقتلهم .

الأصل :

وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية :

يا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ ؛ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنَقَصَةٌ لِلدِّينِ ، مَذْهَبَةٌ
لِلْعَقْلِ ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ .



الشرح :

[يَمْدُ مِنْ الْأَقْوَالِ الْحَكِيمَةِ فِي الْفَقْرِ وَالْفَنَى]

هذا موضع قد اختلف الناس فيه كثيرا ، ففضل قوم الفنى ، وفضل قوم الفقر .

فقال أصحاب الفنى : قد وصف الله تعالى المال ، فسماه خيراً ، فقال : ﴿ إِنِّي أُحِبُّتُ
حُبَّ الْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ (١) .

وقال ممتناً على عباده ، واعداهم بالإلزام والإحسان : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ
وَبَنِينَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴾ (٣) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « المال الحسب ، إن أحساب أهل الدنيا هذا المال » .

وقال عليه السلام : « نعم العون على تقوى الله المال » .

قلوا : ولا ريب أن الأعمال الجليلة العظيمة الثواب لا يتهياً حصولها إلا بالمال ؛ كالحيج والوقوف والصدقات والزكوات والجهاد .

وقد جاء في الخبر : « خير المال سكة مأبورة ^(١) أو ماهرة مأمورة » .

وقالت الحكماء : المال يرفع صاحبه وإن كان وضع النسب ، قليل الأدب ، وينصره وإن كان جباناً ، وينسط لسانه وإن كان عيياً ، به توصل الأرحام ، وتصل الأعراس ، وتظهر المروءة ، وتتم الرئاسة ، ويعمر العالم ، وتبلغ الأغراض ، وتذكر المطالب ، وتنال المآرب ؛ يصلك إذا قطعك الناس ، وينصرك إذا خذلوك ، ويستعبد لك الأحرار ، ولولا المال لما بان كرم الكريم ، ولا ظهر لؤم اللئيم ، ولا شكر جواد ، ولا دُم بخيل ، ولا صين حريم ، ولا أدرك نعيم .

وقال الشاعر :

المال أنفع للفتى من علمه والفقر أقتل للفتى من جهله
ماضٍ من رفع الدرهم قدره جهلٌ يناف إلى دناءة أصله
وقال آخر :

دعوتُ أخى فولى مشمئزاً ولقي درهمي لم — ادعوتُ
وقال آخر :

ولم أر أوفى ذمةً من دراهمي وأصدق عهداً في الأمور العظامي
فكم خانتني خلٌّ وثقتُ بهديه وكان صديقاً لي زمان الدرهمي
وقال آخر :

أبو الأصفر المنقوش أنفع للفتى من الأصل والعلم الخطير المتقدم

(١) السكة : الطريقة . والمأبورة : الملقحة ، وانظر نهاية ابن الأثير ١ : ١٠

وما مدح العلمَ امرؤٌ ظفرت به بداه ولكن كلُّ مُقَوٍّ ومُعَدِّمٍ
وقال الشاعر :

ولم أرَ بعدَ الدِّينِ خيراً من الغنى ولم أرَ بعدَ الكفرِ شرّاً من الفقرِ

وقال العتّابي : الناس لصاحب اللال ألزم من الشعاع للشمس ؛ وهو عندهم
أرفع من السماء ، وأعذب من الماء ، وأحلى من الشهد ، وأزكى من الورد ؛ خطؤه
صواب ، وسيئته حسنة . وقوله مقبول ، يُفشى مجلسه ، ولا يُملّ حديثه ، والمفلس
عندهم أكذب من لعان السرّاب ، ومن رؤيا الكفّة ، ومن مرآة اللقوة ، ومن سحاب
تمّوز ، لا يسأل عنه إن غاب ، ولا يسلم عليه إذا قدم ؛ إن غاب شتموه ، وإن حضر
طردوه ؛ مصاحفته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة ؛ أثقل من الأمانة ، وأبغض
من السائل البرم .

وقال بعض الشعراء الظرفاء ، وأحسن كل الإحسان مع خلاعته :

أصونُ دراھمی وأدبٌ عنها	لعلی أمہ — ساسنی وترُسی
وأذخرُها وأجمعُها بجھدی	وبأخذ وارثی منها وعُرُسی
فما كلمها وبشرها هنيئاً	على النفات من نقر وجسّ
ويقعد فوق قبري بعد موتي	ولا يتصدقن عني بفلس
أحبّ إليّ من قصدي عظيماً	كبيراً أصله من عبد شمس
أمدّ إليّ كفى مستنجحاً	وأصبح عبداً خدمته وأمسي
ويتركني أجر الرُّجل مني	وقد صارت كنفس الكلب نفسي

وقال أصحاب الفقر : الغنى سبب الطغيان ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (٢) .
وكان يقال : الغنى يورث البطر ، وغنى النفس خير من غنى المال .
وقال محمود البقال :

الفقر خيرٌ فأتسِعْ واسعه إن من العِصَّةِ ألا تجِدْ
كَمْ واجِدٍ أسلَمَ وجَدانه عَنانَه في بعض ما يُرِدْ
ومُذْمِنٍ للخمر غادٍ على سماعِ عَوْدٍ وغناه غَرِدْ
لو لم يجدْ خمرًا ولا مُسَمَا يَرِدُ بالماء غليلَ الكَبِدْ
كَمْ من يَدٍ للفقر عند امرئٍ طامِئٍ منه الفقر حتى اقتصدْ

وكان يقال : الفقر شعار الصالحين ، والفقر لباس الأنبياء .
ولذلك قال البحترى :

فقرٌ كفقر الأنبياءِ وغربةٌ وصبايةٌ ليس بالبلاءِ بواحدٍ (٣)
وكان يقال : الفقر مُحِفٌ ، والغنى مُثَقِّلٌ .
وفي الخبر : نجا الخفون .

وما أحسن قول أبي العتاهية :

ألم تر أن الفقر يُرْجَى له الغنى وأن الغنى يُخْشَى عليه من الفقرِ
وقد ذم الله تعالى المال ، فقال : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٤) .

(٢) سورة الإسراء ٨٣
(٤) سورة الأنفال ٢٨

(١) سورة العلق ٦ ، ٧
(٣) ديوانه ١ : ١٦٨

ركان يقال : المال ملول المال ، ميتال المال غاد ورائح ، طبع المال كطبع الصبي ،
لا يوقف على وقت رضاه ، ولا وقت سخطه . المال لا ينفعك حتى يفارقك .

والى هذا المعنى نظر القائل :

وصاحب صدق ليس ينفع قربه ولا وده حتى تفارقه عمداً
- يعنى الدينار .

وما أحسن ما قاله الأول :

وقد يهلك الإنسان حسن ريشه كما يذبح الطائوس من أجل ريشه
وقال آخر :

رؤيدك إن المال يهلك ربه إذا جم واستعل وسد طريقه
ومن جاوز الماء الغزير فحجه وسد طريق الماء فهو غريقه

الأفضل :

وقال لسائل سأله عن مسألة :

سَلْ تَفَقُّهًا ، وَلَا تَسْأَلْ تَعَمُّتًا ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهُ بِالْعَالِمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ
الْمُتَعَمِّتَ شَبِيهُ بِالْجَاهِلِ .



الشيخ :

قد ورد نهى كثير عن السؤال على طريق الإعانة .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : مَنْ حَقَّ الْعَالَمُ أَلَّا تَكْثُرَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ ،
وَلَا تُعَمِّتَهُ فِي الْجَوَابِ ، وَلَا تَضَعُ لَهُ غَامِضَاتِ الْمَسَائِلِ ، وَلَا تُلْجَ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ ، وَلَا تَأْخُذَ
بِشُوبِهِ إِذَا نَهَضَ ، وَلَا تُفْسِدَ لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَفْتَابِنَ عَنْهُ أَحَدًا ، وَلَا تَنْقُلَنَّ إِلَيْهِ حَدِيثًا ،
وَلَا تَطْلُبَنَّ عَثْرَتَهُ ، وَإِنْ زَلَّ قَبِلْتَ مَعْذَرَتَهُ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَوْفِرَهُ وَتُعْظِمَهُ لِلَّهِ مَا دَامَ حَافِظًا
أَمْرَ اللَّهِ ، وَلَا تَجَسَّسَ أَمَامَهُ ، وَإِذَا كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَاسْبِقْ أَصْحَابَكَ إِلَى خِدْمَتِهِ .

وقال ابن سيرين لسائل سأله : سَلْ أَخَاكَ إِبْلِيسَ ، إِنَّكَ لَنْ تَسْأَلَ وَأَنْتَ
طَالِبُ رَشَدٍ .

وقالوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ تُعَمِّتَ كَمَا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُعَمِّتَ ، وَنَسْتَكَفِيكَ أَنْ
تَفْضَحَ ، كَمَا نَسْتَكَفِيكَ أَنْ نَفْضَحَ .

وقالوا : إِذَا آتَى الْمَعْلَمُ مِنَ التَّلْمِيزِ سُؤَالَ التَّعَمُّتِ حَرَّمُ عَلَيْهِ تَعْلِيمَهُ .

الأفضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ
لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ :

لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى ، فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِئْنِي .



الْبَرْخ :

الإمام أفضل من الرعية رأياً وتديراً ، فالواجب على مَنْ يُشِيرُ عليه بأمرٍ فلا يقبله
أن يطيعَ ويسلمَ ويعلم أن الإمام قد عَرَفَ من المصلحة ما لم يعرف .

ولقد أحسن الصابي في قوله في بعض رسائله : ولولا فضل الرعاة على الرعايا في
بعدِ مَطَرَحِ النظرة ، واستشفافِ عيبِ العاقبة ، لتساوت الأقدام ، وتقاربت الأفهام ، واستغنى
الذموم عن الإمام .

الأصل :

وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ السَّكُوفَةُ قَادِمًا مِنْ صِفِّينَ مَرَّةً بِالشَّامِيِّينَ ،
فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ صِفِّينَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شَرَحْبِيلَ الشَّامِيُّ ؛
وَكَانَ مِنْ وَجْهِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّفَلَيْكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ ! أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ
عَنْ هَذَا الرِّينِ !

وَأَقْبَلَ حَرْبُ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ ، فَقَالَ لَهُ : ازْجِيعْ فَإِنَّ مَشْيَ
مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِ فِتْنَةِ اللِّوَالِي وَمِثْلَةِ الْمُؤْمِنِ .

مركز حقیقت کا مکتبہ مدنی

الشرح :

قد ذكرنا نسب الشاميين فيما اقتصصناه من أخبار صفين في أول الكتاب ،
والرين : الصوت ، وإنما جعله فتنة للوالي لما يتداخله من العجب بنفسه
والزهو ، ولا ريب أيضا في أنه مذلة للمؤمن ، فإن الرجل الماشي إلى ركاب الفارس
أذل الناس .

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلِي الْخَوَارِجَ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ :
 بؤساً لكم لقد ضررَكم من غرَّكم .
 فقيل له : من غرَّهم يا أمير المؤمنين ؟

فقال :

الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ؛ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ
 فِي الْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ ؛ فَانْتَجَبَتْ بِهِمُ النَّارُ .

مركز تحقيق و نشر علوم اسلامی

البنح :

يَقَالُ : بؤسى زيد وبؤساً « بالتنون » زيد ، فبؤسى نظيره نعى ، وبؤساً نظيره نعمة ،
 ينتصب على المصدر .

وهذا الكلام رد على الجبّة ، وتصريح بأن النفس الأمارة بالسوء هي الفاعلة .
 والإظهار : مصدر ، أظهرته على زيد ، أى جعلته ظاهراً عليه غالباً له ، أى وعدتهم
 الانتصار والظفر .

(۳۳۰)

الأصل :

اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي أَنْتَلَوَاتٍ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ .

الشرح :

إذا كان الشاهد هو الحاكم استغنى عن يشهد عنده ؛ فالإنسان إذن جديرٌ أن يتقَى
الله حقَّ تقاته ، لأنه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه^(۱) .

مركز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

الأصل :

وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه :
 إن حزننا عليه على قدر سرورهم به ، إلا أنهم نقصوا بغيضا ؛
 ونقصنا حبيبا .



الشرح :

قد تقدم ذكر مقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه .
 وقال عليه السلام : إن حزننا به في العظم على قدر فرحهم به ؛ ولكن وقع
 التفاوت بيننا وبينهم من وجه آخر ؛ وهو أننا نقصنا حبيبا إلينا ، وأما هم فنقصوا
 بغيضا إليهم .

فإن قلت : كيف نقصوا ، ومعلوم أن أهل الشام ما نقصوا بقتل محمد شيئا لأنه ليس
 في عددهم !

قلت : لما كان أهل الشام يعدّون في كل وقت أعداءهم وبغضاءهم من أهل العراق ،
 وصار ذلك العدد معلوما عندهم محصور الكمية ، نقصوا بقتل محمد من ذلك العدد واحدا ،
 فإن النقص ليس من عدد أصحابهم ، بل من عدد أعدائهم الذين كانوا يترقبون بهم
 الدوائر ، ويسمّون لهم الخطوب والأحداث ، كأنه يقول : استراحوا من واحد من
 جملة جماعة كانوا ينتظرون موتهم .

(٣٣٢)

الأصل :

وقال عليه السلام : العُمر الذي أعذَرَ اللهُ فيه إلى ابنِ آدمَ سِتُّونَ سَنَةً .

الشرح :

أعذَرَ اللهُ فيه ؛ أى سَوَّغَ لابنِ آدمَ أن يعتذر ، يعنى أن ما قبل الستين هي أيام الصِّبا والشبيبة والكهولة ، وقد يُمكن أن يعتذر الإنسان فيه على اتباع هوى النفس لغلبة الشهوة ، وشره الخدائة ، فإذا تجاوز الستين دخل في سن الشيخوخة ، وذهبت عنه غلواء شيرته ، فلا عذر له في الجهل .

وقد قالت الشعراء نحو هذا المعنى في دُون هذه السن التي عتيها عليه السلام .

قال بعضهم :

إذا ما المرء قصر ثم مرت عليه الأربعون عن الرجال
ولم يلحق بصالحهم فدغسه فليس بالأحق أخرى الليالي

(٣٣٣)

الأصل :

ما ظفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ ، والغالبُ بالشرِّ مغلوبٌ .

البَيِّنَةُ :

قد قال عليه السلام نحو هذا ، وذَكَرناه في هذا الكتاب : مَنْ قَصَرَ فِي الْخُصُومَةِ ظَلَمَ ،
وَمَنْ بَالَعَ فِيهَا أَثِمَ .

مركز تحقيقات كتابية وپژوهش علوم اسلامی

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ اقْتِرَاتَ الْفُقَرَاءِ ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ .



الشرح :

قد تقدم القول في الصدقة وفضلها وما جاء فيها .

وقد ورد في الأخبار الصحيحة أن أباذر قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في ظل الكعبة ، فلما رأيته قال : هم الأخسرون ورب الكعبة ! قلت : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً ، إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمته ، تنطحه بقرونها ، وتطأه بأظلافها ، كلما كفدت أхраها عادت عليه أولاهها حتى يقضى الله بين الناس ..

الأصل :

الاستغناء عن العذر ، أعزُّ من الصدق به .

الشرح :

رَوَى « خَيْرٌ مِنَ الصَّدْق » ، والمعنى : لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وإن كنت صادقاً في العذر ، فألا تفعل خيراً لك وأعزُّ لك من أن تفعل ثم تعتذر وإن كنت صادقاً .

وَمِنْ حِكْمِ ابْنِ الْمُعْتَذِرِ : لَا يَقُومُ عِزُّ الْغَضَبِ بِذَلِكَ الْاِعْتِذَارِ .
وَكَانَ يُقَالُ : إِتَاكَ أَنْ تَقُومَ فِي مَقَامٍ مُعَذِّرَةٍ ، فَرُبَّ عَذْرِ أَسْجَلَ بِذَنْبِ صَاحِبِهِ .
اعْتَذَرَ رَجُلٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لَهُ : ذَنْبُكَ يَسْتَفِيثُ مِنْ عُدْرِكَ .
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : مَا رَأَيْتُ عُدْرًا أَشْبَهَ بِذَنْبٍ مِنْ هَذَا .
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : أَضْرِبْهُ عَلَى ذَنْبِهِ مِائَةً ، وَأَضْرِبْهُ عَلَى عُدْرِهِ مِائَتَيْنِ .
قَالَ شَاعِرُهُمْ :

إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بِوَاضِحٍ فَإِنَّ اطِّرَاعَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ
كَانَ النَّخَعِيُّ يَكْرَهُ أَنْ يُعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَيَقُولُ : اسْكُتْ مُعْذُورًا ، فَإِنَّ الْمَعَاذِيرَ
يَحْضُرُهَا الْكَذِبُ .

الأجند :

أَقْلُ مَا يَلْزَمُكُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعْمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ .

الشرح :

لا شُبْهَةَ أَنْ مِنَ الْقَبِيحِ الْفَاحِشِ أَنْ يُنِيمَ الْمَلِكُ عَلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ بِمَالٍ وَعَبِيدٍ وَسِلَاحٍ ،
فَيَجْعَلَ ذَلِكَ الْمَالَ مَادَّةَ لِمَعْصِيَانِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُجَارِبُهُ بِأَوْلَئِكَ الْعَبِيدِ ، وَبِذَلِكَ
السِّلَاحِ بَعِيْنَهُ .

وما أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الصَّابِيُّ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى سُبُكْتِكِينَ مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُتْيَارٍ :
وَلَيْتَ شِعْرِي بَأَيِّ قَدَمٍ تَوَاقَفْنَا وَرَايَاتُنَا خَافِقَةً عَلَى رَأْسِكَ ، وَبِمَالِيَكُنَا عَنْ يَمِينِكَ
وَشِمَالِكَ ، وَخَيْلُنَا مُوسُومَةٌ بِأَسْمَانِنَا تَحْتُكَ ، وَثِيَابُنَا مَحْوُوكَةٌ فِي طِرَازِنَا عَلَى جَسَدِكَ ،
وَسِلَاحُنَا الْمَشْحُودُ لِأَعْدَائِنَا فِي يَدِكَ !

الأفضل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً أَلَا كَيْسٌ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَجْزَةِ .

الشرح :

الأكياس : المقلأ أولو الألباب .

قال عليه السلام : جعل الله طاعته غنيمة هؤلاء ، إذا قرط فيها العجزة المخدولون من الناس ، كصيد استدف^(١) رجائين : أحدهما جلد والآخر عاجز ، فقعد عنه العاجز لعجزه وحرمانه ، واقتنصه الجلد لشهامته وقوة جده^(٢) .

(١) استدف : تها .

(٢) : « وقوته » .

(٣٣٨)

الأصل :

السُّلْطَانُ وَزَعَهُ اللهُ فِي أَرْضِهِ .

الْبَنْجُ :

الوازعُ عن الشيء : الكافُ عنه ، والمانعُ منه ، والجمعُ وَزَعَةٌ ، مثلُ قَاتِلٍ وَقَتْلَةٍ .
وقد قيل هذا المعنى كثيراً ، قالوا : لا بدَّ للنَّاسِ مِنْ وَزَعَةٍ .
وقيل : ما يَزَعُ اللهُ عن الدِّينِ بالسُّلْطَانِ أَكْثَرُ مما يَزَعُ عنه بالقرآن . وتُنسَبُ
هذه اللَّفْظَةُ إلى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ .

قال الشاعر :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سِرَّاءَ لَهُمْ وَلَا سَرَّاءَ إِذَا جُهِلَتْهُمْ سَادُوا^(١)
وكان يقال : السُّلْطَانُ الْقَاهِرُ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا خَيْرٌ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَلِكُ مِنَ السُّلْطَانِ
الضَّعِيفِ وَإِنْ كَانَ عَادِلًا .

وقال الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أَفْسَدَتِ
الْأَرْضُ ﴾^(٢) .

قالوا في تفسيره : أراد السلطان .

(١) للأفوه الأودي ، ديوانه ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية) .

(٢) سورة البقرة ٢٥١

الأصل :

وقال عليه السلام في صفة المؤمن :

بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ . أَوْسَعُ شَيْءَ صَدْرًا ، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْسًا .
يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَيَسْنَأُ الشُّعْمَةَ . طَوِيلُ نَعْمَةٍ ، بَعِيدُ هَمٍّ ، كَثِيرُ صَمْتَةٍ ، مَسْفُوفُ
وَقْتِهِ ، شَكُورٌ صَبُورٌ . مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ، ضَمِينٌ بِخَلْقِهِ . مَهْلُ الْخَلِيقَةِ ، كَلْبُ
الْعَرِيكَاتِ ؛ نَفْسُهُ أَضَلَبُ مِنَ الصَّلْدِ ؛ وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ .

الشرح :

هذه صفات العارفين ؛ وقد تقدم كثير من القول في ذلك .

وكان يقال : الْبِشْرُ عُنْوَانُ التَّجَلُّحِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ الْعَارِفُ أَنْ يَكُونَ
بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَهُوَ حَزِينٌ وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ ، وَإِلَّا فَالْبِشْرُ قَدْ يَوْجَدُ فِي كَثِيرٍ
مِنَ النَّاسِ .

نَمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ أَوْسَعُ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَذَلَّهُمْ نَفْسًا ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ وَالصَّمْتَ .
وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ فِي وَصْفِهِمْ : « كُلٌّ خَامِلٌ نَوْمَةً » .

وَطَوَّلُ الْقَمِّ وَبَعْدُ الْهَمِّ مِنْ صِفَاتِهِمْ ، وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الصَّمْتِ وَشَغْلُ الْوَقْتِ
بِالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ ، وَكَذَلِكَ الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ وَالْأَسْتِغْرَاقُ فِي الْفِكْرِ وَتَدَبُّرُ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي خَلْقِهِ ، وَالضَّنُّ بِالْخَلْقَةِ وَقَلَّةُ الْحَاطَّةِ وَالتَّوَقُّرُ عَلَى الْعُزْلَةِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَلِينُ الْجَانِبِ ،
وَأَنْ يَكُونَ قَوِيَّ النَّفْسِ جَدًّا ، مَعَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ وَتَوَاضُعُ يَنْبَغُ مِنْهُمْ ؛ وَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا قَدْ أَتَى
عَلَيْهَا الشَّرْحُ فِيمَا تَقَدَّمَ .

(٣٤٠)

الأجمل :

الْعَيْ أَلْأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

الْبَيْخُ :

هذه الكلمة قد رويت مرفوعة ، وقد تقدم القول في الطمع وذمه ،
واليأس ومدحه .

وفي الحديث المرفوع : « ازهد في الناس يُحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس
يُحبك الناس » .

ومن كلام بعضهم : ما أكلت طعاماً واحداً إلا هنت عليه .

وكان يقال : نعوذ بالله من طمع يذني إلى طمع^(١) .

وقال الشاعر :

أرحتُ رُوحِي من عذابِ المِلاحِ لليأسِ روحٌ مثلُ روحِ النَّجاحِ

وقال بعضُ الأدباء : هذا المعنى الذي قد أطنبَ فيه الناسُ ليس كما يزعمونه ، فعمرى

إنَّ لليأسِ راحةً ، ولكن لا كراحةِ النَّجاحِ ، وما هوَ إلا كقولِ مَنْ قال : لا أدرى

نِصفُ العِلْمِ ، قليلُ له : ولكنه النصف الذي لا ينفع !

وقال ابنُ الفضل :

لا أمدَحُ اليأسَ ولكنه أروحُ للقلبِ مِنَ المَطْمَعِ

(١) الطبع : الداس .

أَنْلَحَ مِنْ أَبْصَرِ رَوْضِ الْمَنَى يُرْعَى فَلَمْ يَرْعَ وَلَمْ يَرْتَعِ
وَمَا يُرَوِّى لَعِيدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الزَّاهِدِ :

قَدْ أَرْحَنَّا وَاسْتَرْحَنَّا مِنْ غُدُوِّ وَرَوَاحِ
وَأَنْصَلَ بِأَمْسِيرِ وَوَزِيرِ ذِي سَحَابِ
بِقَفَافٍ وَكَغَافٍ وَقُنُوجِ وَصَلَابِ
وَجَعَلْنَا الْيَأْسَ مِفْتَاحًا لِأَبْوَابِ النَّجَاحِ



مركز تحقیقات کتب و نشر علوم اسلامی

الأصل :

المسئول حرٌّ حتَّى يَعد .

الشرح :

[نبذ من الأقوال الحكيمة في الوعد والمطل]

قد سبق القول في الوعد والمطل . ونحن نذكر هاهنا نكتاً أخرى :

في الحديث المرفوع : « مَنْ وَعَدَ وَعْدًا فَكَأَنَّمَا عَمِدَ عَهْدًا » .

وكان يقال : الوعدُ دينُ السِّكرام ، والمطلُ دينُ اللثام .

وكان يقال : الوعدُ شبكة من شباك الأحرار يتصيدون بها المجاميد .

وقال بعضهم : الوعد مرضُ المعروف ، والإنجاز برؤه .

وقال يحيى بن خالد : الوعد سحاب ، والإنجاز مطرؤه .

وفي الحديث المرفوع : « عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ عَطِيَّةٌ » .

وعنه عليه السلام : « لَا تُوَاعِدْ أَخَاكَ مُوعِدًا تُخْلِفُهُ » .

وقال يحيى بن خالد لبنيه : يَا بَنِيَّ ، كُونُوا أَسْدًا فِي الْأَقْوَالِ ، نَجَازًا فِي الْأَفْعَالِ ،

وَلَا تَعِدُوا إِلَّا وَتُنْجِزُوا ، فَإِنَّ الْحُرَّ يَثْقُ بِوَعْدِ الْكَرِيمِ ، وَرَبَّمَا أَدَانَ عَلَيْهِ .

وكان جعفر بن يحيى يكره الوعد ويقول : الوعد من العاجز ، فأما القادر فالتقيد .

وفي الحديث المرفوع : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » .

وقال ابن الفضل :

أُثِرُوا وَلَمْ يَقْضُوا دُيُونَ غَرَمِهِمْ وَاللَّوْمُ كُلُّ اللَّوْمِ مَطْلُ الْمَوْسِرِ

وقال الآخر :

إِذَا أَنْتَ الْمَعْطِيَّةَ بَعْدَ مَطْلٍ فَلَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَتْ سَنِيَّةً
يَكُنْ يَقَالُ : الْمَطْلُ يَسُدُّ عَلَى صَاحِبِهِ بَابَ الْعُذْرِ ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِ الْأَحْسَنَ وَالْأَكْثَرَ ،
وَالْتَعْجِيلَ يُحَسِّنُ سَبْطَهُ ، وَيَبْسُطُ عُذْرَهُ فِي التَّقْلِيلِ .

وقال يحيى بن خالد لبنيه : يَا بَنِي لَا تَمْطُلُوا مَعْرُوفَكُمْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْعَطَاءِ بَعْدَ الْمَطْلِ
قَلِيلٌ ، وَعَجَلُوا فَإِنَّ عُذْرَكُمْ مَقْبُولٌ مَعَ التَّعْجِيلِ .

ومن كلام الحسن بن سهل : الْمَطْلُ يَذْهَبُ رَوْنَقُ الْبَرِّ ، وَيَكْدُرُ صَفْوُ الْمَعْرُوفِ ،
وَيُحْبِطُ أَجْرُ الصَّدَقَةِ ، وَيَعْقِلُ الْأَسَانُ عَنِ الشُّكْرِ . وَلِلتَّعْجِيلِ حِلَاوَةٌ وَإِنْ قَلَّتِ الْعَارِفَةُ ،
وَلَذَّةٌ وَإِنْ صَفُرَتِ الصَّنِيعَةُ ، وَرَبَّمَا عَرَضَ مَا يَمْنَعُ الْإِنْجَازَ مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ ، وَتَغْيِيرِ
الزُّمَانِ ، فَيَادِرُ الْمَكْنَةَ ، وَعَاجِلُ الْقُدْرَةَ ، وَاتَهَزَّ الْفُرْصَةَ .

وقال الشاعر :

تُحْمِلُ عَلَى الْفَرَاغِ قَضَاءَ شُغْلِي وَأَنْتَ إِذَا فَرَّغْتَ تَكُونُ مِثْلِي
فَلَا أَدْعِي بِخَادِمِكَ الْمَرْحَى وَلَا تَدْعِي بِسَيِّدِنَا الْأَجَلِ

وقال آخر :

لَوْ عَلِمَ الْمَاطِلُ أَنَّ الْمِطْلَالَ فَقَدْ بِهِ يَذْهَبُ طَعْمُ النَّوَالِ
وَإِنَّ أَعْلَى السَّبْرِ مَا نَالَهُ طَالِبُهُ نَقْدًا عَقِيبَ السُّوَالِ
عَجَّلَ لِلسَّائِلِ مَعْرُوفَهُ مَهْنًا مِنْ حُلُولِ قِيلٍ وَقَالَ

(٣٤٢)

الأصل :

لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ ، لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

الشرح :



قد تقدّم من الكلام في الأمل ما فيه كفاية .
وكان يقال : والعجب لصاحب الأمل الطويل ! وربما يكون كفنه في يد النّساج
وهو لا يعلم .

مركز تحقيق الكتب التراثية والدراسات الإسلامية

(٣٤٣)

الأفضل :

لِكُلِّ امرئٍ في ماله شريكان : الوَريثُ والحَوادِثُ .

الْبَيْزُج :

أَخَذَهُ الرَّضِيُّ فَقَالَ :

خُذْ مِنْ تَرَائِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا بُرِّكَاءُكَ الْآيَامُ وَالْوَرَاثُ (١)

لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعْشَرٌ تَحْتِمْ نَفَرُوا الزَّمَانَ بِمَيْثُ فِيهِ ، فَمَاتُوا

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : بَشْرُ مَالٍ الْبُخِيلُ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ .

وَرَأَيْتُ بِحْطَ ابْنَ الْخَشَابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِ « لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ

أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ ثَمَّ لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ » ، كَأَنَّهُ يَمْنَى ضَنَّهُ بِهِ ، أَيْ لَا أَخْرِجْهُ عَنْ يَدَيَّ اخْتِيَارًا .

(٣٤٤)

الأصل :

الدّاعي بلا عمل ، كالرّاعي بلا وتر .

الشرح :

مَنْ خَلَا مِنَ الْعَمَلِ فَقَدْ أَخْلَى بِالْوَاجِبَاتِ ، وَمَنْ أَخْلَى بِالْوَجِبَاتِ فَقَدْ فَسَقَ ،
وَاللّٰهُ تَعَالٰى لَا يَقْبَلُ دُعَاءَ الْفَاسِقِ .

وَشَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّاعِيِّ بِلَا وَتَرٍ ، فَإِنْ سَهَمَهُ لَا يَنْفِذُ (١) .

الأصل :

الْعِلْمُ عِلْمَانِ : مُطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ .

* * *

الشرح :

هذه قاعدة كلية مذكورة في الكتب الحكيمية ، إن العلوم منها ماهو غريزي ، ومنها ماهو تكليفي ؛ ثم كل واحد من القسمين يختلف بالأشد والأضعف ، أما الأول فقد يكون في الناس من لا يحتاج في النظر إلى ترتيب المقدمات ، بل تنساق النتيجة النظرية إليه سؤقا من غير احتياج منه إلى التأمل والتدبر ، وقد يكون فيهم من هو دون ذلك ، وقد يكون من هو دون الدُّون ، وأما الثاني فقد يكون في الناس من لا يجدي فيه التعليم ، بل يكون كالصخرة الجامدة بلادة وغبابة ، ومنهم من يكون أقل تبليدا وجنوح ذهن من ذلك ، ومنهم من يكون الوقفة عنده أقل ، فيكون ذا حال متوسط ، وبالجملة فاستقرأ أحوال الناس يشهد بصحة ذلك .

وقال عليه السلام : ليس ينفع المسموع ، إذا لم يكن المطبوع ، يقول : إذا لم يكن هناك أحوال استعداد لم ينفع الدرس والتكرار ، وقد شاهدنا مثل هذا في حق أشخاص كثيرة اشتغلوا بالعلم الدهر الأطول ؛ فلم ينجع معهم العلاج ، وفارقوا الدنيا وهم على الغريزة الأولى في الساذجية وعدم الفهم .

الأصل :

صَوَابُ الرَّأْيِ بِالْذُّوْلِ يُقْبَلُ بِإِقْبَالِهَا ، وَ يُذِيرُ بِإِذْيَارِهَا .

الشرح :

قال الصولي :

اجتمع بنو برمك عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة ، فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم يصلح لهم ، فقال يحيى : إنا لله ! ذهب والله دولتنا ! كنا في إقبالنا يُبرم الواحد منا عشرة آراء مُشكلة في وقت واحد ، واليوم نحن عشرة في أمر غير مُشكل ، ولا يصح لنا فيه رأي ! الله نسأل حسن الخاتمة .

أرسل المنصور لما (١) هاضه أمر إبراهيم إلى عمه عبد الله بن علي وهو في السجن يستشيرُه ما يصنع ! وكان إبراهيم قد ظهر بالبصرة ، فقال عبد الله : أنا مخبوس ، والمخبوس مخبوس الرأي ، قال له : فعلى ذاك ؟ قال يُفترق الأموال كلها على الرجال ويلقاه ، فإن ظفِرَ فذاك ، وإلا يتوجه إلى أبيه محمد بن جرجان ، ويتركه يقدم على بيوت أموال فارغة ، فهو خيرٌ له من أن تكون الدبيرة عليه ، ويقدم عدوه على بيوت أموال مملوءة .

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج يوماً : لعن الله رجلاً أجرك رَسَنَه ، وخرَّب لك آخرته . قال : يا أمير المؤمنين ، رأيتني والأمر عني مُدبر ولو رأيتني والأمر على مُقبل لا استكبرت مني ما استصغرت ، ولا استعظمت مني ما استحققت .

الأصل :

العَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى .

الشرح :

قد سبق القول في أن الأجل بالفقر أن يكون عفيفا ، وألا يكون جشعا حريصا ، ولا جاداً في الطلب متهاكاً ، وأنه ينبغي أنه إذا افتقر أن يتيه على الوقت وأبناء الوقت ، فإن التيه في مثل ذلك القيام لا يناس به ، ليعتد جداً عن مظنة الحرص والطمع .

وقد سبق أيضا القول في الشكر عند النعمة ووجوبه ، وأنه سبب لاستدامتها ، وأن الإخلال به داعية إلى زوالها وانتقالها ، وذكرنا في هذا الباب أمورا مستحسنة ، فلترجع ، وقال عبد الصمد بن المعدل في العفاف :

سأقنى العفاف وأرضى الكفاف وليس غنى النفس حوز الجزيل
ولا أنصدى لشكر الجواد ولا أتمد لدم البخیل
وأعلم أن بنات الرجاء تحمل العزیز تحمل الذلیل
وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل

(۳۴۸)

الأصل :

يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

الشرح :

شيثان مؤلمان : أحدهما يُنْقِضُ سَرِيعًا ، وَالْآخَرُ يَدُومُ أَبَدًا ؛ فَلَا جَرَمَ ، كَانَ الْيَوْمُ
الْمَذْكُورُ عَلَى الظَّالِمِ ؛ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ !

مركز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

الأضل :

الأقويلُ مُحْفُوظَةٌ ، والسَّرَائِرُ مُبْلُوءَةٌ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ . والنَّاسُ
مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ، سَأَلْتَهُمْ مَتَمَّتْ ، وَجَبَّيْهُمْ مُتَكَلِّفٌ ،
يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيَا يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ ، وَيَكَادُ أَضَلُّهُمْ
عُودًا تَنْكَرُوهُ اللَّحْظَةُ ، وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ .



مركز تحقيقات كتابية وعلوم إسلامية

الشرح :

السرائر هاهنا : ما أُمِرَّ في القلوب من النيات والعقائد وغيرها ، وما يخفى من
أعمال الجوارح أيضا . وبلاؤها : تعرفها ونصفها ، والتميز بين ما طاب
منها وما خبث .

وقال عمر بن عبد الميز للأحوص لما قال :

سَتَلَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحِشَا سَرِيرَةٌ حُبِّ يَوْمَ تُبَلَى السَّرَائِرُ
إِنَّكَ يَوْمَئِذٍ عَنْهَا لَمُسْنُول .

ذكر عليه السلام الناس فقال : قد عمَّتهم النقص إلا المعصومين . ثم قال : سَأَلْتَهُمْ
يَسْأَلُ نَعْتًا ، وَالتَّوَالٍ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَذْمُومٌ ، وَجَبَّيْهُمْ مُتَكَلِّفٌ لِلْجَوَابِ ، وَأَفْضَلُهُمْ
رَأْيَا يَكَادُ رِضَاهُ تَارَةً وَسُخْطُهُ أُخْرَى يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ ، أَيْ يَتَّبِعُونَ الْهَوَى

و يكاد أصلهم عودا، أى أشدهم احتمالا .

تَنَكَّرُوا اللَّحْظَةَ ، نَكَأَتْ الْقَرْحَةَ إِذَا صَدَمَتْهَا بِشَيْءٍ فَتَقَشَّرَهَا .

قال : « وَتَسْنِيهِهِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ » ، أى تحيله وتغيره عن مقتضى طبيعه ؛ يَصِفُهُمْ بِسُرْعَةِ التَّقَلُّبِ وَالتَّلَوُّنِ ، وَأَنَّهُمْ مُطِيعُونَ دَوَاعِيَ الشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ . وَاسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى « فَعَلَ » قَدْ جَاءَ كَثِيرًا اسْتَعْلَظَ الْعَسَلُ ، أَيْ غَلِظَ .



مرکز تحقیقات و نشر اسلامی

الأفضل :

قال : معاشر الناس ، اتقوا الله ؛ فكم من مؤمل مالا يبذله ، وبان مالا يسكنه ،
وجامع ماسوف يتركه ، وأعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه ؛ أصابه
حرأما ، واحتمل به آثاماً ، فباء بوزره ، وقدم على ربه ، آسفاً لا هيفاً ، قد (خسر
الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)



الشرح :

قد تقدم شرح هذه المعاني والكلام عليها ، أما الآمال التي لا تبلى ، فأكثر من
أن تحصى ، بل لا نهاية لها .

وما أحسن قول القائل :

واحسرتاً مات حظي من وصاليكم وللحفظ كما للناس آجال
إن مت شوقاً ولم أبلغ مدى أملي كم تحت هذى القبور الخرس آمال !
وأما بناء مالا يسكن ، فنحو ذلك .

وقال الشاعر :

ألم تر حوشباً بالأمس يبنى بناء نفعه لبني نفيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله بطرق كل ليله
وأما جامع ماسوف يتركه ، فأكثر الناس ، قال الشاعر :

وذي إبل يسعى ويحبها له أخوت صب في رغيها ودوب
غدت وعدداً رباً سواه يسوقها وبدل أحجاراً وجال قليب

(٣٥١)

الأفضل :

مِنُ الْعِصْمَةِ تَعَذَّرُ الْمَعَاصِي .

الشرح :

قد وردت هذه الكلمة على صيغ مختلفة . من العِصْمَةِ أَلَا تَقْدِرُ . وأيضاً ، من العِصْمَةِ أَلَا تَجِدُ .

وقد رُوِيَتْ مرفوعةً أيضاً . *مكتبة جامعة القاهرة*

وليس المرادُ بالعِصْمَةِ هَاهُنَا العِصْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ شَرْطِهَا الْقُدْرَةُ ، وَحَقِيقَتُهَا رَاجِعَةٌ إِلَى لُغْفٍ يَمْنَعُ الْقَادِرَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ عِنْدَهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ غَيْرَ الْقَادِرِ فِي انْدِفَاعِ الْمَقْوَبَةِ عَنْهُ كَالْقَادِرِ الَّذِي لَا يَفْعَلُ .

الأفضل :

ماء وجهك جامدٌ يُقَطِّرُهُ السَّوَالُ ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تَقُطِّرُهُ .

الْبَيْتُ :

هذا حسن ، وقد أخذَه شاعرٌ فقال :
 إِذَا أَظْمَأْتِكَ أَكْفُ اللَّثَامِ كَفَّتِكَ الْقَنَاعَةُ شَبْعًا وَرِيًّا
 فَسَكُنْ رَجُلًا رِجْلُهُ فِي النَّزَى وَهَامِيسَةً هَمَّتْ فِي الثَّرْيَا
 فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَاةِ دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ الْحَيَا
 وقال آخر :

رددتَ لي ماءَ وجهي في صفيحتِهِ رَدَّ الصَّقَالُ بِهَاءِ الصَّارِمِ الْجَذِمِ
 وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقه حَقَنْتَ لي ماءَ وَجْهِهِ أَوْ حَقَنْتَ دَمِي
 وقال مصعب بن الزَّيْبِر : إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ وَجْهَهُ إِلَى رَغْبَتِهِ ، فَبَاتَ لَيْلَتَهُ
 يَتَمَلَّمُ وَيَتَقَلَّقُ عَلَى فِرَاشِهِ ، يَنْتَظِرُ الصَّبْحَ ، قَدْ جَعَلَنِي أَهْلًا لِأَنْ يَقْطُرَ مَاءُ وَجْهِهِ
 لَدَيْ أَنْ أَرُدَّهُ خَائِبًا .

وقال آخر :

ما ماء كَفِّكَ إِنْ أُرْسَاتِ مَرْئُتُهُ مِنْ مَاءِ وَجْهِهِ إِذَا اسْتَقَطَرَتْهُ عِوَضُ

الأفضل :

الثناء بأكثر من الاستحقاق مَلَقٌ ، والتقصيرُ عَنِ الإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ
أَوْ حَسَدٌ .

الْبُزْخُ :

كانوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُبْنَى الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ عَلَى الْمَمْدُوحِ الثَّنَاءُ الْمَفْرَطُ ؛ ويقولون :
خيرُ المَدْحِ مَا قَارَبَ فِيهِ الشَّاعِرُ وَاقْتَصِدَ ، وهذا هو المذهب الصحيح ، وإن كان قوم
يقولون : إن خيرَ الشعرِ المنظومِ في المدحِ ما كان أشدَّ مُغَالَاةً وَأَكْثَرَ تَبْجِيلًا وتعظيمًا
ووصفًا ونعتًا .

وينبغي أن يكون قوله عليه السلام محمولاً على الثناء في وجه الإنسان ؛ لأنه هو الموصوف
بالمَلَقِ إذا أفرطَ ، فأما من يُبْنَى بظَهْرِ الغَيْبِ فلا يُوصَفُ ثَنَاؤُهُ بِالْمَلَقِ ؛ سواء كان مقتصدًا
أو مسرفًا .

وقوله عليه السلام : « والتقصير عن الاستحقاق عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ » لا مز يد عليه في
الحسن ؛ لأنه إذا قصر به عن استحقاقه كان المانع إما من جانب المثنى فقط من غير تعلّق
له بالمثنى عليه ، أو مع تعلّق به ؛ فالأول هو العِيّ والحَصَرُ ، والثاني هو الحسد والمنافسة .

الأصل :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَهَانَ بها صاحبُها .

الشرح :

قد ذكرنا هذا فيما تقدم وذكرنا العلة فيه ، وهي أن فاعل ذلك الذنب قد جمع بين فعل الذنب وفعل ذنب آخر ، وهو الاستهانة بما لا يستهان به ، لأن المعاصي لا هي فيها ، والصغير منها كبير ، والحقيق منها عظيم ، وذلك لجلالة شأن المعصية سبحانه . فأما من يذنب ويستعظم ما أتاه ، فحاله أخف من حال الأول ، لأنه يكاد يكون نادما ^(١) .

(١) بعدها قال : « على ما فعل » .

الأصل :

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ
يَحْزَنْ عَلَى مَافَاتِهِ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ ، وَمَنْ
اَقْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ الشُّرُوءِ اُسْتُهْمَ .

وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَاؤُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَاؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ
قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ .

وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأُحَقُّ بِمِثْلِهِ .
وَالْقَبَاحَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ .
وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيهَا بِمَعْنِيهِ .

الشرح :

كل هذه الفصول قد تقدم الكلام فيها ، وهي عشرة :

أولها : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ؛ كَانَ يَقَالُ : أَصْلَحَ نَفْسَكَ
أولاً ، ثُمَّ أَصْلَحَ غَيْرَكَ .

وثانيها : مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَافَاتِهِ ؛ كَانَ يَقَالُ : الْحُزْنُ عَلَى الْمَنَافِعِ
الدُّنْيَوِيَّةِ سُمٌّ تَرِي يَأْتِيهِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ .

وثالثها : من سَلَّ سيفَ البغي قَتَلَ به ؛ كان يقال : الباغى مَصْرُوعٌ وإن كَثُرَ جنودُه .

ورابعها : مَنْ كابدَ الأمورَ عَطِبَ ، ومن افتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ ؛ مثل هذا قولُ القائل :

مَنْ حَارَبَ الْأَيَّامَ أَصْبَحَ رُحْمَةً قِصْدًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُ مَقْلُولًا

وخامسها : من دخل مَدَاخِلَ السَّوءِ أَثِمَ ؛ هذا مثل قولهم : من عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلشُّبُهَاتِ فَلَا يُلَومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

وسادسها : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ ... إلى قوله : دَخَلَ النَّارَ ؛ قد تَقَدَّمَ القولُ في الْمَنطِقِ الزَّائِدِ ومافيه من المحذور ؛ وكان يقال : قَلَمًا سَلِمَ مَكْتَنًا ، أَوْ أَمِنَ مِنْ عِثَارٍ .

وسابعها : مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنكَرَهَا نَمَّ رَضِيهَا لِنَفْسِهِ فَذَاكَ هُوَ الْأَحَقُّ بِعَيْنِهِ ؛ كان يقال : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِمَا يَسْخَطُهُ مِنْ غَيْرِهِ .

وثامنها : الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ ؛ قد سَبَقَ القولُ في هذا ، وسيأتي أيضا .

وتاسعها : من ذَكَرَ الْمَوْتَ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيسِيرِ ؛ كان يقال : إِذَا أَحْبَبْتَ أَلَّا تَحْسُدَ أَحَدًا فَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ وَمَنْ تَحْسُدُهُ عَنْ قَائِلٍ مِنْ عَدِيدِ الْهَلَكَةِ .

وعاشرها : من عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ ؛ لَا رَيْبَ أَنَّ الْكَلَامَ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَفِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَكَمَا يُسْتَهْجَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَلَّا يَزَالَ يُحَرِّكُ بَدَنَهُ وَإِنْ كَانَ عَابَثًا ، كَذَلِكَ يُسْتَهْجَنُ أَلَّا يَزَالَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ فِيمَا هُوَ عَبَثٌ ، أَوْ يَجْرِي بِجَرَى الْعَبَثِ .

وقال الشاعر :

يَخُوضُ أَنْاسٌ فِي الْكَلَامِ لِيُوجِزُوا وَلَلصَّمْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَوْجَزُ
إِذَا كُنْتَ عَنْ أَنْ تُحْسِنَ الصَّمْتَ عَاجِزًا فَأَنْتَ عَنْ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ

الأصل :

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ :
يُظْلِمُ مَنْ فَرَّقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْعَتَبَةِ ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ .

الشرح :

يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَّرَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهَيْنِ .

أحدهما أن كلَّ مَنْ وَجِدَتْ فِيهِ إِحْدَى هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ ظَالِمٌ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ طَاعَةُ مَنْ فَوْقَهُ فَمَعْصَاهُ ، فَهُوَ بِمَعْصِيَانِهِ ظَالِمٌ لَهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَالظُّلْمُ فِي أَصْلِ الْآفَةِ ؛ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا اللَّبْنَ يُشْرَبُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الرَّوْبَ مَظْلُومًا ، لِأَنَّ الشَّرْبَ مِنْهُ كَانَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِذَا لَمْ يَرْبُ وَلَمْ يَخْرُجْ زُبْدُهُ ، فَكَذَلِكَ مَنْ عَصَى مَنْ فَوْقَهُ فَقَدْ زَحَزَحَهُ عَنْ مَقَامِهِ إِذَا لَمْ يُطِعه . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ قَهَرَ مَنْ دُونَهُ وَغَلَبَهُ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَاهَرَ الظَّالِمَةَ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ كُلَّ ظَالِمٍ فَلَا يَدَّ مِنْ أَجْتِمَاعِ هَذِهِ الْعِلَامَاتِ الثَّلَاثِ فِيهِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ .

الأضل :

عِنْدَ تَنَاهِي الشُّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ ، وَعِنْدَ تَضَائِقِ حَقِّ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ .

الْبُزْج :

كان يقال : إذا اشتدَّ المضيّق ، اتَّسَعَتِ الطَّرِيقُ ، وكان يقال : توقَّعوا الفَرْجَ عند
أرتجاجِ المَخْرَجِ ، وقال الشاعر :

إِذَا بَلَغَ الْحَوَادِثُ مِنْهَا هَا فَرْجٌ يُعِيدُهَا الْفَرْجَ الْمُظْلًا
فَكَمْ كَرِبَ تَوَلَّى إِذْ تَوَالَى وَكَمْ خَطْبٌ تَجَلَّى حِينَ جَلَّى

وفي الأثر : تَضَائِقِي نَنْفَرَجِي ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا .

والفَرْجَةُ بفتح الفاء : التَّفْصِي من الهم ، قال الشاعر :

رَبَّمَا تَجَزَّعَ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ رِيْلُهُ فَرْجَةٌ كَعَلِ الْعِقَالِ^(١)

فَأَمَّا الْفَرْجَةُ بِالضَّمِّ ، فَفَرْجَةُ الْحَالِطِ وَمَا أَشْبَهَهُ .

(١) لأمية أبي الصلت ، وقوله :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ قَدْ يُكْشَفُ غَمْلُهَا بِبَيْرِ احْتِيَالٍ

الأصل :

وقال عليه السلام لبعض أصحابه : لا تجمعن أكثر شغلِكَ بأهلك وولَدِكَ ، فإن
يَكُنْ أَهْلَكَ وولَدَكَ أولياءَ الله فإن الله لا يُضَيِّعُ أولياءَهُ ، وإن يَكُونُوا أعداءَ الله
فما هُتِكَ وشُغِلَكَ بأعداءِ الله !



الشرح :

قد تقدّم القول نحو هذا المعنى ، وهو أمر بالتقويض والتوكّل على الله تعالى فيمن
يَخْلُقُه الإنسان من ولده وأهله ، فإن الله تعالى أعلم بالمصلحة ، وأرأف بالإنسان من أبيه
وأُمّه ؛ ثم إن كان التوكّد في عِلْمِ الله تعالى وليّاً من أولياءِ الله سبحانه ، فإن الله تعالى
لا يَضَيِّعُهُ ، قال سبحانه : ﴿ ومن يتوكّل على الله فهو حسبه ﴾ ^(١) .

وكلُّ وليٍّ لله فهو متوكّل عليه لا محالة ، وإن كان عدوّاً لله لم يَجْزِ الاهتمامُ له
والاعتناءُ بأمره ، لأنّ أعداءَ الله تحبُّ مُقاطعتهم ، وتحرمُ توليهم ، فعلى كلّ حال لا ينبغي
للإنسان أن يَحْفِلَ بأهله وولده بعد موته .

واعلم أن هذا كلامُ العارفين الصّديقين ، لا كلامُ أهل هذه الطبقات التي نعرِفها ،
فإن هذه الطبقات تقصّر أقدامهم عن الوصول إلى هذا المقام .

ويعجبنى قولُ الشاعر :

أيا جامعَ المالِ وفَرَّتْهُ لغيرك إذ لم تكن خالدا
فإن قلتَ : أجمعه للبَين فقد يسبقُ الولدُ الوالدا
وإن قلتَ أخشى صروفَ الزمان فكُن مِن نصاريفه واحدا

(۳۵۹)

الأصل :

أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ .

الشرح :

قد تقدّم هذا المعنى مراراً .



وقال الشاعر :

مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

إِذَا أَنْتَ عَيْبْتَ الْأَمْرَ ثُمَّ أَتَيْتَهُ فَانْتَ وَمَنْ تُزِرِي عَلَيْهِ سَوَاءٌ

الأفضل :

وهنا يحضرته رجلٌ رجلاً آخر بـغلامٍ ولد له فقال له : ليهنئك الفارس ! فقال عليه السلام :

لا تقل ذلك ، ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشده ، ورزقت برّه .



البنج : مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

هذه كلمة كانت من شعار الجاهلية ، فنهى عنها كما نهى عن تحية الجاهلية : « أيت اللعن » ، وجعل عوضها « سلام عليكم » .

وقال رجلٌ للحسن البصري وقد بشره بـغلام : ليهنئك الفارس ! فقال : بل الراجل ، ثم قال : لا مرحبا بمن إن عاش كدّتي ، وإن مات هدّتي ، وإن كنت مُقلاً أنصبتني ، وإن كنت غنياً أذهلّني ، ثم لا أرضى بسعيي له سعيًا ، ولا بكدي عليه في الحياة كدًا ، حتى أشفق عليه بعد موتي من الفاقة ، وأنا في حالٍ لا يصل إلى من فرجه سرورٌ ، ولا من همّه حزن .

الأصل :

وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْمًا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أُطْلِعَتِ الْوَرِقُ رُمُوسَهَا ؛ إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى .

الشرح :

قد رُوِيَ هذه الكلمة عن عمر - رضي الله عنه - ذكر ذلك ابن قتيبة في
” عيون الأخبار “ .

وروى عنه أيضا : لي على كل خائن أمينان : الماء والطين .
قال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط داره ببغداد لبيئتها : هي قبضك ، فإن
شئت فوسعه ، وإن شئت فضيقه .

ورآه وهو يخص حصان داره المبنية بالآجر ، فقال له : إنك أنطى الذهب بالفضة ،
فقال جعفر : ليس في كل مكان يكون الذهب خيرا من الفضة ، ولكن هل ترى عيبا ؟
قال : نعم ، مخالطتها دور السوق .

وقيل ليزيد بن المهلب .

ألا يبني الأمير داراً ؟ فقال : منزلي دارُ الإمارة أو الحبس .

وكان يقال ، في الدار : لتسكن أول ما يبتاع وآخر ما تباع .

ومرَّ رجلٌ من الخوارج بآخر من أصحابهم وهو يبني داراً فقال : من ذا الذي
يقيم كفيلا .

وقالوا : كل ما يخرج بخروجك ، ويرجع برجوعك ، كالدار والنخل ونحوها
فهو كفيلا .

الأصل

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ يَأْتِ وَتُرِكَ فِيهِ ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ .



الشرح :

ليس يعني عليه السلام أن كل من سُدَّ عليه بابُ بيت ؛ فإنه لا بد أن يرزقه الله تعالى ، لأن العيان والمُشاهدة تقتضي خلاف ذلك ؛ وما رأينا من سُدَّ عليه بابُ بيت مدة طويلة فماش ، ولا ريب أن مَنْ شَقَّ أَسْطُوَانَةَ وَجُمِلَ فِيهَا حَيًّا ثُمَّ بَنِيَتِ الْأَسْطُوَانَةُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مَخْتَفًا ، وَلَا يَأْتِيهِ رِزْقُهُ وَلَا حَيَاتُهُ ؛ وَلَئِنْ لِلْحُكَمَاءِ أَنْ يَقُولُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ : إِنَّ أَجَلَهُ إِنَّمَا يَأْتِيهِ لِأَنَّ الْأَجَلَ عَدَمُ الْحَيَاةِ ، وَالْحَيَاةُ تَعْدَمُ لِعَدَمِ مَا يَوْجِبُهَا ، وَالَّذِي يُوجِبُ اسْتِمْرَارَهَا الْغِذَاءُ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ الْغِذَاءُ خَضِرَ الْأَجَلَ ، فَهَذَا هُوَ الْوَجْهَ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْهُ أَجَلُهُ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذِكْرِ مِثْلِهِ فِي حُضُورِ الرِّزْقِ لِمَنْ يُسَدُّ عَلَيْهِ الْبَابُ .

فإِذَا مَعْنَى كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَلِمَ فِيهِمْ يَجْعَلُ فِي دَارِهِ وَيُسَدُّ عَلَيْهِ بَابُهَا أَنَّ فِي بَقَاءِ حَيَاتِهِ لُطْفًا لِبَعْضِ الْمَكَلَّفِينَ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ حَيَاتَهُ ، كَمَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ؛ إِمَّا بِغِذَاءٍ يَقِيمُ بِهِ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، أَوْ

أو يديمُ حياته بفسير سبب ، وهذا هو الوجه الذي منه يأتيه أجلُّه أيضا ، لأنَّ إِمَاتَةَ
الله المكلف أمرٌ تابعٌ للمصلحة ، لأنه لا بدَّ من انقطاع التكليف على كلِّ حال
للوجه الذي يذكِّره أصحابنا في كُتُبهم ، فإذا كان الموتُ تابعاً للمصلحة ، وكان
الإحياء تابعاً للمصلحة ، فقد أتى الإنسان رِزقه - يعني حياته - من حيث يأتيه أجلُّه .
وانتظم الكلام .



مركز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

الأصل :

وَعَزَى قَوْمًا عَنْ مَيْتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأٌ ، وَلَا إِلَيْكُمْ ائْتِهَى ، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا
 يُسَافِرُ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ سَقَرَاتِهِ ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا
 قَدِمْتُ عَلَيْهِ .



الشرح :

قد ألم إبراهيم بن المهدي ببعض هذا في شعره الذي رثى به ولده فقال :
 يَتُوبُ إِلَى أوطَانِهِ كُلُّ غَائِبٍ وَأَحَدٌ فِي الْغِيَابِ لَيْسَ يَتُوبُ^(١)
 تَبْدُلُ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةٍ سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوبُ
 أَقَامَ بِهَا مَسْطُوطًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبُ^(٢)
 وَإِنِّي وَإِنْ قَدَّمْتُ قَبْلِي لِعَالَمٍ بَأْنِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ قَرِيبُ
 وَإِنْ صَبَاحًا تَلْتَقِي فِي مَسَائِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْفِدَاءَ حَيِّبُ

(١) من كلمة له في الكامل ٤ : ٢٣ - ٢٥

(٢) بعده :

كَأَن لَمْ يَكُنْ كَالْفَصِي فِي مَيْعَةِ الضُّحَى سَقَاهُ النَّدى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ

الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، لِيَرَّكُمْ اللَّهُ مِنَ النَّعْمَةِ وَجَائِزٍ ، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِيقِينَ .
 إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرِ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا ، فَقَدْ آمَنَ مَخُوفًا ،
 وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرِ ذَلِكَ اخْتِبَارًا ، فَقَدْ ضَيَّعَ بِأَمُولًا .



الشرح :

قد تقدّم القول في استدراج المترفع الغني ، واختبار الفقير الشقي ، وأنه يجب على
 الإنسان وإن كان مشمولاً بالنعمة أن يكون وحيلاً^(١) ، كما يجب عليه إذا كان فقيراً أن
 يكون شكوراً صبوراً .

الأصل :

يَا أُسْرَى الرَّغْبَةِ ، اقْصُرُوا ، فَإِنَّ الْمَعْرِجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ
أَنْيَابِ الْحَدَثَانِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ تَوَلَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا ، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا .



البشرح :

ضَرَى بِضَرَى ضَرَايَةً مِثْلَ رَمَى بِرَمَى رِمَايَةً ، أَيْ جَرَى وَسَالَ ، ذَكَرَهُ ابْنُ
الْأَعْرَابِيِّ ، وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ أَيْ اَعْدِلُوا بِهَا
عَنْ عَادَاتِهَا الْجَارِيَةِ ، مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ ، وَهَذَا خَيْرٌ مِنْ تَفْسِيرِ
الرَّاوَنْدِيِّ ؛ وَقَوْلُهُ : إِنَّهُ مِنْ ضَرَى السَّكَبِ بِالصَّيْدِ ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ مِنْ ذَلِكَ الضَّرَاوَةُ
بِالْوَاوِ وَقَفَتْحِ الضَّادِ ، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ ضَرَايَةً .

وقوله : « يَا أُسْرَى الرَّغْبَةِ » كلمةٌ فصِيحةٌ .

وكذلك قوله : « لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحَدَثَانِ » ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَهْدَ
إِذَا وَثَبَ وَالذُّثْبَ إِذَا حَمَلَ يَصْرِفُ نَابَهُ ، وَيَقُولُونَ لِكُلِّ خَطْبٍ وَدَاهِيَةٍ جَاءَتْ !
تَصْرِفُ نَابُهَا . وَالصَّرِيفُ : صَوْتُ الْأَسْنَانِ إِذَا عِنْدَ رِغْدَةٍ أَوْ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ
وَالْحَنْقِ ، وَالْحَرْصِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وقد تقدم الكلامُ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِيهَا ، وَغَدْرِهَا وَحَوَادِثِهَا ، وَوُجُوبُ الْعُدُولِ
عَنْهَا ، وَكَسْرُ عَادِيَةِ عَادَاتِ السُّوءِ الْمَكْتَسِبَةِ فِيهَا .

الأصْل :

لَا تَقْلُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا^(١).

الْبَرْخ :

هذه الكلمة يروونها كثير من الناس لعمر بن الخطاب ، و يروونها بعضهم لأُمير المؤمنين عليه السلام . وكان ثَمَامَةُ يحدث بسوء دُرِّ يحيى بن خالد وابنه جعفر . ويقول : إنَّ الرِّشيدَ نَكَبَ عَلِيٌّ بنَ عيسى بنِ مَاهَانَ^(٢) وألزمه مائة ألف دينارٍ أدَّى منها خمسين ألفًا ، وبيعَ بالباقي ، فأقسم الرِّشيدُ إنَّ لم يؤدِّ المَالَ في بقية هذا اليوم وإلا قَتَلَهُ . وكان عَلِيٌّ بنُ عيسى عدُوًّا لِلرَّامِكَةِ مكاشفًا ، فلما علم أَنَّهُ مقتول سأل أن يَمَكُنَّ مِنْ السَّعي إلى الناس يَسْتَنْجِدُهم ، ففُتِحَ لَهُ في ذلك ، فمضى ومعه وَكِيلُ الرِّشيدِ وأَعوانُهُ إلى بابِ يَحْيَى وجعفر ، فأشْبَلَا عَلَيْهِ^(٣) وصحَّحَا مِنْ صُلْبِ أَمْوَالِهَا خَمْسِينَ ألفَ دينارٍ في باقى نهارِ ذلك اليوم بديوانِ الرِّشيدِ باسمِ عَلِيٍّ بنِ عيسى ، واستخلصاه؛ فنقل بعضُ المتنصحين لهما إليهما أَنَّ عَلِيٌّ بنَ عيسى قال في آخرِ نهارِ ذلك اليوم متمثلاً :

فَا بُشَيَّا عَلِيٌّ تَرَكْتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالَ^(٤)

(١) في د « علا » ؛ وهو يستقيم أيضاً .

(٢) ب : « هانان » تصحيف .

(٣) أشبلا : عطفاً .

(٤) اللسان (صرد) ، ونسبه إلى اللعين المقرئ يخاطب جريراً والفرزدق . وصرد السهم : نفذ حده

فقال يحيى للناقل إليه ذلك : يا هذا إن المرعوب ليسبق لسانه إلى ما لم يحيط به بقلبه .
وقال جعفر : ومن أين لنا أنه تمثّل بذلك وعَنَّا ، ولعله أراد أمراً آخر فكان
ثمالة يقول : ما في الأرض أسودٌ من رجلٍ يتأوّل كلام عدوّه فيه ويحمّله على
أحسن تحامّله .

وقال الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلةً فكن أنت محتالاً لزلة عذراً^(١)



مركز تحقيقات كتابية وعلوم اسلامی

الأفضل :

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ ،
فَيَقْضَى إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْآخَرَى .



الشرح :

هذا الكلام على حسب الظاهر الذي يتعارفه الناس بينهم ، وهو عليه السلام
يسلك هذا المسلك كثيرا ، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ، وأما باطن الأمر فإن
الله تعالى لا يصلّي على النبي صلى الله عليه وآله لأجل دعائنا إياه أن يصلّي عليه ،
لأن معنى قولنا : اللهم صل على محمد ، أى أكرمّه ، وارفع درجته ، والله سبحانه
قد قضى له بالإكرام التام ورفعة الدرجة من دون دعائنا ، وإنما تعبدنا نحن بأن
نصلّي عليه لأن لنا ثوابا فى ذلك ، لا لأن إكرام الله تعالى له أمر يستعقبه
ويستتبعه دعاؤنا .

وأىضا فأى غضاضة على الكريم إذا سُئِلَ حاجَتَيْنِ فقضى إحداهما دون الأخرى
إن كان عليه فى ذلك غضاضة فعليه فى ردّ الحاجة الواحدة غضاضة أيضا .

الأصل :

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدْعُ الْمِرَاءَ .

الشرح :

قد تقدم من القول في المراء ما فيه كفاية ، وحديث المراء الجدال المتصل لا يقصد به الحق .

وقيل لثيمون بن مهران : مالك لا تفارق أخاك عن قلبي ؟ قال : لأني لا أشاركه ولا أماريه .

وكان يقال : ماض قوم بعد إذ هداهم الله [تعالى (١)] إلا بالمرأ والإصرار في الجدال على نصرته الباطل .

وقال سفيان الثوري : إذا رأيتم الرجل يلجوا ممانيا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته .

الأصل :

مِنَ الْخُرْقِ الْمَعَاجِلَةِ قَبْلَ الْإِمْكَانِ ، وَالْأَنَاءُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ .

البيان :

قد تقدم القولُ في هذين المعنيين .

ومن كلام ابن المعتز : إهمالُ الفرصة حتى تقوت هجز ، والمعجلة قبل
التمكّن خرق .

وقد جعل أمير المؤمنين عليه السلام كلتا الحالتين خرقاً ؛ وهو صحيح ، لأن الخرق
الحق ، وقلة العقل ، وكلتا الحالتين دليلٌ على الحق والنقص .

(٣٧٠)

الأصل :

لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَنِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ .

الشرح :

من هذا الباب قول أبي الطيب في سيف الدولة ^(١) :

لَيْسَ لِلدَّائِحِ تَسْتَوِي مَنَا قَبْسُهُ فَمَنْ كَلَيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ ^(٢)
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا يَمُوتُ بِهِ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُفْنِيكَ عَنْ رُحْلٍ ^(٣)

(١) ديوانه ٣ : ٨١ .

(٢) كليب هو ابن ربيعة رئيس بني تغلب وسيدهم في الجاهلية .

(٣) بعده :

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَاتِلًا فَقُلْ

الأصل :

الفكرُ مرآةٌ صافيةٌ ، والاعتبارُ مُنذِرٌ ناصحٌ ، وكفى أدباً لنفسك تحجبك
ما كرهته لغيرك .

الشرح :

قد تقدم القول في نحو هذا . وفي المثل : كفى بالاعتبار من ذراً ، وكفى بالشيب
زاجراً ، وكفى بالموت واعظاً ، وقد سبق القول في وجوب تحجب الإنسان ما يكرهه
من غيره .

وقال بعض الحكماء : إذا أحييت أخلاق امرئ فكنته ، وإن أبغضتها
فلا تكنته . أخذها شاعرهم فقال :

إذا أمجبتك خصالُ امرئ فكنته يكن منك ما يُعجبك
فليس على المجدِ والكرُمات إذا جتتها حاجبٌ يحجبك

الأصل :

الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمِلَ ، وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَ
وِإِلَّا أُرْتَحَلَ عَنْهُ .

الشرح :

لا خير في علمٍ بلا عمل ، والعلم بغير العمل حُجَّةٌ على صاحبه ، وكلامُ أمير المؤمنين
عليه السلام يُشعر بأنه لا عالم إلا وهو عامل ، ومُراده بالعلم هاهنا العرفان ؛ ولا ريب أن
العارف لابد أن يكون عاملاً .

ثم استأنف فقال : العلمُ يهتف بالعمل أي يُناديه ، وهذه اللفظة استعارة .
قال : فإن أجابه وإلا ارتحل ، أي إن كان الإنسان عالماً بالأمور الدينية
ثم لم يعمل بها سلكه الله تعالى علمه ، ولم يمت إلا وهو معدود في زمرة الجاهلين ،
ويمكن أن يفسر على أنه أراد بقوله : ارتحل ارتحلت ثمرته ونتيجته ، وهي الثواب ،
فإن الله تعالى لا يُثيب المكلف على علمه بالشرائع إذا لم يعمل بها ، لأن إخلاله
بالعمل يُحبط ما يستحقه من ثواب العلم لو قدرنا أنه استحقَّ على العلم ثواباً ، وأتى
به على الشرائط التي معها يستحق الثواب .

الأصل :

أيها الناس متاع الدنيا حطام مومي ، فتجنبوا امرأة قلعتها أخطى من طمأنينتها ،
 وبلغتها أزكى من ثروتها ، حكم على مكثريها بالفاقة ، وأعين من غنى عنها
 بالراحة ، من راقه زبرجها أعقبت ناظره كرها ، ومن استشعر الشفت بها ملأت
 ضميره أشجانا ، لمن رقص على سواد قلبه ، هم يشغله ، وغم يحزنه ، كذلك حتى
 يؤخذ بكظمه فيلقى بالفناء ، منقطعاً أبهره ، هيناً على الله فناؤه ، وعلى الإخوان
 إلقاءه .

إنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار ، ويقتات منها ببطن الاضطراب ،
 ويسمع فيها بأذن المقت والإباض ، إن قيل أثرى قيل أكدى ، وإن فرح له
 بالبقاء حزن له بالفناء ، هذا ولم يأتهم يوم هم فيه مبلسون .

الشرح :

متاع الدنيا : أموالها وقنياتها .

والحطام : ما تكسر من الحشيش واليبس ، وشبهه متاع الدنيا بذلك لحقارته .

ومومي : يحدث للوباء ، وهو المرض العام .

ومرعاة : بقعة ترعى ، كقولك مأسدة فيها الأسد ، ومحية ، فيها الحيات .

وقلعتها بسكون اللام . خير من طمأنينتها : أى كون الإنسان فيها منزجاً متهيئاً

للرحيل عنها خيرٌ له من أن يكون ساكناً إليها ، مطمئناً بالمقام فيها .
والبلغة : ما يتبلغ به . والثروة : اليسار والغنى ، وإنما حُكِمَ على مكثيها بالفاقة
والفقر لأنهم لا ينتهون إلى حَدٍّ من الثروة والمال إلا وجدوا واجتهدوا ، وحرصوا في
طلب الزيادة عليه ، فهم في كلِّ أحوالهم فقراء إلى تحصيل المال ، كما أن من لا مال له
أصلاً يَجِدُ ويَجْتَهِد في تحصيل المال ، بل ربما كان جِدُّهم وحرصُهم على ذلك أعظم من
كُدْحِ الفقير وحرصه ، وروى : « وأعين من غني عنها » ومن رواه « أغني » أى أغنى الله ،
من غني عنها وزهد فيها بالراحة وخلو البال وعدم الهم والغم .

والزُّبرج : الزينة ، وراقه : أعجبه .
والكَّمة : العمى الشديد ، وقيل : هو أن يولد أعمى .

والأشجان : الأحزان . تحقيق كالمير علوم سدي
والرقصُ بفتح القاف : الاضطراب ^(١) والغليان والحركة .
والكظم بفتح الظاء : مجرى النفس .

والأبهران : عرقان متصلان بالقلب ؛ ويقال للميت : قد انقطع أبهره .
قوله : « وإنما ينظر المؤمن » : اخبارٌ في الصورة ، وأمرٌ في المعنى ، أى لينظر المؤمن إلى
الدنيا بعين الاعتبار ، وليأكل منها بطن الاضطراب ، أى قدر الضرورة ، لا احتكار
أو استكثار ؛ وليسمع حديثها بأذن الوقت والبُغض ، أى ليتخذها عدواً قد صاحبه في
طريق ، فلْيَأْخُذْ حذرَه منه جهده وطاقته ، وليسمع كلامه وحديثه لا أستماع مُصنَعٍ ومُحِبِّ
وامق ، بل أستماع مُبْغِضٍ محترزٍ من غائلته .

ثم عاد إلى وصف الدنيا وطالبها فقال : إن قيل أُنْزَى قيل : أُنْزَى ، وفاعلُ « أُنْزَى » هو الضمير العائد إلى مَنْ استشعر الشَّغَفَ بها . يقول : بينا يقال : أُنْزَى ، قيل : افتقر ، لأن هذه صِفة الدنيا في تقابلها بأهلها ، وإن فرح له بالحياة ودوامها ، قيل : مات وعَدِمَ ، هذا ولم يأتهم يوم القيامة يوم هم فيه مُبْلِسُونَ ، ألبس الرجلُ يَبْلِسُ لبلاسا أي قَنِطَ وبِلِس ، واللفظ من لَفْظَات الكتاب العزيز^(١) .

[نبذ من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وصروفها]

وقد ذكرنا من حال الدنيا وصُروفها وعُذْرِها بأهلها فيما تقدم أبوابا كثيرة نافعة .
ونحن نذكرها هنا زيادةً على ذلك .

فمن كلام بعض الحكماء : ويلٌ لصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها ، وتفرقه ويأسفها وتخذله ويثقل بها ! ويلٌ للمفترين ، كيف أُرْسِمَ ما يكرهون ، وفاتهم ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون ! ويلٌ من الدنيا همَّه ، والخطايا عملُه ، لئيم يفتضح غداً بذنوبه .

وروى أنس قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العَصْدُ لا تُسَبِّقُ ، فجاء أعرابيٌّ بِناقةٍ ففسكها ، فسَقَّ ذلك على المسلمين . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ساقٍ إلى الله ، ألا يرفع في الدنيا شيئاً إلا وضعه » .

وبال بعد من الحكماء : من ذا الذي ينسى على مَوْج البحر داراً ! تلكم الدنيا ، فلا تتخذوها قراراً .

(١) وهو قوله تعالى في سورة الروم ١٢ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ .

وقيل للحكيم : عَلَّمْنَا عَمَلًا وَاحِدًا إِذَا تَعَمَّلْنَاهُ أَحَبَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فقال : ابْتَضُوا الدُّنْيَا بِمُحِبِّكُمْ اللَّهَ .

وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمَ لَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَّيْتُمْ كَثِيرًا ، وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، وَلَأَثَرْتُمْ الْآخِرَةَ » .

ثم قال أبو الدرداء مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمَ لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا ، وَلَا رَاجِعَ إِلَيْهَا إِلَّا مَا لَابَدَتْ لَكُمْ مِنْهُ ، وَلَكِنْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآخِرَةِ ، وَحَضَرَهَا الْأَمَلُ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَصِرْتُمْ كَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، فَبِمَعْصُكُمْ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَدَّعِي هَوَاهَا ، مَا لَكُمْ لَا تَحَابُّونَ وَلَا تَتَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَ أَهْوَائِكُمْ إِلَّا نَحْبُ سَرَائِرِكُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى الْبِرِّ لَتَحَابَبْتُمْ ، مَا لَكُمْ لَا تَتَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، مَا هَذَا إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَلَوْ كُنْتُمْ تَوْقِنُونَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ كَمَا تَوْقِنُونَ بِالدُّنْيَا لَأَثَرْتُمْ طَلِبَ الْآخِرَةِ ، فَإِنْ قَلْتُمْ حُبَّ الْعَاجِلَةِ غَالِبٌ ، فَإِنَّا نَرَاكُمْ تَدَّعُونَ الْعَاجِلَ مِنَ الدُّنْيَا لِلْآجِلِ مِنْهَا ، مَا لَكُمْ تَفَرَّحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَتَحْزَنُونَ عَلَى الْيَسِيرِ مِنْهَا يَفُوتُكُمْ ، حَتَّى يَنْبَيِّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ ، وَيُظْهِرَ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَتَسْمُونَهَا الْمَصَائِبَ ، وَتُقِيمُونَ فِيهَا الْمَآئِمَ ، وَعَامَتَكُمْ قَدْ تَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ دِينِهِمْ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِهِمْ ، وَلَا تَنْغَيِّرُ حَالَ بَهْمٍ ، يَلْقَى بَعْضَهُمْ بَعْضًا بِالسَّرَّةِ ، وَيَكْرَهُ كُلُّ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبَلَهُ صَاحِبُهُ بِمِثْلِهِ ، فَاصْطَحَبْتُمْ عَلَى الْفِيلِ ، وَبَنَيْتُمْ مَرَاغِيَكُمْ عَلَى الدَّمَنِ ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْأَجَلِ ، أَرَأَيْتُمْ اللَّهُ مِنْكُمْ ، وَالْحَقْنَى بَيْنَ أَحَبِّ رُؤْيَاهُ .

وقال حكيم لأصحابه : ارْضُوا بِدَنِيِّ الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ ، كَمَا رَضَى أَهْلُ الدُّنْيَا بِدَنِيِّ الدِّينِ مَعَ سَلَامَةِ الدُّنْيَا .

وقيل في مناه :

أَرَى رَجَالاً بِأَدْنَى الدِّينِ قَدِ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ
فَاسْتَفَنَ بِالَّذِينَ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا أَنَّ تَتَغَنَّى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنْ الدِّينِ
وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « لَتَأْتِيَنَّكُمْ بَعْدِي دُنْيَا تَأْكُلُ إِيْمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطَبَ » .

وقال الحسن رحمه الله : أدركتُ أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعةً فأدّوها إلى من
اتصمهم عليها ، ثم رَكَضُوا خِيفًا .

وقال أيضا : من نَافَسَكَ فِي دِينِكَ فَنَافِسْهُ ، وَمَنْ نَافَسَكَ فِي دُنْيَاكَ فَالْقِيْهَا فِي نَحْرِهِ .
وقال الفضيل : طالَت فِكْرَتِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ^(١) .

ومن كلام بعض الحكماء : لن تصبح في شيء من الدنيا إلّا وقد كان له أهلٌ قبلك ،
ويكون له أهلٌ من بعدك ، وليس لك من الدنيا إلّا عشاء ليلة ، وغداة يوم ، فلا
تُهْلِكَ نَفْسَكَ فِي أَكْلَةٍ ، وَصُمْ عَنْ الدُّنْيَا وَأَفِطِرْ عَلَى الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ رَأْسَ مَالِ الدُّنْيَا
الهُوَى ، وَرَبْحُهَا النَّارُ .

وقيل لبعض الرهبان : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخْلِقُ الْأَبْدَانِ ، وَيَحْدُدُ الْأَمَالَ ،
وَيُقَرِّبُ النَّيَّةَ ، وَيَبَاعِدُ الْأَمَنَةَ . قيل : فما حالُ أهله ؟ قال : مَنْ ظَفِرَ بِهِ تَيْسٌ ، وَمَنْ
قَاتَهُ أَكْتَابٌ .

ومن هذا المعنى قولُ الشاعر :

وَمَنْ يَحْتَدِ الدُّنْيَا لَعِيْشٍ يَسْرُهُ فَسَوْفَ كَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يُلُومُهَا

(١) سورة الكهف ٧ ، ٨

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
 وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون
 فيها ، ولست أسكن إليها ، فإن عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على
 وجل ، إما بنعمة زائلة ، أو ببلية نازلة ، أو ميتة قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا
 أنها لا تعطى أحداً ما يستحق إما أن تزيد له ، وإما أن تنقص .
 وقال سفيان الثوري : أما ترون أنهم كأنها مغضوبٌ عليها ، قد وضعت في
 غير أهلها .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فإنه
 يحبس في جحيمك حتى يأخذك .

وقال الفضيل : لو كانت الدنيا من ذهب يفتنى والآخرة من خزف يبقى
 لكان يفتنى لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفتنى ، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفتنى
 على ذهب يبقى !

وقال بعضهم : ما أصبح أحدٌ في الدنيا إلا وهو ضيف ، ولا شبهة في أن
 الضيف مُرحّل ، وما أصبح ذو مال فيها إلا وماله عارية عنده ، ولا ريب أن
 العارية مردودة .

ومثل هذا قول الشاعر :

وما المالُ والأهلون إلا ودعةٌ ولا بدّ يوماً أن تُردَّ الودائع^(١)
 وقيل لإبراهيم بن أدهم : كيف أنت ؟ فأشده :
 نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

وزارَ رابعةَ العدوية أصحابها ، فذَكروا الدنيا فأقبلوا على دَمِّها ، فقالت : اسْكُتُوا
عن ذِكْرِها وكُفُّوا ، فلولاً مَوْقِعُها في قلوبكم ما أَكْثَرْتُمْ من ذِكْرِها ، إنَّ من
أَحَبِّ شَيْئاً أَكْثَرَ من ذِكْرِه .

وقال مُطَرِّفُ بنُ الشَّخِيرِ : لا تَنْظُرُوا إلى خَفْضِ عَيْشِ الملوك ، ولين رِيائِشِهم ،
ولكن انظُرُوا إلى سُرْعَةِ ظُفْعِهم ، وسوءِ مَنَقَلِبِهم قال الشاعر :

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وإن طَالَ عَمْرُهُ ونال من الدُّنْيَا سروراً وأنعاماً
كَبَانَ بنِي بُنْيَانِهِ فَأَقَامَهُ فلمَّا اسْتَوَى ما قَد بَنَاهُ تَهَدَّمَا
وقال أبو العتاهية :

نَعَالِي اللهُ يَا سَلَمَ بنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الحَرَصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ (١)
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مَعِيرُ ذَاكَ إلى الزَّوَالِ !
وما دُنْيَاكَ إِلَّا مِثْلُ فَيْءٍ أَظْلَكَ نِمَّ آذَنٍ بَانَتْقَالَ

وقال بعضهم : الدُّنْيَا جَيْفَةٌ ، فمن أراد منها شَيْئاً فليَصْبِرْ على مُعَاشَرَةِ الكلاب .
وقال أبو أَمَامَةَ البَاهِلِيُّ : لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم أَتَتْ إبْلِيسَ
جَنُودُهُ وقالوا : قد بُعِثَ نَبِيٌّ ، وَجَدَتْ مِائَةً وَأُمَّةً ، فقال : كيف حالُهم ؟ أَيْحِبُّونَ
الدُّنْيَا ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : إن كانوا يَحِبُّونها فلا أَبَالِي أَلَّا يَعْبُدُوا الأصْنَامَ ،
فإنَّما أُغْدُو عليهم وَأَرْوِحُ بِثَلَاثَ : أَخَذِ الْمَسَالَ من غيرِ حَقَّةٍ ، وَإِنْفَاقِهِ في غيرِ
حَقَّةٍ ، وإِمْساكِه عن حَقَّةٍ ، والشرُّ كُلُّهُ لهذه الثَّلاثِ تَبِعَ .

وكان مالكُ بنُ دِينَارٍ يَقُولُ : اتَّقُوا السَّجَّارَةَ فإنَّها تَسْحَرُ قُلُوبَ العُلَمَاءِ ، يعني الدُّنْيَا .

وقال أبو سليمان الرازي: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا فزاحمتها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة ، والدنيا لثيمة .

وقال مالك بن دينار : بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام : الدنيا والآخرة ضربان : فبقدر ماترضى إحداهما تسخط ^(١) الأخرى .

وقال الشاعر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غداً قريبة العرس من الماتم
وقالوا : لو وصفت الدنيا نفسها لما قالت أحسن من قول أبي نواس فيها :

إذا امتحن الدنيا ليتبت تكشفت له عن عذو في ثياب صديق ^(٢)

ومن كلام الشافعي بعبث أخاه : يا أخي ، إن الدنيا دحش مزالة ^(٣) ، ودار مزالة ؛ عمرانها إلى الخراب سائر ، وساكنها إلى القبور زائر ؛ تشملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مضروف ، الإكثار فيها إفسار ، والإعسار فيها يسار ؛ فافزع إلى الله ، وأرض برزق الله ، ولا تستسلف من دار بقائك في دار فناءك ، فإن عيشك في زائل ، وجدار مائل . أكثر من عملك ، وأقصر من أملاك .

وقال إبراهيم بن أدهم لرجل : أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة ؟ فقال : دينار في اليقظة . فقال : كذبت ، إن الذي تحبه في الدنيا فكأنك تحبه في المنام ، والذي تحبه في الآخرة فكأنك تحبه في اليقظة .

وقال بعض الحكماء : من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن

جَبَلْ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَرَّقَ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ ، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ فَهُوَ الْغَالِبُ .
 وقال بعضهم : الدُّنْيَا تَبْقُضُ إِلَيْنَا نَفْسَهَا وَنَحْنُ نَحْبُهَا ، فَكَيْفَ لَوْ تَحَبَّيْتُ إِلَيْنَا !
 وقال بعضهم : الدُّنْيَا دَارُ خَرَابٍ ، وَأَخْرَبُ مِنْهَا قَلْبُ مَنْ يَعْمُرُهَا ، وَالْجَنَّةُ دَارُ
 عُمُرَانٍ ، وَأَعْمُرُ مِنْهَا قَلْبُ مَنْ يَطْلُبُهَا .

وقال يحيى بْنُ مُعَاذٍ : الْعَقْلَاءُ ثَلَاثَةٌ : مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ ، وَبَنَى قَبْرَهُ
 قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَاهُ .

وقال بعضهم : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَفِيَّ عَنِ الدُّنْيَا بِالدُّنْيَا كَانَ كَمُطْفِئِ
 النَّارِ بِالتَّنِّينِ .

وَمِنْ كَلَامٍ بَعْضُ فَصَحَاءِ الزَّهَادِ : أَيُّهَا النَّاسُ اعْمَلُوا فِي مَهَلٍ ، وَكُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى
 وَجَلٍ ، وَلَا تَعْتَرِزُوا بِالْأَمَلِ ، وَنِسْيَانِ الْأَجَلِ ، وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ
 خَدَاعَةٌ قَدْ تَزَخَّرَتْ لَكُمْ بِفُرُورِهَا ، وَفَتَنَتْكُمْ بِأَمَانِيَّهَا ، وَتَزَيَّنَتْ لَطْفَائِمِهَا ، فَأَضَاعَتْ
 كَالْعُرُوسِ الْمُتَجَلِّيَةِ ، الْعَيُونَ إِلَيْهَا نَازِرَةٌ ، وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا عَاكِفَةٌ ، وَالنَّفُوسُ لَهَا عَاشِقَةٌ .
 فَمَنْ مِنْ عَاشِقٍ لَهَا قَتَلَتْ ، وَمُطْمَئِنٍّ إِلَيْهَا خَذَلَتْ ! فَانظُرُوا إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا
 دَارُ كَثْرَتِ بَوَائِقِهَا ، وَذَمِّهَا خَالِقُهَا ، جَدِيدُهَا يَبْلَى ، وَمُلْكُهَا يَفْنَى ، وَعَزِيزُهَا يَذِلُّ
 وَكَثِيرُهَا يَقِلُّ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، وَخَيْرُهَا يَفُوتُ ؛ فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفْلَتِكُمْ ، وَانْتَبِهُوا مِنْ
 رَقَدَتِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَقَالَ : فَلَانٌ عَلِيلٌ ، وَمَدَنَةٌ ثَقِيلٌ ، فَهَلْ عَلَى الدَّوَاءِ مِنْ دَلِيلٍ ، وَهَلْ
 إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ سَبِيلٍ ؟ فَدَعَى لَكَ الْأَطْبَاءُ ، وَلَا يُرْجَى لَكَ الشِّفَاءُ ، ثُمَّ يَقَالَ : فَلَانُ
 أَوْصَى ، وَمَالَهُ أَحْصَى ، ثُمَّ يَقَالَ : قَدْ ثَقُلَ لِسَانُهُ فَمَا يَكَلِّمُ إِخْوَانَهُ ، وَلَا يَعْرِفُ جِيرَانَهُ ،
 وَغَرِقَ عِنْدَ ذَلِكَ جَبِينُكَ ، وَتَتَابَعَ أَيْنُكَ ، وَثَبَتَ بَقِيئُكَ ، وَطَمَحَتْ جَفُونُكَ ، وَصَدَقَتْ
 ظُنُونُكَ ، وَتَلَجَّجَ لِسَانُكَ ، وَبَكَى إِخْوَانُكَ ، وَقِيلَ لَكَ : هَذَا أَيْنُكَ فَلَانُ ، وَهَذَا أَخُوكَ

فلان ؛ مُنِعَت من الكلام فلا تَنطِق ، وَخُتِمَ على لسانك فلا يَنْطَبِق ، ثُمَّ حَلَّ بِكَ القضاء ، وَأَنْزَعَت رَوْحَكَ من الأعضاء ، ثُمَّ عُرِجَ بِهَا إلى السماء ، فَأَجْتَمَعَ عند ذلك إِخْوَانُكَ ، وَأَحْضَرَت أَكْفَانُكَ ، فَغَسَلُوكَ وَكَفَّنُوكَ ، ثُمَّ حَمَلُوكَ فَدَفَنُوكَ ، فَأَنْقَطَعَ عَوَاذُكَ ، وَأُسْتَرَّاحَ حُتَاؤُكَ ، وَانصَرَفَ أَهْلُكَ إلى مَالِكَ ، وَبَقِيَتْ مَسَرَّتُهَا بِأَعْمَالِكَ .

وقال بعضُ الزَّهَّادِ لبعضِ الملوك : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَمِّ الدُّنْيَا وَقِلَافِهَا مَنْ يُسِطِرُ لَهَا فِيهَا ، وَأُعْطِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا ، لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ آتًا تَعْدُو عَلَى مَالِهِ فَتَجْتَنَاهُ ، وَعَلَى جَمِيعِهِ فَتَفْرُقُهُ أَوْ تَأْتِي عَلَى سُلْطَانِهِ فَتَهْدِمُهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، أَوْ تَدْبِي إِلَى جِسْمِهِ فَتُسْقِدهُ ، أَوْ تَفْجِعه بِشَيْءٍ هُوَ ضَرِيرٌ بِهِ مِنْ أَحِبَّابِهِ ، فَالدُّنْيَا الْأَحَقُّ بِالذَّمِّ ، وَهِيَ الْأَخْذَةُ مَا تُعْطَى ، الرَّاجِعَةُ فِيمَا تَهَبُ ؛ فَبَيْنَا هِيَ تُضْحِكُ صَاحِبَهَا إِذْ أَضْحَكَتْ مِنْهُ غَيْرُهُ ، وَبَيْنَا هِيَ تَبْكِي لَهُ إِذْ أَبْكَتْ عَلَيْهِ وَبَيْنَا هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذْ بَسَطَتْ كَفَّهَا إِلَيْهِ بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالْأَسْتِرْدَادِ ، تَعْقِدُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعْفِّره فِي التَّرَابِ غَدًا ، سِوَاهُ عَالِيهَا ذَهَابٌ مِّنْ ذَهَبٍ وَبَقَاءٌ مِّنْ بَقَى ، تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ خُلْفًا ، وَتَرْضَى بِكُلِّ مِّنْ كُلِّ بَدَلًا .

وكتب الحسنُ البصريُّ إلى عمر بن عبد العزيز : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظُلْمٍ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا عِقُوبَةً فَاحْذَرُهَا فَإِنَّ الزَّادَ مِنْهَا رِيحُهَا ، وَالْفَنَى مِنْهَا فَقَرُّهَا ، لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ ، تُدَلُّ مَنُ أَعْرَظَهَا ، وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَهَا ، هِيَ كَالشَّمِّ بِأَكْلِهِ مَنُ لَا يَعْرِفه وَهُوَ حَتْفُهُ ، فَكُنْ فِيهَا كَالْمُدَاوِي جَرَّاحِهِ ، يَحْمِي قَلِيلًا مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُهُ طَوِيلًا ، وَيَصْبِرُ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ ، مَخَافَةَ طَوْلِ الْبَلَاءِ ، فَاحْذَرِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْغَدَارَةَ الْمَكَّارَةَ ، الْخَلْقَالَةَ الْخُلْدَاعَةَ ، الَّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ بِخُدَعِهَا ، وَفَتَنْتَ بِغُرُورِهَا ، وَتَحَمَّلْتَ بِأَمَالِهَا ، وَتَشَرَّفْتَ لُحْطَاتِهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَيْنَهُمْ كَالْعُرُوسِ تُجَلَّى عَلَى بَعْلِهَا ، الْعَيُونَ إِلَيْهَا نَازِرَةٌ ، وَالْقُلُوبُ عَالِيهَا وَالِهَةٌ ، وَالنَّفُوسُ لَهَا عَاشِقَةٌ ، وَهِيَ لِأَزْوَاجِهَا كُلِّهَا قَاتِلَةٌ ، فَلَا الْبَاقِيَ بِالْمَاضِي مُعْتَبِرٌ ، وَلَا الْآخِرَ بِالْأَوَّلِ مُزْدَجِرٌ ، وَلَا الْعَارِفَ بِاللَّهِ حِينَ أَخْبَرَهُ عَنْهَا مَذْكِرٌ ، فَمَنْ عَاشَقَ لَهَا قَدْ

ظفر منها بحاجته ، فاغتر وطفى ونسى العاد ، وشغل بها لُبّه حتى زلت عنها قدمه ،
 فعمّمت ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عاياه سكرات الموت بألمه ، وحسرات
 القوت بنصته ، ومن رغب فيها لم يدرك منها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب ،
 خرج منها بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ؛ فاحذرْها ثم احذرْها وكن أسراً ما تكون فيها
 أحذر ما تكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ،
 والساو منها لأهلها غاز ، والنافع منها في غدي ضار ، قد وصل الرّخاء منها بالبلاء ، وجعل
 البقاء فيها للفناء ؛ فسروورها مشوب بالأحزان ، ونعيمها مكدر بالأشجان ، لا يرجع ما ولى
 منها وأدبر ، ولا يدري ما هو آت فينتظر ، أمانتها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها
 كدر ، وعيشها نكد ، والإنسان فيها على خطر إن عقل ونظر ، وهو من النّماء على
 غرر ، ومن البلاء على حذر ، فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خيراً ، ولم يضرب لها مثلاً ،
 لكانت هي نفسها قد أيقظت النّائم ، ونبّهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عنها
 زاجر ، وبصايرفها واعظ ، فما لها عند الله قدر ، ولا نظر إليها منذ خالقها ، ولقد عرّضت
 على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا يتقصه ذلك عند الله جناح
 بموضة ، فأبى أن يقبلها ، كره أن يخالف على الله أمره ، أو يحب ما أبغضه خالقه ،
 أو يرفع ما وضعه ملكه ، زواها الربّ سبحانه عن الصالحين اختباراً ، وبسطها لأعدائه
 اغتراراً ، فيظنّ المفرور بها ، المقتدر عليها ، أنه أكرم بها ، وينسى ما صنع الله تعالى
 بمحمد صلى الله عليه وسلم من شدة الحجر على بطنه ، وقد جاءت الرواية عنه عن ربه
 سبحانه أنه قال لموسى : إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ مجلت عقوبته ، وإذا رأيت
 الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين ؛ وإن شئت اقتديت بصاحب الرّوح والكلمة
 عيسى ؛ كان يقول : إدامى الجوع ، وشعاري الخوف ، ولباسي الصّوف ، وصيلائي
 في الشتاء مشارق الشمس ، وسراجي القمر ، ووسادي الحجر ، ودابتي رجلاي ،

وفاصكهي وطعامي ما أنبت الأرض ، أيتُ وليس لي شيء ، وليس على الأرض
أحدٌ أغنى مني .

وفي بعض الكتب القديمة : إن الله تعالى لما بعث موسى وهارون عليهما
السلام إل فرعون قال : لا يروعتكما لباسه الذي لبس من الدنيا ، فإن ناصيته بيدي
ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني ، ولا يُعجبكما ما مُتّع به منها ، فإن ذلك
زهرة الحياة الدنيا ، وزينة المترفين ، ولما شئت أن أرينكما بزيّنة من الدنيا يعرف
فرعون حين يراها أنّ قدرته جزعاً وهبماً لقعلت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك ،
وأزوي ذلك عنكما ، وكذلك أفضل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي
الشفيق غنمه من مراعي الهلكة ، وإني لأجنبهم حبّ المقام فيها كما يجنب الراعي
الشفيق إبله عن مبارك العرّة ، وما ذلك لهُوانهم عليّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من
كرامتي سالماً موفوراً ، إنما يتزين لي أوليائي بالذلّ والخضوع والخوف ، وإن التقوى
لتنبت في قلوبهم ، فتظهر على وجوههم ، فهي ثيابهم التي يلبسونها ، ودثارهم الذي
يظهرون ، وضميرهم الذي يستشعرون ، ونجائهم التي بها يفوزون ، ورجاؤهم الذي إتياء
يأملون ، ومجدّهم الذي به يفتخرون ، وسيامهم التي بها يُعرفون ، فإذا لقيهم أحدٌ كما فليخفض
لهم جناحه ، وليذلّ لهم قلبه ولسانه ، وليعلم أنه من أخاف لي ولتيا فقد بارزني بالحاربة ،
نعم أنا النائر به يوم القيامة .

ومن كلام بعض الحكماء : الأيام سهام ، والناس أغراض ، والدمر يرميك كلّ
يوم بسهامه ، ويتغرّمك بلياليه وأيامه ؛ حتى يستغرق جميع أجزائك ، ويصبي جميع
أبعاضك ، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدنك ! ولو
كُشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لا ستوحشت من كلّ يوم يأتي عليك ،
واستنقلت ممرّ الساعات بك ، ولكن تدبير الله تعالى فوق الفطر والاعتبار .

وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها - : الدنيا وقتك الذي يرجع إليه طرفك ، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه ، وما لم يأت فلا علم لك به ؛ والدهر يومٌ مقبل تنعاه ليلته ، وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى على الإنسان ، بالتغيير والنقصان ، والدهر موكلٌ بثبتات الجماعات ، وانحرام الشمل ، وتنقل الدُّول ، والأمل طويل ، والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور .

وقال بعض الفضلاء : الدنيا سريرة الفناء ، قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ، وتُخلف في الوفاء ، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرّة ، وهي سائرة سيرا عنيفا ، ومرحلة ارتحالا سريعا ، ولكن الناظر إليها قد لا يحسن بحركتها فيظن أنها ساكنة ، وإنما يحسن بذلك بعد انقضائها ومثالها الظل ، فإنه متحرك ساكن ؛ متحرك في الحقيقة ، وساكن في الظاهر ، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصرة الباطنة .

مكتبة جامعة القاهرة

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، زِيَادَةً لِعِبَادِهِ
عَنْ نِعْمَتِهِ ، وَحِيَاشَةَ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ .

* * *

البيان :

زِيَادَةً ، أَيْ دَفْعًا ذُوَّهُ عَنْ كَذَا ، أَيْ دَفْعَتَهُ وَرَدَّتَهُ . وَحِيَاشَةً مَصْدَرُ حُشْتُ الصَّيْدِ
بِضْمِ الْحَاءِ ، أَحْوَشُهُ ، إِذَا جُتِيَ مِنْ حَوْلَيْهِ لَتَصْرِفَهُ إِلَى الْحِيَالَةِ ، وَكَذَلِكَ أَحْشْتُ الصَّيْدَ
وَأَحْوَشْتُهُ ، وَقَدْ احْتَوَشَ الْقَوْمُ الصَّيْدَ إِذَا نَفَرَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

وهذا هو مذهب أصحابنا ، إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَلَّفَ الْعِبَادَ التَّكَالِيفَ الشَّاقَّةَ ، وَقَدْ كَانَ
يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا غَيْرَ شَاقَّةٍ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَزِيدَ فِي قُدْرَتِهِمْ ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ فِي مَقَابَلَةِ تِلْكَ
التَّكَالِيفِ ثَوَابٌ ، لِأَنَّ إِلْزَامَ الْمَشَاقِّ كَأَنْزَالِ الْمَشَاقِّ ، فَكَأَيُّ تَضَمُّنِ ذَلِكَ عَوَاضًا ، وَجِبَ أَنْ
يَتَضَمَّنَ هَذَا ثَوَابًا ، وَلَا بَدَأَنْ يَكُونَ فِي مَقَابَلَةِ فِعْلِ الْقَبِيحِ عِقَابٌ ، وَإِلَّا كَانَ سُبْحَانَهُ مُمَكِّنًا
الْإِنْسَانَ مِنَ الْقَبِيحِ ، مَغْرِبًا لَهُ ^(١) بَقْعُهُ ، إِذْ الطَّبْعُ الْبَشَرِيُّ يَهْوِي الْعَاجِلَ ، وَلَا يَحْفَلُ بِاللَّدَمِ ،
وَلَا يَكُونُ الْقَبِيحُ قَبِيحًا حِينَئِذٍ فِي الْعَقْلِ ، فَلَا يَدَّ مِنَ الْعِقَابِ لِيَقَعَ الْأَنْزَجَارُ .

الأصل :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رُسْمُهُ ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا
اسْمُهُ ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى ، سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا
شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَلْطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنْهَا
فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَبِي حَلَفْتُ ، لَا بُعْثَنَّ عَلَى أَوْلَئِكَ
فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانٌ ، وَقَدْ فَعَلَ ، وَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ اللَّهَ عَذْرَةَ الْغَفْلَةِ .



الشرح :

مركز تحقيق تكملة علوم السدي

هذه صفة حال أهل الضلال والفسق والرياء من هذه الأمة ، ألا تراه يقول : سُكَّانُهَا
وَعُمَارُهَا ، يعنى سكان المساجد ، وعمار المساجد شر أهل الأرض ؛ لأنهم أهل ضلالة كمن
يَسْكُنُ الْمَسَاجِدَ الْآنَ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ التَّجَسُّمَ وَالنَّشْبِيَةَ وَالصُّورَةَ وَالنَّزُولَ وَالصُّعُودَ وَالْأَعْضَاءَ
وَالْجَوَارِحَ ، وَمَنْ يَقُولُ بِالْقَدَرِ يُضَيِّفُ فِعْلَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْقَبِيحِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
فَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ فِتْنَةٍ ، يَرُدُّونَ مَنْ خَرَجَ مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ
فِيهَا إِلَيْهَا أَيْضًا .

ثم قال حاكيا عن الله تعالى : إنه حلف بنفسه ليبعثن على أولئك فتنة ، يعنى استئصالا
وسيفا حاصدا يترك الحليم أى العاقل اللبيب فيها حيران لا يعلم كيف وجه خلاصه .

ثم قال عليه السلام : وقد فعل .

وينبغى أن يكون قد قال هذا الكلام فى أيام خلافته ، لأنها كانت أيام السيف
للمسائط على أهل الضلال من المسلمين ، وكذلك ما بعثه الله تعالى على بنى أمية وأتباعهم من
سيوف بنى هاشم بعد انتقاله عليه السلام .

الأجمل :

وروي أنه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام خطبته :
أيها الناس ، اتقوا الله فما خلق عبداً فيلهو ، ولا ترك سدى فيلغو ،
وما دنياء التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبّحها سوء النظر عنده ،
وما المفروز الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة
بأدنى مهنته .

مركز تحقيقات كميتر علوم سدي

الشرح :

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِيَّانَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾^(١) .
ومن الكلمات النبوية : إن المراء لم يترك سدى ، ولم يخلق عبثاً .
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن من ظفر من الدنيا بأعلى وأعظم أمنية
ليس كالآخر ظفر من الآخرة بأدون درجات أهل الثواب ، لا مناسبة ولا قياس
بين نعيم الدنيا والآخرة .

وفي قوله عليه السلام : « التي قبّحها سوء النظر عنده » تصريح بمذهب
أصحابنا أهل العدل رحمهم الله ، وهو أن الإنسان هو الذي أضل نفسه لسوء نظره ،
ولو كان الله تعالى هو الذي أضله لما قال : قبّحها سوء النظر عنده .

الأصل :

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا عِزَّ أَعَزَّ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا مَقِيلَ أَحْسَنَ مِنَ
الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالَ أَذْهَبَ لِلْفَقَاةِ
مِنَ الرِّضَى بِالْقُوَّةِ .

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انتَظَمَ الرِّاحَةَ ، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدُّعَاةِ .
وَالدُّعَاةِ مِفْتَاحُ النَّصَبِ ، وَمَطْيِئَةُ التَّعَبِ ، وَالْخِرُصُ وَالْكِبَرُ وَالْحَسَدُ دَوَائِعُ إِلَى
التَّحْقُّمِ فِي الذُّنُوبِ ، وَالشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ .

مركز تحقیق کتب پیر علم اسلامی

البنرج :

كل - هذه المعاني قد سبق القول فيها مرارا شتى ؛ فأتى كل مرة بما لم تأت به فيما
تقدم ، وإتاما بكررهما أمير المؤمنين عليه السلام لإقامة الحجة على المسكتين ، كما يكرر
الله سبحانه في القرآن المواعظ والزواجر ، لذلك كان أبو ذر - رضي الله عنه - جالسا بين
الناس فأنته امرأته فقالت : أنت جالس بين هؤلاء ، ولا والله ما عندنا في البيت هبة
ولا سفة^(١) ؛ فقال : يا هذه ، إن بين أبدينا عقبة كؤودا ، لا يتجو منها إلا كل مخف .
فرجعت وهي راضية .

(١) نهاية ابن الأثير ٢ : ١٦٧ ، ٤ : ٢٥٠ . الهبة : السحاب لا ماء فيه ؛ والسفة : ما ينسج من
الحوس كالزبل ؛ أي لا مشروب في بيتك ولا مأكول .

وقيل لبعض الحكماء : ما مالك ؟ قال : التَّجَمُّلُ في الظَّاهِر ، والقَصْدُ في الباطن ،
والغِنَى عَمَّا في أيدي الناس :

وقال أبو سليمان الدَّاراني : تنفَّس فقيرٌ دُونَ شهوةٍ لَا يَقْدِر عليها أَفْضَلُ من عِبَادَةٍ
غَنَى ألفَ عام .

وقال رجلٌ لبشر بن الحارث : ادعُ لي فقد أضرَّ الفقرُ بي وبعمالي ؛ فقال : إذا قال
لك عمالك : ليس عندنا دقيق ولا خبز فادعُ لبشر بن الحارث في ذلك الوقت ، فإنَّ
دعائك أَفْضَلُ من دعائه .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم إني أسألك ذلَّ نفسي ، والزَّهْدَ فيما
جاوزَ الكفاف .

مركز تحقيقات كميته بر علوم اسلامی

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ :

يَا جَابِرُ ، قَوَامُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِأَرْبَعَةٍ : عَالِمٌ يَسْتَعْمِلُ عَلَيْهِ ، وَجَاهِلٌ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَجَوَادٌ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَفَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ ، فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ .
يَا جَابِرُ ، مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَامَ بِمَا يَحِبُّ اللَّهُ فِيهَا عَرَضَ نِعْمَةُ اللَّهِ لِذَوَائِمِهَا ، وَمَنْ ضَيَّعَ مَا يَحِبُّ اللَّهُ فِيهَا عَرَضَ نِعْمَتُهُ لِذَوَائِلِهَا .

الشرح :

قد تقدم القول في هذه المعاني . والحاصل أنه ربط اثنتين من أربعة إحداهما بالأخرى ، وكذلك جعل في الاثنتين الآخرتين ، فقال : إن قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم يستعمل علمه ، يعني يعمل ولا يقتصر على أن يعلم فقط ولا يعمل ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وأضر ما على الجهلاء الاستنكاف من التعلم ؛ فإنهم يستمرون على الجهالة إلى الموت ، والثالث جواد لا يبخل بالمعروف ، والرابع فقير لا يبيع آخرته بدنياء ، أي لا يسرق ، ولا يقطع الطريق ، أو يكتسب الرزق من حيث لا يحبّه الله ، كالقمار ، والمواخير ، والمزاجر ، والساخر ، ونحوها .

ثم قال : فالثانية مرتبطة بالأولى إذا لم يستعمل العالم علمه استنكف الجاهل من التعلم ، وذلك لأنَّ الجاهل إذا رأى العالم يمضي ويجاهر الله بالفسق زهد في التعلم ؛ وقال : لماذا تعلم العلم إذا كانت ثمرته الفسق والمعصية .

ثم قال : والرابعة مرتبطة بالثالثة ، إذا بخل الفنى بمعرفه ، باع الفقير آخرته بدنيا ، وذلك لأنه إذا عدم الفقير الوساة مع حاجته إلى القوت دعت الضرورة إلى الدخول في الحرام ، والاكتساب من حيث لا يحسن ، وينبغي أن يكون عوض لفظة جواد لفظة غنى ليطابق أول الكلام آخره ، إلا أن الرواية هكذا وردت ، وجواد لا يخل بمعرفه ، وفي ضمير اللفظ كون ذلك الجواد غنيا لأنه قد جعل له معروفا والمعروف لا يكون إلا عن ظهر غنى ؛ وباقي الفصل قد سبق شرح أمثاله .

مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الأَمَل :

وَرَوَى أَبُو جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيرِ ،
وَكَانَ مِنْ خَرَجِ لِقَتَالِ الْحِجَابِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ بِهِ
النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ : إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ ، وَأَثَابَهُ
ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ وَالصَّادِقِينَ ، يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ :

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عَدُوَّنَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ ، فَأَنْكَرَهُ
بِقَدِّهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِإِسَاءَةٍ فَقَدْ أُجِرَ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ ،
وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُنْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ الشُّفْلَى ،
فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى ، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَنُورَ فِي قَدَمِهِ الْيَقِينُ .

الْبَرْخ :

قد تقدم الكلام في النهي عن المنكر ، وكيفية ترتيبه ، وكلام أمير المؤمنين في
هذا الفصل مطابق ^(١) لما يقوله المتكلمون - رحمهم الله .

وقد ذكرنا فيما تقدم ، وسنذكر فيما بعد من هذا المعنى ما يجب . وكان النهي عن
المنكر معروفا في العرب في جاهليتها ؛ كان في قريش حلف الفضول ، تحالفت قبائل
منها على أن يردعوا الظالم ، وينصروا المظلوم ، ويردوا عليه حقه ما بل بحر صوفة ، وقد
ذكرنا فيما تقدم .

(١) د : « مطابق » .

الأصل :

وقال عليه السلام في كلام له غير هذا يجري هذا المجرى :
 فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ ؛
 وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخِصَلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ
 الْخَيْرِ ، وَمُضَيِّعٌ خِصْلَةً ؛ وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي
 ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخِصَلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ ؛ وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِلْإِنْكَارِ
 الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَبِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءِ ؛ وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنْفَتُهُ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ ،
 وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ
 مِنْ رِزْقٍ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِزٍ .

الشرح :

قد سبق قولنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو أحد الأصول الخمسة
 عند أصحابنا . وَلِجَّةُ الْمَاءِ : أَعْظَمُهُ ، وَبَحْرٌ لُجِّيٌّ : ذُو مَاءٍ عَظِيمٍ . وَالنَّفْثَةُ : الْفَعْلَةُ الْوَاحِدَةُ ،
 مِنْ نَفَثَ الْمَاءَ مِنْ فَمِي ، أَيْ قَذَفْتَهُ بِقُوَّةٍ .

قال عليه السلام : لَا يَعْتَدَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ إِنْ أَمَرَ ظَالِمًا بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهَى ظَالِمًا عَنِ مَنكَرٍ ،
 أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ سَبَبًا لِقَتْلِ ذَلِكَ الظَّالِمِ لِلْأُمُورِ أَوْ الْمُنْهَبِيِّ إِيَّاهُ ، أَوْ يَكُونُ سَبَبًا لِقَطْعِ رِزْقِهِ
 مِنْ جِهَتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرُ الْأَجَلِ ، وَقَضَى الرِّزْقَ ، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ عَلَى
 أَحَدٍ عَمَلَهُ أَوْ رِزْقَهُ .

وهذا الكلام ينبغي أن يُعمل على أنه حثٌّ وحضٌّ وتحريضٌ على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، ولا يُعمل على ظاهره ، لأنَّ الإنسان لا يجوز أن يُلقَى بنفسه إلى التهلكة ، معتدداً على أنَّ الأجل مقدَّر ، وأنَّ الرزق مقسوم ، وأنَّ الإنسان متى غلب على ظمئه أنَّ الظالم يقتله ويقيم على ذلك المنكر ، ويضيف إليه منكراً آخر لم يحزَّ له الإنكار. فأمَّا كلمة العدل عند الإمام الجائر فتحو ما روي أنَّ زيد بن أرقم رأى عبيد الله بن زياد - ويقال : بل يزيد بن معاوية - يضرب بقضيب في يده ثنائياً الحسين عليه السلام حين حلَّ إليه رأسه ، فقال له : إيهما ! ارفع يدك ؛ فطالما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقبلها !



[فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

ونحن نذكر خلاصة ما يقوله أصحابنا في النهي عن المنكر ، ونترك الاستقصاء فيه للكتب الكلامية التي هي أولى ببسط القول فيها من هذا الكتاب .

قال أصحابنا : الكلام في ذلك يقع من وجوه : منها وجوبه ، ومنها طريق وجوبه ، ومنها كيفية وجوبه ، ومنها شروط جُسنه ، ومنها شروط وجوبه ، ومنها كيفية إيقاعه ، ومنها الكلام في النأهي عن المنكر ، ومنها الكلام في النهي عن المنكر .

أمَّا وجوبه ؛ فلا ريب فيه ؛ لأنَّ المنكر قبيح كله ، والقبيح يجب تركه ، فيجب النهي عنه .

وأمَّا طريق وجوبه فقد قال الشيخ أبو هاشم رحمه الله : إنه لا طريق إلى وجوبه إلا السمع ، وقد أجمع المسلمون على ذلك ، وورد به نص القرآن في غير موضع .

قال الشيخ أبو علي - رحمه الله : العقل يدل على وجوبه ، وإلى هذا القول مال شيخنا أبو الحسين رحمه الله .

وأما كَيْفِيَّة وجوبه فإنه واجب على الكفاية دون الأعيان ، لأن الغرض ألا يقع المنكر ، فإذا وقع لأجل إنكار طائفة لم يبق وجه لوجوب الإنكار على من سواها .
وأما شروط حسنه فوجوه :

منها أن يكون ما ينكره قبيحا ، لأن إنكار الحسن وتحريمه قبيح ، والقبيح على ضروب : فنه ما يقبح من كل مكلف ، وعلى كل حال ، كالظلم . ومنه ما يقبح من كل مكلف على وجه دون وجه ، كالزنى بالسهم ، وتصريف الحمام ، والعلاج بالسلاح ، لأن تعاطي ذلك لمعرفة الحرب والتقوى على العدو ، وتعرف أحوال البلاد بالحمام حسن لا يجوز إنكاره ، وإن قصد بالاجتماع على ذلك الاجتماع على السخف واللهو ومعاشرة ذوى الرِّيب والمعاصي فهو قبيح يجب إنكاره .

ومنه ما يقبح من مكلف ويحسن من آخر على بعض الوجوه ، كشرب النبيذ ، والتشاغل بالشطرنج ، فأما من يرى حظرهما ، أو يختار تقليد من يفتي بحظرهما فحرام عليه تعاطيهما على كل حال ، ومتى فعلهما حسن الإنكار عليه ، وأما من يرى إباحتهما أو من يختار تقليد من يفتي بإباحتهما ، فإنه يجوز له تعاطيهما على وجه دون وجه ؛ وذلك أنه يحسن شرب النبيذ من غير سُكر ولا معاقرة والاشتغال بالشطرنج للفرجة وتخريج الرأي والعقل ، ويقبح ذلك إذا قصد به السخف ، وقصد بالشرب المعاقرة والسُّكر ، فالثاني يحسن إنكاره ويجب ، والأول لا يحسن إنكاره لأنه حسن من فاعله .

ومنها أن يعلم المنكر أن ما ينكره قبيح ، لأنه إذا جوز حسنه كان بإنكاره له وتحريمه إتياء محرما لما لا يأم أن يكون حسنا ، فلا يأم أن يكون ما فعله من النهي

نَهْيًا عَنْ حَسَنٍ ، وَكُلُّ فَعْلٍ لَا يَأْمَنُ فَاعِلُهُ أَنْ يَكُونَ مَخْتَصًا بِوَجْهِ قَبِيحٍ فَهُوَ قَبِيحٌ ، أَلَا تَرَى
أَنَّهُ يَقْبَحُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُخْبِرَ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنْ زِيدَ فِي الدَّارِ إِذَا لَمْ يَأْمَنِ أَلَّا يَكُونَ فِيهَا ؛
لَأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُهُ كَذِبًا !

وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَاقِعًا ، لِأَنَّ غَيْرَ الْوَاقِعِ لَا يَحْسَنُ النَّهْيُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا
يَحْسَنُ الذَّمُّ عَلَيْهِ ، وَالنَّهْيُ عَنْ أَمثَالِهِ .

وَمِنْهَا أَلَّا يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّ الْمُنْكَرِ أَنَّهُ إِنْ أَنْكَرَ الْمُنْكَرَ ، فَعَلَهُ الْمُنْكَرُ عَلَيْهِ ، وَضَمَّ
إِلَيْهِ مُنْكَرًا آخَرَ ، وَلَوْ لَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهِ لَمْ يَفْعَلِ الْمُنْكَرُ الْآخَرَ ، فَتَقَى غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ ذَلِكَ قَبِيحٌ
إِنْكَارُهُ ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَقْسُودًا ، نَحْوُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّنَا أَنَّا إِنْ أَنْكَرْنَا عَلَى شَارِبِ الْخَمْرِ
شُرْبَهَا شَرِبَهَا وَقَرْنَ إِلَى شَرِبَهَا الْقَتْلَ ، وَإِنْ لَمْ نَنْكَرْ عَلَيْهِ شَرِبَهَا لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا .

وَمِنْهَا أَلَّا يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّ النَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنَّ نَهْيَهُ لَا يُوَثِّرُ ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ
ذَلِكَ قَبِيحٌ نَهْيُهُ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِنَّ التَّكْلِيفَ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنْهُ أَنَّهُ يَكْفُرُ لَا يَحْسَنُ ،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ لُطْفٌ لَغَيْرِ ذَلِكَ الْمَكْلُفِ . وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِنَّ التَّكْلِيفَ
مِنَ الْمَعْلُومِ مِنْهُ أَنَّهُ يَكْفُرُ حَسَنٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لُطْفٌ لَغَيْرِ الْمَكْلُفِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصَحُّ مِنْهُ
الْقَوْلُ بِقَبِيحِ هَذَا الْإِنْكَارِ .

فَأَمَّا شُرَائِطُ وَجوبِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَأُمُورٌ :

مِنْهَا أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ وَقُوعُ اللَّفْصَةِ نَحْوُ أَنْ يَضِيقَ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَيَرَى الْإِنْسَانَ
لَا يَتَهَيَّأُ لِلصَّلَاةِ ، أَوْ يَرَاهُ تَهَيَّأً لَشَرْبِ الْخَمْرِ بِإِعْدَادِ آلَتِهِ ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ حَسَنٌ
مَنْ أَنْ نَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْنَا دَعَاؤُهُ .

وَمِنْهَا أَلَّا يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّ النَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنَّهُ إِنْ أَنْكَرَ الْمُنْكَرَ لِحَقَّتْهُ فِي نَفْسِهِ
وَأَعْضَائِهِ مَضَرَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فَإِنْ غَلَبَ ذَلِكَ عَلَى ظَنِّهِ وَأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ يَنْكَرُ عَلَيْهِ مِنْ فَعْلٍ

ما يُنكره عليه أيضا ، فإنه لا يجب عليه الإنكار ، بل ولا يحسن منه لأنه مفسدة ، وإن غلب على ظنه أنه لا يفعل ما أنكره عليه ولكنه يضربه ؛ نظر فإن كان إضراره به أعظم قبحا مما يتركه إذا أنكر عليه ، فإنه لا يحسن الإنكار عليه ، لأن الإنكار عليه قد صار والحالة هذه مفسدة ؛ نحو أن يُنكر الإنسان على غيره شرب الخمر ، فيترك شرهها ويقتله . وإن كان ما يتركه إذا أنكر عليه أعظم قبحا مما ينزل به من المضرة ، نحو أن يَهْمَ بالكفر ، فإذا أنكر عليه تركه وجرح المنكر عليه أو قتله فإنه لا يجب عليه الإنكار ، ويحسن منه الإنكار ؛ أما قولنا : لا يجب عليه الإنكار ؛ فلأن الله تعالى قد أباحنا التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه ، فيأن يبيحنا ترك غيرنا أن يتلفظ بذلك عند الخوف على النفس أولى ؛ وأما قولنا : إنه يحسن الإنكار ، فلأن في الإنكار مع الظن لما ينزل بالنفس من المضرة إعزازا للدين ، كما أن في الامتناع من إظهار كلمة الكفر مع الصبر على قتل النفس إعزازا للدين ، لا فضل بينهما .

فأما كيفية إنكار المنكر فهو أن يتدبى بالسهل ، فإن نفع والآ ترقى إلى الصعب ؛ لأن الغرض ألا يقع المنكر ، فإذا أمكن ألا يقع بالسهل فلا معنى لتكلف الصعب ، ولأنه تعالى أمر بالإصلاح قبل القتال في قوله : ﴿ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَجَانَبُوهَا ﴾ (١) .

فأما الناهى عن المنكر مَنْ هو؟ فهو كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه ، لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٢) ، ولإجماع المسلمين على أن كل مَنْ شاهد غيره تاركا للصلاة غير محافظ عايبها فله أن يأمره بها ، بل يجب عليه ، إلا أن الإمام وخلفاءه أولى بالإنكار بالقتال ، لأنه أعرف بسياسة الحرب وأشد استعدادا لآلاتها .

فَأَمَّا النَّهْيُ مَنْ هُوَ؟ فَهُوَ كُلُّ مَكْلُفٍ اخْتَصَّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الشَّرُوطِ، وَغَيْرِ الْمَكْلُفِ إِذَا هُمْ بِالْإِضْرَارِ لغيره يَمْنَعُ مِنْهُ، وَيَمْنَعُ الصَّبِيَّانِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ شُرْبِ الخمر حَتَّى لَا يَتَعَوَّدُوهُ، كَمَا يَتَوَخَّضُونَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى يَمْرُتُوا عَلَيْهَا، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُنَا .

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِأَسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مَتَمَسِّكٌ بِخَصَّائِينَ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ ، وَمَضِيعُ خَصْلَةٍ » ، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ الْمَانِعِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُخْرِجْ هَذَا الْكَلَامَ مَخْرَجَ الدَّمِّ ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَعْنِ الْعَاجِزَ لَوَجِبَ أَنْ يُخْرِجَ الْكَلَامَ مَخْرَجَ الدَّمِّ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ فِي أَنْ يُنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ إِذَا أُخْلِيَ بِالْإِنْكَارِ بِالْيَدِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ ، وَارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « ضَمِيعُ أَشْرَفِ الْخَصْلَتَيْنِ » فَالْأَمُّ زَائِدَةٌ ، وَأَصْلُهُ « ضَمِيعُ أَشْرَفِ خَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ » ، لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِتَعْرِيفِ الْمُعْتَوَّدِ هَاهُنَا فِي الْخَصْلَتَيْنِ ، بَلِ تَعْرِيفِ الثَّلَاثِ بِالْأَمِّ أَوَّلَى ؛ وَبِحُجُوزِ حَذْفِهَا مِنَ الثَّلَاثِ ، وَلَكِنْ إِبْتِغَاءُ أَحْسَنَ ، كَمَا تَقُولُ : قَتَلْتُ أَشْرَفَ رَجُلَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ » ، فَهُوَ نِهَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ الدَّمِّ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ ، وَإِلَيْهِ تَذَهَّبُ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى السَّلْطَانِ ، مَتَمَسِّكِينَ بِالْأَدِينِ وَشِعَارِ الْإِسْلَامِ ، مُحْتَمِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا خَرَجُوا لِمَا غَلَبَ عَلَى ظَنُونِهِمْ ، أَوْ عَلِمُوا جَوْرَ الْوَلَاةِ وَظَلَمَهُمْ ، وَأَنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ قَدْ غَيَّرَتْ ، وَحُكْمٌ بِمَا لَمْ يَحْكُمُ بِهِ اللَّهُ ، وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ تَبَنَّى الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ قَتْلَ وَلَاةِ الْجَوْرِ غِيْلَةً ، وَعَلَيْهِ بَنَاءُ أَصْحَابِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الْإِنْكَارَ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْخُلَفَاءِ ، وَمَوَاجَهَتَهُمْ بِالْكَلَامِ الْغَلِيظِ لَمَّا عَجَزُوا عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ ؛ وَبِالْجَلَّةِ فَهُوَ أَصْلٌ شَرِيفٌ أَشْرَفُ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْعِبَادَةِ ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الأفضل

وروى أبو جحيفة قال : سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :

إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ بِالسِّنَتِكُمْ ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا ، قَلْبَ فَجَعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ .



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

الشرح :

إنما قال ذلك لأنَّ الإنكار بالقلب آخرُ المراتب ؛ وهو الذي لا بدَّ منه على كلِّ حال ، فأما الإنكار باللسان وباليَد فقد يكون منهما بدٌّ ، وعنهما عُذر ، فمن تركَّ النهيَ عن المنكر بقلبه ، والأمرَ بالمعروف بقلبه ، فقد سَخِطَ اللهُ عليه لعصيانه ، فصار كالْمَسْخُوحِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ تَشْوِيهَا لِحَاقَتُهُ ، وَمَنْ يَقُولُ بِالنَّفْسِ الْجَسَمَانِيَّةِ ، وَإِنِّهَا بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ يَصْعَدُ بَعْضُهَا إِلَى الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ ، وَهِيَ نَفُوسُ الْأَبْرَارِ ، وَبَعْضُهَا يَنْزِلُ إِلَى الْمَرْكُزِ ، وَهِيَ نَفُوسُ الْأَشْرَارِ ، يَتَأَوَّلُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، فَيَقُولُ : إِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ بَقَلْبِهِ مَعْرُوفًا ، أَيْ لَا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ بَاعِثًا عَلَيْهِ وَلَا مُتَقَاضِيًا بِفِعْلِهِ ، وَلَا يُنْكِرُ بَقَلْبِهِ مُنْكَرًا ، أَيْ لَا يَأْنِفُ مِنْهُ وَلَا يَسْتَقْبِعُهُ ، وَيَمْتَعِضُ مِنْ فِعْلِهِ بِقَلْبِ نَفْسِهِ الَّتِي قَدْ كَانَ سَبِيلُهَا أَنْ تَصْعَدَ إِلَى عَالَمِهَا فَتُجْعَلَ هَاوِيَّةً فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ ، وَذَلِكَ عِندَهُمْ هُوَ الْعَذَابُ وَالْعِقَابُ .

الأصل :

إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ .

الشرح :

تقول : مرؤ الطعام بالضم ، يمرؤ مرأة فهو مَرِيٌّ على « فَعِيل » مثل خفيف وثقيل ، وقد جاء مَرِيٌّ الطعام بالكسر ، كما قالوا فقه الرجل وفقهه . وَبِئْسَ البلد بالكسر بِؤْسًا وبَاءة فهو وَبِئْسَ على « فَعِيل » أيضا ، ويجوز فهو وَبِئْسَ على « فَعِيل » مثل حَذِرَ وأَشِرَ .

يقول عليه السلام : الحق وإن كان ثقيلًا إلا أن عاقبته محدودة ، ومغيبته صالحة ، والباطل وإن كان خفيفًا إلا أن عاقبته مدمومة ، ومغيبته غير صالحة ، فلا يحسان أحدكم حلاوة عاجل الباطل على فعله ، فلا خير في لذة قليلة عاجلة ، يتعقبها مضارٌ عظيمةٌ آجلة ، ولا يصرفن أحدكم عن الحق ثقله فإنه سيحمد عقي ذلك ، كما يحمد شارب الدواء المر شربه فيما بعد إذا وجد لذة العافية .

الأصل :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَالِسُونَ ﴾ ^(١) وَلَا تَيَاسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .



الشرح :

هذا كلامٌ ينبئ أن يُحتمل على أنه أراد عليه السلام النهي عن القطع على مغيب أحدٍ من الناس ، وأنه لا يجوز لأحد أن يقول : فلان قد نجا ، ووجبت له الجنة ، ولا فلان قد هلك ووجبت له النار ، وهذا القول حق ، لأن الأعمال الصالحة لا يُحكم لصاحبها بالجنة إلا بسلامة العاقبة ، وكذلك الأعمال السيئة لا يُحكم لصاحبها بالنار إلا إن مات عليها ؛ فاما الاحتجاج بالآية الأولى فلقاتل أن يقول : إنها لا تدل على ما أفقئ عليه السلام به ، وذلك لأن معناها أنه لا يجوز للعاصي أن يأمن مكر الله على نفسه ، وهو مقيم على عصيانه ، ألا ترى أن أولها : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * وَأَوَّامِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَتَّبِمُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَالِسُونَ ﴾ ^(٣) ، وليست دالة على ما نحن

فيه ، لأن الذي نحن فيه : هل يجوز لأحد أن يأمن على الصالحين من هذه الأمة عذاب الله .

فأما الآية الثانية فالاحتجاج بها جيد لا شبهة فيه ، لأنه يجوز أن يتوب العاصي والتوبة من رَوْح الله .

فإن قلت : وكذاك يجوز أن يسكفر المسلم الطيع .

قلت : صدقت ، ولكن كفره ليس من مكر الله ، فدلّ على أن المراد بالآية أنه لا ينبغي للعاصي أن يأمن من عقوبة الله مادام عاصياً ، وهذا غير مسألتنا .



مركز تحقیقات کتب پوز علم اسلامی

الأصل :

البُخلُ جَائِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ .

الشرح :

قد تقدم القول في البخل والشح . ونحن نذكر هاهنا زيادات أخرى .

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

[أقوال مأثورة في الجود والبخل]

قال بعض الحكماء : السخاء هيئة للإنسان ، داعية إلى بذل المقتنيات ، حصل معه البذل لها أو لم يحصل ، وذلك خلق ، ويقابله الشح ؛ وأما الجود ، فهو بذل المقتنى ؛ ويقابله البخل ؛ هذا هو الأصل ، وإن كان كل واحد منهما قد يستعمل في موضع الآخر ، والذي يدل على صحة هذا الفرق أنهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء والشح على بناء الأفعال الغريزية ، فقالوا : شحيح وسخي ، فبنوه على « فَعِيل » كما قالوا : حليم وسعيه وعفيف ، وقالوا : جائد وباخل ، فبنوهما على « فاعل » كضارب وقاتل ؛ فأما قولهم : بخيل ، فمصرف عن لفظ « فاعل » للمبالغة ، كقولهم في راحم رحيم ، ويدل أيضا على أن السخاء غريزة وخلق أنهم لم يصفوا البارئ سبحانه ، به فيقولوا سخي ، فأما الشح فقد عظم أمره وخوف منه ، ولهذا قال عليه السلام : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » ، نفخ المطاع تنبيها على أن وجود الشح

فَأَمَّا الْجُودُ فَإِنَّهُ مَحْمُودٌ عَلَى جَمِيعِ أَلْسِنَةِ الْعَالَمِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : كُنْ بِالْجُودِ مَدْحًا أَنْ
اسْمُهُ مَطْلَقًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي حَمْدٍ ، وَكَفَى بِالْبُخْلِ ذِمًّا أَنْ اسْمُهُ مَطْلَقًا لَا يَقَعُ فِي ذَمٍّ .
وَقِيلَ الْحَكِيمُ : أَيُّ أَعْمَالِ الْبَشَرِ أَشْبَهَ بِأَعْمَالِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ ؟ فَقَالَ : الْجُودُ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « أَلْجُودُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ ، مَنْ أَخَذَ بِفُصٍّ مِنْ
أَغْصَانِهَا أَدَاهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْبَيْخُلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّارِ مَنْ أَخَذَ بِفُصٍّ مِنْ أَغْصَانِهَا
أَدَاهُ إِلَى النَّارِ » .

ومن شَرَّفَ الجود أن الله سبحانه قَرَنَ ذكره بالإيمان ، وَوَصَفَ أهله بالفلاح ،
والفلاح اسمٌ جامعٌ لسعادة الدارين ؛ قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) . وقال : ﴿ وَمَنْ
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٤) .

وَحَقُّ الْجُودِ أَنْ يُقَرَّنَ بِالْإِيمَانِ ، فَلَا شَيْءَ أَخْصَّ بِهِ وَأَشَدَّ مَجَانَّةً لَهُ مِنْهُ ، فَإِنْ مِنْ صِفَةِ الْمُؤْمِنِ الْإِسْرَاحُ الصَّدْرُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُمْسِكْهُ ﴾ (٥) ، وَهَذَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) (٥) ، وَهَذَا مِنْ صِفَاتِ الْجَوَادِ وَالْبُخِيلِ ، لِأَنَّ الْجَوَادَ وَاسِعُ الصَّدْرِ ، مُمْسِكٌ مُسْتَمْسِكٌ ، لِلْإِنْفَاقِ وَالْبَذْلِ ، وَالْبُخِيلُ قَنُوطُ ضَيْقِ الصَّدْرِ ، حَرَجُ الْقَلْبِ تَحْمِيكٌ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ » .

وَالْبُخْلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ : بِخُلِّ الْإِنْسَانِ بِمَالِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَبِخْلُهُ بِمَالِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَبِخْلُهُ

(٢) سورة النباء ١٢

(t) سورة الحشر

بِمَالٍ جِيرَهُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى غَيْرِهِ وَأَخْشَاهَا بِخُلَّةٍ بِمَالٍ غَيْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَهْوَاهَا وَإِنْ كَانَ لَا هَيْئَ فِيهَا ، بِخُلَّةٍ بِمَالِهِ عَلَى غَيْرِهِ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِمَنْفَقٍ خَافًا ؛ وَلِمَسِكَ تَلْفًا » .

وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ » .

وَقَالَ أَيْضًا : « مَنْ وَسَّعَ وَسَّعَ عَلَيْهِ » .

وَقَالَتِ الْفَلَسَفَةُ : الْجُودُ عَلَى أَقْسَامٍ : فَمِنْهَا الْجُودُ الْأَعْظَمُ ، وَهُوَ الْجُودُ الْإِلَهِيُّ ، وَهُوَ الْقَيْضُ الْعَامُّ الْمَطْلُوقُ ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ لِاخْتِلَافِ الْمَوَادِّ وَاسْتِعْدَادَاتِهَا ، وَإِلَّا فَالْقَيْضُ فِي نَفْسِهِ عَامٌّ غَيْرُ خَاصٍّ ، وَبَعْدَهُ جُودُ الْمُلُوكِ ، وَهُوَ الْجُودُ بِحُزْمٍ مِنَ الْمَالِ عَلَى مَنْ تَدْعُوهُمْ الدَّوَاعِي وَالْأَغْرَاضُ إِلَى الْجُودِ عَلَيْهِ ، وَيَتْلُوهُ جُودُ السُّوقَةِ ، وَهُوَ بِذَلِّ الْمَالِ لِلْمُعَاةَةِ أَوْ التَّدَامِي وَالشَّرْبِ وَالْمَعَاشَرَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ .

قَالُوا : وَاسْمُ الْجُودِ بِحَازِلٍ إِلَّا الْجُودُ ^(١) الْإِلَهِيُّ الْعَامُّ ؛ فَإِنَّهُ عَارٍ عَنِ الْغَرَضِ وَالِدَّاعِي . وَأَمَّا مَنْ يُعْطَى لِفَرْضٍ وَدَاعٍ نَحْوِ أَنْ يَحِبَّ الثَّنَاءَ وَالْحَمْدَةَ ، فَإِنَّهُ مُسْتَعِيزٌ وَتَاجِرٌ يُعْطَى شَيْئًا لِيَأْخُذَ شَيْئًا ، قَالُوا قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ .

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
لَيْسَ بِنَايَةِ فِي الْوَصْفِ بِالْجُودِ التَّامِّ ، بَلْ هُوَ وَصْفٌ بِتِجَارَةٍ مَحْمُودَةٍ ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ

ابْنِ الرَّومِيِّ :

وَتَاجِرُ السُّبْرِ لَا يَزَالُ لَهُ رِبْحَانٌ فِي كُلِّ مَشْجَرٍ تَجْرَهُ

أَجْرٌ وَحْدَهُ وَإِنَّمَا طَلَبُ الْأَجْرِ وَلَكِنْ كَلَاهُمَا اعْتَوَرَهُ

وَأَحْسَنُ مِنْهُمَا قَوْلُ بَشَّارٍ :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ وَلَكِنْ يَلِدُ طَائِمَ الْعَطَاءِ ^(٢)

وَنَحْنُ قَدْ ذَكَرْنَا مَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْبَحْثِ الْعَقْلِيِّ فِي كُتُبِنَا الْعَقْلِيَّةِ .

(١) ب : « عَلَى الْجُودِ » .

الأصل :

يَا بَنَ آدَمَ ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ،
فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَدِّكَ عَلَى هَمِّ بَوْمِكَ ؛ كَقَالِكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ
عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسِمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ
مِنْ عُمْرِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ بِهِمْ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَمْ يَسْبِقْكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ
عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ .

قَالَ : وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، إِلَّا أَنَّهُ هَا هُنَا
أَوْضَحُ وَأَبْشَرُ ، فَذَلِكَ كَرَّرْنَاهُ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَقْرُرَةِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ .

الشيخ :

قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَعْنَى هَذَا الْفَصْلِ ؛ وَرُوي أَنَّ جَمَاعَةً دَخَلُوا عَلَى الْجَنِيدِ ،
فَاسْتَأْذَنُوهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، فَقَالَ : إِنْ عَلِمْتُمْ أَيَّ مَوْضِعٍ هُوَ فَاطْلُبُوهُ ، ثَانُوا : فَنَسَأَلُ
اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ ؛ قَالَ : إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ يَنْسَأُكُمْ فَذَكِّرُوهُ ، قَالُوا : فَندْخُلُ الْبَيْتَ وَنَتَوَكَّلُ
وَنَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ ؛ فَقَالَ : التَّوَكَّلْ عَلَى التَّجَرِبَةِ شَكَّ ، قَالُوا : فَمَا الْحِيلَةُ ؟ قَالَ :
تَرْكُ الْحِيلَةِ .

وَرُوي أَنَّ رَجُلًا لَازِمَ بَابِ عَمْرِ فَضَجَّرَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، هَاجَرْتَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى أَمْ إِلَى بَابِ عَمْرِ ! اذْهَبْ فَتَعَلِّمِ الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ سَيَغْنِيكَ عَنْ بَابِ عَمْرِ ، فَذْهَبَ الرَّجُلُ

وغاب مدة حتى افتقده عمرٌ ، فإذا هو معتزل مشغول بالعبادة ، فاتاه عمرٌ فقال له : إني اشتقت إليك ، فما الذي شغلك عنا ! قال : إني قرأت القرآن فأغنانى عن عمر وآل عمر ، فقال : رحمك الله ! فما وجدت فيه ؟ قال : وجدتُ فيه : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ^(۱) ﴾ ؛ فقلت : رِزْقُ في السماء ، وأنا أطلبه في الأرض ، إني لبئس الرجل ، فبكى عمرٌ وقال : صدقت ، وكان بعد ذلك ينتابه ويجلسُ إليه .



مرکز تحقیقات کتاب و نشر علوم اسلامی

الأصل :

رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدِيرٍ ، وَمَضْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ قَامَتْ بِوَإِكِهِ
فِي آخِرِهِ ^(١) .

الشُّرْح :

مثلُ هذا قولُ الشاعر :

يَارَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقُنَ أَسْحَارًا

ومثله :

لا يَفْرُتُكَ عِشَاءً سَاكِنٌ قَدْ يُوَفِّي بِالْمَنِيَّاتِ السَّحَرُ

مركز تحقيق مكتبة نور علوم اسلامی

(١) في د « ومضبوط في أول ليل قامت بواكيه في آخره » .

الأصل :

الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به ، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه ؛
فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ؛ فرب كلمة سلبت نعمة .

الشرح :

قد تقدم القول في مدح الصمت واذم الكلام الكثير .

وكان يقال : لا خير في الحياة إلا لصمت وابع ، أو ناطق بحسن .

وقيل للحذيفة : قد أطلت سجن لسانك ! فقال : لأنه غير مأمون [إذا أطلق]^(١) .

ومن أمثال العرب : رب كلمة تقول : دعنى .

وقالوا : أصلها أن بعض ملوك الحيرة كان قد استراب ببعض سخوله ، فنزل يوما وهو

يتصيد على تلة ، ونزل أصحابه حوله فأفاضوا في حديث كثير ، فقال ذلك الإنسان :

أترى لو أن رجلا ذبح على رأس هذه التلة هل كان يسيل دمه إلى أول العائط ؟ فقال

الملك : هلموا فاذبحوه لننظر ، فذبحوه ، فقال الملك : رب كلمة تقول : دعنى .

وقال أكرم بن صفي : من إكرام الرجل نفسه ألا يتكلم بكل ما يعلم .

وتذاكر قوم من العرب وفيهم رجل باهلي ساكت ، فقيل له : بحق ما سميت

خرنس العرب^(٢) ، فقال : أما علمتم أن لسان المرء لغيره ، ومعه لنفسه !

(١) من أ ، د .

(٢) كذا في أ ، وبمدها في ب : فقالوا له : لم لا تتكلم ؟ فقال : أما علمتم

الأصل :

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ ؛ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُبْجَحَانُهُ قَدْ فَرَضَ
عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَاجُ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

الشرح :

هَذَا نَهَى عَنِ الْكَذْبِ ، وَأَنْ تَقُولَ مَا لَا تَأْمَنُ مِنْ كَوْنِهِ كَذِبًا ، فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ
كَلِمَةً مَا قَبِيحَانِ عَقْلًا عِنْدَ أَصْحَابِنَا .
فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ : إِنَّ الْخَبَرَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ كَوْنُهُ كَذِبًا قَبِيحٌ ، وَالنَّاسُ
يَسْتَحْسِنُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الْمَظْنُونِ^(١) .

قُلْتُ : إِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ : زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَهُوَ يَفْتَنُهُ فِي الدَّارِ وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْحَسَنَ
مِنْهُ أَنْ يُخْبَرَ عَنْ ظَنِّهِ كَانَ يَقُولُ : أَخْبِرْ عَنْ أَتَى أَظُنُّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ ، وَإِذَا كَانَ
هَذَا هُوَ تَقْدِيرُهُ فَالْخَبَرُ إِذَنْ خَيْرٌ عَنْ مَعْلُومٍ لَا عَنْ مَظْنُونٍ ، لِأَنَّهُ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ ظَانٌّ أَنَّ
زَيْدًا فِي الدَّارِ .

فَأَمَّا إِذَا فَرَضَ الْخَبَرَ لَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَلْ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنْ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَهُوَ لَا يَقْطَعُ
عَلَى أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ ، فَقَدْ أَخْبَرَ بِخَبَرٍ لَيْسَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَّهُ
قَاطِعٌ ، وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ ، فَكَانَ قَبِيحًا .

(١) كَذَا فِي أ ، ب وَفِي د : « الْمَظْنُونَاتِ » .

الأصل :

احْذَرُ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ؛ وَبَقْدِكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ ، فَتَكُونَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ؛ وَإِذَا قَوَّيْتَ فَأَقْوَى عَلَى سَاعَةِ اللَّهِ ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنِ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ .



الشرح :

مَنْ عِلْمٌ يَحِينَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ، كَانَ أَجْدَرَ النَّاسِ أَنْ يَحْتَنِبَهَا ؛ كَمَا إِذَا عَلِمْنَا
يَحِينَا أَنَّ الْمَلَكَ يَرَى الْوَاحِدَ مَنًا وَهُوَ يَرَاوِدُ جَارِيَتَهُ عَنْ نَفْسِهَا ، أَوْ يَحَادِثُ وَلَدَهُ لِيَفْجُرَ بِهِ ،
وَلَكِنْ الْيَقِينُ فِي الْبَشَرِ ضَعِيفٌ جَدًّا ، أَوْ أَنْتَهُمْ أَحَقُّ الْحَيَوَانَ وَأَجْمَلُهُ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : إِنَّهُمْ
إِنْ اعْتَقَدُوا ذَلِكَ اعْتِقَادًا لَا يَخَالِطُهُ الشَّكُّ ، ثُمَّ وَاقَعُوا الْمَعْصِيَةَ ، وَعِنْدَهُمْ عَقِيدَةٌ أُخْرَى
نَاجِيَةٌ أَنَّ الْعِقَابَ لِأَحَقِّ مِنْ عَصَى ، فَإِنَّ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّشَادِ مِنْهُمْ .
وَأَقُولُ : إِنَّ الَّذِي جَرَأَ النَّاسَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الطَّمَعُ فِي الْمَغْفَرَةِ ، وَالْعَفْوُ الْعَامُّ . وَقَوْلُهُمْ :
الْحِلْمُ وَالْكَرَمُ وَالصَّفْحُ مِنْ أَخْلَاقِ ذَوِي النَّبَاهَةِ وَالْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ
مِنَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ عَفْوٌ عَنِ الذَّنُوبِ !

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ شَيْخِنَا أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَوْلَا الْقَوْلُ بِالْإِجْبَاءِ ، لَمَا عَصَى اللَّهُ
فِي الْأَرْضِ .

الأفضل

الرَّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تَعَايُنُ مِنْهَا جَهْلٌ ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ
إِذَا وَرَقَتْ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ
لَهُ عَجْزٌ .



الْبَرْخُ :

قد تقدم الكلام في الدنيا وحق من يَرَكُنُ إليها مع معاينة غدرها ، وقلة وفائها
وتقصيها عهداتها ، وقسوتها عشاقها .

ولا ريبَ أن الغبنَ وأعظمُ الغبنِ هو التقصير في الطاعة مع يقين الثواب عليها ،
وأما الطمأنينة إلى مَنْ لم يعرف ولم يختبر فإنها عجز - كما قال عليه السلام - بمعنى عجزاً
في العقل والرأى ، فإن الوثوق مع التجربة فيه مافيه ، فكيف قبل التجربة !

وقال الشاعر :

وكنْتُ أرى أَنَّ التجاربَ عُدَّةٌ فضات ثقاتُ الناسِ حينَ التجاربِ

الأصل :

مِنْ هَوَايَ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَزَكِّيٍّ .

الشرح :

هذا الكلام نسبته القزالي في كتاب " إحياء علوم الدين " إلى أبي الدرداء ، والصحيح أنه من كلام علي عليه السلام ، ذكره شيخنا أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه ، وهو أعرف بكلام الرجال .

[نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها]

وقد تقدم من كلامنا في حال الدنيا وهوانها على الله واغترار الناس بها وغدرها بهم^(١) ، وذم العقلاء لها ، وتحذيرهم منها ما فيه كفاية .

ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك .

يقال : إن في بعض كتب الله القديمة : الدنيا غنيمة الأكياس ، وغفلة الجهال ، لم يعرفوها حق خرجوا منها ، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا .

وقال بعض العارفين : من سأل الله [تعالى]^(٢) الدنيا فإني سأله طول الوقوف بين يديه .

وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : أنه لم يشبع مما جمّع ، ولم يدرك ما أتمّل ، ولم يحسن الزاد لما يُقدّم ^(١) عليه .

ومن كلامه : أهينوا الدنيا ، فوالله ما هي لأحدٍ بأهنا منها لمن أهانها .

وقال محمد بن المنكدر ^(٢) : أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا يفتر ، وتصدق بماله ، وجاهد في سبيل الله ، واجتنب محارم الله تعالى ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال : إن هذا مع ما قد عمل كان يعظم في عينه ماصغر الله ، ويصغر في عينه ما عظم الله ، كيف ترى بكون حاله ! فمن منا ليس هكذا ؛ الدنيا عظيمة عنسده مع ما أقرّفتنا من الذنوب والخطايا .

وقد ضربت الحكماء مثلا للدنيا نحن نذكره هاهنا ، قالوا : مثل الدنيا وأهلها كقوم ركبوا سفينة فأنهت بهم إلى جزيرة ، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام ، وخوفهم مرور السفينة ؛ واستعجلوها ، ففترقوا في نواحي الجزيرة ، فقصى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة ؛ فصادف المكان خاليا ، فأخذ أوسع المواضع وأليّنها وأوقفها لمراذه . وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ، وغياضها الملتفة ، ونفحات طيورها الطيبة ، وألحانها الموزونة الغريبة ، ولحظ في تزيينها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان ذوات الأشكال الحسنة المنظر ، العجيبة النقش ، السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجها ، وعجائب صورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا ، فاستقر فيه . وبعضهم أكب فيها على تلك الأصداف والأحجار ، وقد أعجبه حسنُها ، ولم تسمع نفسه بإهمالها وتركها ، فاستصحب منها جملة ، فجا إلى السفينة فلم يجد إلا مكانا ضيقا ، وزاده ما حمله ضيقا ، وصار ثقالا عليه ووبالا ، فندم على أخذه ، ولم تطعه نفسه على رميه ، ولم يجد موضعا له ، فحمله على عنقه

(٢) كذا في ١ ، وهو الصواب ، وفي ب ، د : « الذنر » .

(١) ١ : « قدم عليه » .

ورأسه ، وجلس في المكان الضيق في السفينة ؛ وهو متأسف على أخذه ونادى ، وليس
ينفعه ذلك . وبعضهم تولى بتلك الأنوار والغياض ، ونسى السفينة وأبعد في متفرجه
ومتنزهه ، حتى إن نداء الملاح لم يبلغه لأشتغاله بأكل تلك الثمار ، واشتغاله تلك
الأنوار ، والتفرج بين تلك الأشجار ، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع ،
والسقطات والنكبات ، ونهش الحيات ، وليس ينفك عن شوك يشبث بثيابه ، وغصن
يخرج جسمه ، ومروءة تدمي رجله ، وصوت هائل يفزع منه ، وعوسج يملأ طريقه ،
ويمنعه عن الانصراف لو أراد ، وكان في جماعة ممن كان معه في السفينة نالهم حاله ، فلما
بلغهم نداء السفينة راح بعضهم متقلبا بما معه فلم يجد في السفينة موطئا واسعا ولا ضيقا ،
فبقى على الشط حتى مات جوعا . وبعضهم بلغه النداء فلم يرج عليه ، واستغرقته اللذة ،
وسارت السفينة ؛ فمنهم من أفرسته السباع ، ومنهم من تاه وهام على وجهه حتى هلك ،
ومنهم من ارتطم في الأوحال ، ومنهم من نهشته الحيات ، ففترقوا هلكى كالجيف
المثينة . فأما من وصل إلى السفينة متقلبا بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة ،
والأحجار المعجبة ، فإنها استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من ذهابها عن جميع
أموره ؛ وضاق عليه بطريقها مكانه ، فلم تلبث أن ذبلت تلك الأزهار ، وفقدت تلك
الفاكهة النضة ، وكمدت ألوان الأحجار وحالت ، فظهر له تنن راحتها ، فصارت مع
كونها مضيق عليه مؤذية له بفتنها ووخشتها ، فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد
أثر في مزاجه ما أكله منها ، فلم ينته إلى بلده إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بما أكل
وما شرب من تلك الروائح ، فبلغ سقيا وقيدا مدبرا ، وأما من كان رجع عن قريب ومافاته
إلا سعة المحل ؛ فإنه تأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ،
وأما من رجع أولا فإنه وجد المكان الأوسع ، ووصل إلى الوطن سالما طيبا
القلب مسرورا .

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمخاويلهم العاجلة ، ونسيانهم مآلهم ومصيرهم ، وغفلتهم عن عاقبة أمرهم ، وما أقبح حال من يزعم أنه بصير عاقل وتفرغ حجارة الأرض ، وهي الذهب والفضة ، وهشيم النبت وهو زينة الدنيا ، وهو يعلم يقينا أن شيئا من ذلك لا يصحبه عند الموت ، بل يصير ككله وبألا عليه ، وهو في الحال الحاضرة شاغل له بالخوف عليه ، والحزن والهم لحفظه ، وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله .

وقد ضرب أيضا لها مثال آخر في عبور الإنسان عليها ؛ قالوا : الأحوال ثلاثة : حال لم يكن الإنسان فيها شيئا ، وهي ما قبل وجوده إلى الأزل ، وحال لا يكون فيها موجودا مُشاهداً للدنيا ، وهي بعد موته إلى الأبد ، وحالة متوسطة بين الأزل والأبد ، وهي أيام حياته في الدنيا ، فلينظر العاقل إلى الطرفين الطويلين ، ولينظر إلى الحالة المتوسطة ، هل يجد لها نسبة إليها ^(١) ، وإذا رأى العاقل الدنيا بهذه العين لم ير كن إليها ، ولم يُبال كيف تقصت أيامه فيها ؛ في ضَرٍّ وضيق ، أو في سعة ورفاهة ، بل لا ينبغي لينة على لينة ؛ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وما وضع لينة على لينة ، لا قصبة على قصبة . ورأى بعض الصحابة بنى بيتا من حصص فقال : أرى الأمر أعجل من هذا ، وأنكر ذلك ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله : مالى وللدنيا ؛ إنما مثلى ومثله كراكب سار في يوم صائف ، فرُفعت له شجرة فقام تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ؛ وإلى هذا أشار عيسى بن مريم حيث قال : الدنيا قنطرة ، فأعبروها ولا تَمَرُّوها ، وهو مثل صحيح ، فإن الحياة الدنيا قنطرة إلى الآخرة ، والمهد هو أحد جانبي القنطرة ، والآخر الجانب الآخر ، وبينهما مسافة محدودة ، فمن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها ؛ وكيفما كان فلا بد من العبور والانتها ، ولا ريب أن عمارة هذه القنطرة ، وتزيينها بأصناف الزينة لمن

(١) كذا في ١ ، وفي ب ، د : « إليها » .

هو محمول قسراً وقهراً على عبورها ، يسوقه سائقٌ عنيف ، غاية الجهل والخذلان .
وفي الحديث المرفوعُ : **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ مَرَّ عَلَى شَاةٍ مَيِّتَةٍ ، فَقَالَ :
أَتُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الشَّاةَ هَيَّئَتْ عَلَى أَهْلِهَا : قَالُوا : نَعَمْ ، وَمِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا ، فَقَالَ : وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ أَلَدُنِيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ عَلَى أَهْلِهَا ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُعْدَلُ عِنْدَ
اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً .**

وقال صلى الله عليه وآله : **« الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » .**

وقال أيضاً : **« الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ مِنْهَا » .**

وقال أيضاً : **« مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ ،
فَاتَرَوْا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » .**

وقال أيضاً : **« حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » :**

وروى زيدُ بْنُ أَرْقَمٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، فَدَعَا بِشَرَابٍ ، فَأَتَانِي بِمَاءٍ وَعَسَلٍ ،
فَلَمَّا أَدْنَاهُ مِنْ فَيْهِ بَكِي حَتَّى أَبْكِي أَصْحَابَهُ ، فَسَكَنُوا وَمَا سَكَّتْ ، ثُمَّ عَادَ لِيَشْرَبَ ، فَبَكِي
حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ ، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ،
مَا أَبْكَاكُ ؟ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَأَيْتُهُ يَدْفَعُ بِيَدِهِ عَنْ نَفْسِهِ
شَيْئًا ، وَلَمْ أَرْ مَعَهُ أَحَدًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الَّذِي تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ ؟ قَالَ : هَذِهِ
الدُّنْيَا مُمِلَّتْ لِي ، فَقُلْتُ لَهَا : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَرَجَعْتُ وَقَالَتْ : إِنَّكَ إِنْ أَفَلَتَ مِنِّي لَمْ يَفْلِتْ
مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ : **« يَا عَجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بَدَارُ الْخُلُودِ
وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ ! » .**

ومن الكلام المأثور عن عيسى عليه السلام : **لَا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا رِبًّا فَتَتَّخِذَ الدُّنْيَا
عَبِيدًا ؛ فَاكْنُزُوا كَنْزَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَضِيعُهُ ؛ فَإِنْ صَاحِبَ كَنْزِ الدُّنْيَا يَخَافُ عَلَيْهِ
الْآفَةُ ، وَصَاحِبُ كَنْزِ الْآخِرَةِ لَا يَخَافُ عَلَيْهِ .**

الأفضل :

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .
وفي رواية أخرى : مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ ، لَمْ يَنْفَعَهُ حَسَبُ آبَائِهِ .

الْبُزْجُ :

قد تقدم مثل هذا ، وقد ذكرنا ما عندنا فيه ، وقال الشاعر :

لئن غُفِرَ بِآبَاءِ ذَوِي حَسَبٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَلَسَ مَا وَلَدُوا

وكان يقال : أجهل الناس من افتخر بالعظام البالية ، وتبجح بالقرون الماضية ،
واتكل على الأيام الخالية .

وكان يقال : من طريف الأمور حتى يتكل على ميت . وكان يقال : ضعة الدني ،
في نفسه والرفيع في أصله ، أقبح من ضعة الوضع في نفسه وأصله ؛ لأن هذا تشبه
بآبائه وسأفه ، وذلك قصر عن أصله وسأفه ، فهو إلى اللامة أقرب ، وعن
العذر أبعد .

افتخر شريفٌ بأبيه ، فقال خصمه : لو وقفت ، لما ذكرت أباك ، لأنه حجةٌ عليك
تُنادى بنقصك ، وتقرّ بتخلُّقك .

كان جعفر بن يحيى يقول : ليس من الكرام من افتخر بالعظام .
وقال الفضل بن الربيع : كفى بالمرء عاراً أن يفتخر بغيره .

وقال الرشيد : من افتخر بآبائه فقد نادى على نفسه بالعجز ، وأقر على قهته بالدناءة .

وقال ابن الرومي :

وما الحسبُ الموروثُ لا درَّ درَّه
بمحتسب إلا بآخر مُكتسب
إذا العود لم يُثمر وإن كان شعبة
من الثمرات اعتده الناس في الخطب

وقال عبد الله بن جعفر :

لسنا وإن أحسابنا كُرمنا
تنبني كما كانت أوائلنا
يوما على الآباء تتكلم
تنبني ، ونفعل مثل ما فعلوا

وقال آخر :

وما نفخرى بمجدٍ قام غیری
إليه إذا رقدت الليل عنه
إلى حسب الفتي في نفسه أنظر
ولا تنظر هُديت إلى ابن من هو

وقال آخر :

إذا غرت بآبائي وأجدادي
قد حكمت على نفسي لأضادي
هل نافي إن سعى جدِّي لكرمة
ونمت عن أختها في جانب الوادي !

وقال آخر :

أهنيئني كوني بمن كوني ابنه
أبالي أن أرضى لفخرى بمجد
إذا المرء لم يحو العلاء بنفسه
فليس يحاو للملاء بمجد
وهل يقطع السيف الحسام بأصله
إذا هو لم يقطع بصارم حده !

وقيل لرجل يدل بشرف آبائه : لعمري لك أول ، ولكن ليس لأولك آخر .

ومثله ، أن شريفاً بآبائه فاخر شريفاً بنفسه ، فقال الشريف بنفسه : انتهى إليك شرف
أهلك ، ومتى ابتداء شرف أهلك ، وشتان بين الابتداء والانتهاء !
وقيل لشريف ناقص الأدب : إن شرفك بأبيك لغيرك ، وشرفك
بنفسك لك ، فافرق بين ما لك وما لغيرك ، ولا تفرح بشرف النسب ، فإنه
دون شرف الأدب .



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد ملی

(٣٩٣)

الأصل :

مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضُهُ .

الشرح :



هذا مثل قولهم : مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ .

وقال بعض الحكماء : ما لازم أحدُ باب الملكِ فاحتَمَلَ الذَّلَّ وكَظَمَ الغِيظَ ورَفَقَ

بالهَوَابِ وخَالَطَ الحَاشِيَةَ إلَّا رَصَلَ إلى حاجته من المَلَكِ .

الأصل :

ما خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ ، وما شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ ؛ وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مُحْتَقَرٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ .



الشرح :

موضع «بعده النار» رَفَعَ لِأَنَّهُ صِفَةُ «خير» الذي بعد «ما» ، وخير يرفع لأنه اسم ما ، وموضع الجار والمجرور نصب لأنه خبر ما ، والباء زائدة ، مثلها في قولك : ما أنت بزيد ، كما تراد في خبر ليس ، والتقدير ما خيرٌ تتبعه النار بخير ، كما تقول : ما لذة تتلوها نغصة بلّدة ، ولا ينقدح في ما : الوجهان اللذان ذكرهما أدبُ الصنّاعة النحوية في «لا» في قولهم : لا خير بخير بعده النار ، أحدهما ما ذكرناه في ما ، والآخر أن يكون موضع «بعده النار» جرّاً لأنه صفة خير المجرور ، ويكون معنى الباء معنى في كقولك : زيدٌ بالدار وفي الدار ، ويصير تقديرُ الكلام : لا خير في خيرٍ تعقبه النار ، وذلك أن ما تستدعي خبراً موجوداً في الكلام ، بخلاف لا ، فإن خبرها محذوف في مثل قولك : لا إله إلا الله ، ونحوه ، أي في الوجود أولنا أو ما أشبه ذلك ، وإذا جعلت بعده صفة خير المجرور لم يبق معك ما تجمعاه خبر ما :

وأيضاً فإن معنى الكلام يقصد في ما بخلاف لا ، لأن لا تنفي الجنس ، فكأنه

نَفَى جَنَسَ الْخَيْرِ عَنْ خَيْرٍ تَتَعَبَهُ النَّارُ ؛ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ ، وَكَلَامٌ مُنْتَظَمٌ ، وَمَا هَاهُنَا
إِنْ كَانَتْ نَافِيَةً أَحْتَاجَتْ إِلَى خَيْرٍ يَنْتَظِمُ بِهِ الْكَلَامُ ، وَإِنْ كَانَتْ اسْتِفْهَامًا فَسَدَ الْمَعْنَى ،
لِأَنَّ «مَا» لَفْظٌ يُطَلَّبُ بِهِ مَعْنَى الْأَسْمِ ، كَقَوْلِهِ : مَا الْعَنْقَاءُ ؛ أَوْ يُطَلَّبُ بِهِ حَقِيقَةُ الذِّاتِ ،
كَقَوْلِكَ : مَا الْمَلِكُ ؟ وَلَسْتَ تَطِيقُ أَنْ تَدَّعِيَ أَنَّ مَا لِلِاسْتِفْهَامِ هَاهُنَا عَنْ أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ
مَدْخُلًا لِأَنَّكَ تَكُونُ كَأَنَّكَ قَدْ قُلْتَ : أَيْ شَيْءٌ هُوَ خَيْرٌ فِي خَيْرٍ تَتَعَبَهُ النَّارُ ؟ وَهَذَا
كَلَامٌ لَا مَعْنَى لَهُ .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأفضل :

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ ، وَأَشَدُّ مِنْ
مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ ؛ أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ
لِلْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ .



السنخ :

قد تقدم الكلام في الفاقة والغنى ، فأما المرض والعافية ففي الحديث المرفوع :
« إِيَّاكَ أَتَيْتُ الْأَمَانِي يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ » . فَأَمَّا مَرَضُ الْقَلْبِ وَصِحَّتُهُ فَلَمَّا رَادُّ بِهِ التَّقْوَى
وَضَدُّهَا ، وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ .

وقال أحمد بن يوسف الكاتب :

المالُ للمرء في معيشتِهِ	خيرٌ من الوالدَيْنِ والولدِ
وإن تَدُمُ نعمةً عَلَيْكَ تَجِدُ	خيراً من المالِ صِحَّةَ الجسدِ
وما بمن نالَ فضلَ عافيةٍ	وقوتَ يومٍ فقراً إلى أحدٍ

الأصل :

المؤمن ثلاث ساعات : ساعة يُناجي فيها ربه ، وساعة يرُم فيها معاشه ،
وساعة يُخلّي فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحلّ ويحُمّل ؛ وليس للعاقل أن يكون
شاخصاً إلا في ثلاث : مرمة لمعاش ، أو خطوة في معاد ، أو لذة في غير مُحَرَّم .



الشرح :

تقدير الكلام : ينبغي أن يكون زمان العاقل مقسوما ثلاثة أقسام .
ويرم معاشه : يُصلّحه . وشاخصا : راحلا . وخطوة في معاد ، يعني في عمل التعداد ،
وهو العبادة والطاعة .

وكان شيخنا أبو علي رحمه الله يقسم زمانه على ما أصف لك : كان يُصلي الصبح
والكواكب طالعة ، ويجلس في محرابه للذكر والتسبيح إلى بعد طلوع الشمس بقليل ،
ثم يحكم مع التلامذة وطلبة العلم إلى ارتفاع النهار ، ثم يقوم فيصلي الضحى ، ثم يجلس
فيتنم البحث مع التلامذة إلى أن يؤذن للظهر ، فيصلّيها بنوافلها ، ثم يدخل إلى أهله
فيُصلح شأنه ، ويقضى حوائجه ، ثم يخرج للعصر فيصلّيها بنوافلها ، ويجلس مع التلامذة
إلى المغرب فيصلّيها ، ويصلي العشاء ، ثم يشتغل بالقرآن إلى ثلث الليل ، ثم ينام الثلث
الأوسط ، ثم يقم فيصلي الثلث الأخير كله إلى الصبح .

الأصل :

ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبْصِرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا ، وَلَا تَفْعَلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ .

* * *

الشرح :

أمره بالزهد في الدنيا ، وجعل جزاء الشرط تبصير الله تعالى له عورات الدنيا ، وهذا حق ، لأن الرّاعب في الدنيا عاشق لها ، والعاشق لا يرى عيب معشوقه ، كما قال القائل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلية ^{تختل} ولكن عين السخط تبدى المساويا ^(١)
فإذا زهد فيها فقد سخطها ، وإذا سخطها أبصر عيوبها مشاهدة لا رواية .
ثم نهى عن الغفلة ، وقال له : إنك غير مغفول عنك ، فلا تفعل أنت عن نفسك ،
فإن أحق الناس وأولاهم ألا يفعل عن نفسه من ليس بمغفول عنه ؛ ومن عليه رقيب
شاهد يناقشه على الفتل والنقيير ^(٢) .

(١) هو عبد الله بن معاوية ، الأغاني ١٢ : ٢١٤ (طبعة دار المكنب) .
(٢) الفتل : ما يكون في حق النواة ، والنقيير : النقرة التي في ظاهر النواة .

الأصل :

تَكَلَّمُوا تُعْرِفُوا ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

الشرح :

هذه إحدى كلماته عليه السلام التي لا قيمة لها ، ولا يقدر قدرها ؛ والمعنى قد تداوله
الناس قال :

وكان من ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم^(١)
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكان يحيى بن خالد يقول : ما جالس إلى أحد قط إلا هبته حتى يتكلم ، فإذا
تكلم إما أن تزداد تلك الهيبة أو تنقص .

(١) ينسب لزهير ، من معلقته بصرح الزوزني ٩٤ ، وينسب أيضا للأحنف بن قيس ، وانظر
سرج العيون ١١٢ .

الأصل :

نِعَمَ الطَّيِّبُ الْمِسْكُ ، خَفِيفٌ تَحْمِلُهُ ، عَطِرٌ رِيحُهُ .

[فصل فيما ورد في الطَّيِّب من الآثار]

الشرح :

كان النبي صلى الله عليه وآله كثير التَّطَيُّب بالمسك وبغيره من أصناف الطَّيِّب .
وجاء في الخبر الصحيح عنه : « حُبُّ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ : الطَّيِّبُ ، وَالنِّسَاءُ ، وَقُرَّةُ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ » .

وقد رُوِيَ لفظه أمير المؤمنين عليه السلام عنه مرفوعة . ونحوها : « لَا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ
فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ ، خَفِيفُ الْحَمَلِ » .

سَرَقَ أَعْرَابِيٌّ نَافِجَةً مِنْكَ ، فَقِيلَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلُ بَاتٍ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(١) ،
قَالَ : إِذَنْ أَجِئْتُهَا طَيِّبَةَ الرِّيحِ ، خَفِيفَةَ الْحَمَلِ .

وفي الحديث المرفوع أنه عليه السلام بايع قوماً كان بيد رجلٍ منهم رَدْعٌ ^(٢) خَلُوقٌ ،
فبايعه بأطراف أصابعه ، وقال : « خَيْرُ طَيِّبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَخَيْرُ طَيِّبِ
النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ » .

وعنه عليه السلام في صفة أهل الجنة : « وَتَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ ^(٣) » ، وهي العودُ الهندي .

(١) سورة آل عمران ١٦١ (٢) ردع الزعفران : لطفه . (٣) نهاية ابن الأثير : ٧٠

وروى سهل بن سعد عنه عليه السلام : « إن في الجنة لمرآغا من مسك مثل مراغي دوابكم هذه » .

وروى عنه عليه السلام أيضا في صفة الكوثر : « جالهُ المسك - أي جائته - ورَضْرَاضُه الثوم ، وحَصْبَاؤُه اللؤلؤ ^(١) .

وقالت عائشة : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الْمِسْكِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ مُحَرَّم ^(٢) .

وكان ابن عمر يَسْتَجِمِرُ بَعُودَ غَيْرِ مُطَرَّمِي وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ ، ويقول : هكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصْنَعُ .

وروى أنس بن مالك قال : دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ عِنْدَنَا وَالْوَقْتُ صَيْفٌ ، فَمَرَّقَ ، فَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ عِرْقَهُ ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَالَ : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، مَا تَصْنَعِينَ ؟ قَالَتْ : هَذَا عِرْقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِينِنَا ، فَإِنَّهُ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ ، وَنَرْجُو بِهِ بَرَكَةَ صَبِيَّانَا ؛ فَقَالَ : أَصَبْتَ .

وَمِنْ كَلَامِ عُمَرَ : لَوْ كُنْتُ تَاجِرًا مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ الْمِطْرِ ، إِنْ فَاتَنِي رِيحُهُ لَمْ يَفْتِنِي رِيحُهُ .

نَاقِلُ الْمُتَوَكِّلِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي قَتَنِ فَأَرَادَ مِسْكَ ، فَأَنْشَدَهُ :
لَنْ كَانَ هَذَا طِينِنَا وَهُوَ طَيِّبٌ لَقَدْ طَيَّبَتْهُ مِنْ يَدَيْكَ الْأَنَامِلُ
قَالُوا : سُمِّيَتْ الْغَالِيَةُ غَالِيَةً ، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ أَهْدَى لِمَعَاوِيَةَ قَارُورَةً مِنْهَا ، فَسَأَلَهُ ، كَمْ أَنْفَقَ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَ مَالًا ، فَقَالَ : هَذِهِ غَالِيَةٌ ، فَسُمِّيَتْ غَالِيَةً .

شَمَّ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيُّ مِنْ أُخْتِهِ هِنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ رِيحَ غَالِيَةٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ : عَلِّمْنِي طِيْبِكَ ؛ قَالَتْ : لَا أَفْعَلُ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَهُ

(٢) الرِّيس : البريق :

(١) الثوم : الدر . وهي من دود .

جَوَارِيكَ ! هُوَ لَكَ عِنْدِي مَا أُرِدْتَهُ ، ثُمَّ ضَحَكَتْ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا تَعَلَّمْتُهُ إِلَّا مِنْ شِعْرِكَ حَيْثُ قُلْتَ :

أَطِيبُ الطَّيِّبِ طَيْبُ أُمِّ أَبَانَ فَأَرْمَسُكَ بِعَنْسَبٍ مَسْعُوقٍ
خَلَطْتُهَا بِعُودِهَا وَبِيَانٍ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقٍ
وَرَوَى أَبُو قِلَابَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو مَسْعُودٍ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ مَنْ فِي الطَّرِيقِ أَنَّهُ قَدْ مَرَّ مِنْ طَيْبٍ رِيحِهِ .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْغَالِيَةَ عَلَى صَلَّعَتِهِ كَأَنَّهَا الرُّثْبُ .

أَوْ لَمْ التَّوَكَّلْ فِي طَهْرِ بَيْتِهِ ، فَلَمَّا كَثُرَ اللَّعِبُ قَالَ لِيَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : انْصَرِفْ أَيُّهَا الْقَاضِي ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْلَطُوا ؛ قَالَ : أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى قَاضٍ إِذَا خَلَطُوا ، فَاسْتَظَرَفَهُ وَأَمَرَ أَنْ تُعْلَفَ لِحْيَتُهُ ؛ فَقَعَلَ ؛ فَقَالَ يَحْيَى : إِنَّا لَنُفِيضُ ضَاعَتِ الْغَالِيَةَ ، كَانَتْ هَذِهِ تَكْفِينِي دَهْرًا لَوْ دُفِنْتُ إِلَيْكَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِزَوْرَقٍ لَطِيفٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ مِنْ غَالِيَةٍ وَدُرٍّ بِخُورٍ ، فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ .

وَرَوَى عِكْرَمَةُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَطْلِي جَسَدَهُ بِالْمِسْكِ ، فَإِذَا مَرَّ بِالنَّاسِ : أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ أُمِّ الْمِسْكِ ؟

وَقَالَ أَبُو الضُّحَى : رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ ابْنِ الزَّيْبِرِ مِنَ الْمِسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي لَكَانَ رَأْسُ مَالِي .
لَمَّا بَنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَسْرَجَ فِي مَسَارِحِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْغَالِيَةَ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ .

كَانَتْ لِأَبْنِ عَمْرِو بْنِ بُدْدُقَةَ مِنْ مِسْكِ يَبُوكَا بَيْنَ رَاغِيَتِهِ فَتَفُوحِ رَاغِيَتِهَا^(١) .
كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي إِمَارَتِهِ الْمَدِينَةَ يَجْعَلُ الْمِسْكَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَنَعْلَيْهِ ، فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ يَمْدَحُهُ :

لَهُ نَمَلٌ لَا تَطَّيَّبُ الْكَلْبَ رِيحُهَا^(٢) وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُشَمَّتْ

(١) يَبُوكَا بَيْنَ رَاغِيَتِهِ أَيُّ قَبْلِهَا . (٢) يَطِّي: يَسْتَمِيلُ . وَالْبَيْتُ لِكَثِيرٍ ، انْظُرْ خَزَانَةَ الْأَدَبِ ٤ : ١٤٧

سَمِعَ عَمْرُو قَوْلَ سُحَيْمِ عَبْدِ بَنِي الْحُسَيْنِ :

وَهَبْتَ شِمَالَ آخِرِ اللَّيْلِ قِرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا دِرْعَهَا وَرِدَانِيَا ^(١)

فَإِذَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا مَدَى الْخَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدِيَالِيَا

فَقَالَ لَهُ : وَيَنَحْكَ ! إِنَّكَ مَقْتُولٌ ، فَلَمْ تَمْضِ عَلَيْهِ أَبَامَ حَتَّى قُتِلَ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْخُلُقِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .

وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ إِذَا قَامُوا مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَمْسَحُوا مَقَادِيمَ لِحَافِهِمُ بِالطَّيِّبِ .

وَاشْتَرَى كَنِيمُ الدَّارِيِّ - لَّةُ بِنْتُ عَمَّةٍ دِرْهَمًا ، وَهِيَ طَيِّبَةٌ ، فَكَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ

تَطْيَبَ وَلَبَسَ حُلَّتَهُ ، وَقَامَ فِي الْمَحْرَابِ .

وَقَالَ أَنَسٌ : يَا جَمِيلَةَ ، هَبْنِي لِنَا طَيِّبًا أَمْسَحُ بِهِ يَدَيَّ ، فَإِنَّ ابْنَ أُمِّ ثَابِتٍ إِذَا جَاءَ قَبْلَ

يَدَيَّ - يَعْنِي ثَابِتَ الْبُنَانِيَّ .

وَقَالَ سَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : لَقَدْ شَمَمْتُ مِنْ فُلَانٍ رَائِحَةَ أَطْيَبِ مِنْ مَشْطَةِ الْعُرُوسِ الْحُسْنَاءِ

فِي أَنْفِ الْعَاشِقِ الشَّبِيقِ .

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ : الْفَاسِقُ رِجْسٌ وَلَوْ تَضَمَّنَ بِالْغَالِيَةِ .

عَرَضَتْ مَدِينَةٌ لكَثِيرٍ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ الْقَاتِلُ :

فَارَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ النَّارِ يَمِجُّ النَّدَى جَنَاحُهَا وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبِ مِنْ أُرْدَانِ عَزَّةٍ مَوْهِنًا وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالسَّنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ لَزَنْجِيَّةٌ تَجْلِي الْحَلَّةَ لَطَابَتِ ، هَلَّا قُلْتُ كَمَا قَالَ سَيِّدُكَ ^(٢)

أَمْرُو الْقَيْسِ :

ألم ترَ باني كلاً جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب^(١)
وقال الزنخري : إن النوى المنقَع بالمدينة ينتاب أشرافها المواضع التي يكون فيها
التماسا لطيب ريحه ، وإذا وجدوا ريحاً بالعراق هربوا منها لخبثها ؛ قال : ومن اختلف
في طُرُقَات المدينة وجد رائحة طيبة وبنّة^(٢) محببة ؛ ولذلك سُميت طيبة ، والزنجية بها
تجعل في رأسها شيئاً من بلح ومالا قيمة له ، فتجد له خُمرَةً لا يعدلها بيتُ عروس من
ذوات الأقدار .

قال : ولو دخلت كل غالية وعطر قصبة الأهواز وقصبة أنطاكية لوجدتها قد تغيرت
وفسدت في مدة يسيرة .

أراد الرشيد المقيم في أنطاكية ، فقال له شيخ منها : إنها ليست من بلادك ، فإن
الطيب الفاجر يتغير فيها حتى لا يُنتفع منه بشيء ، والسلاح يصدأ فيها .
سيراف : من بلاد فارس ، لها فغمة طيبة .

فأرة المسك دُوْبَة شبيهة بالخشف^(٣) تكون في ناحية تُبَتُّ تُصاد لأجل سُرَّتِها ،
فإذا صادها الصائد عَصَب سُرَّتِها بعصب شديد وهي مدلاة ، فيجتمع فيها دَها ، ثم
يذبحها ، وما أكثر من يأكلها ، ثم يأخذ السرة فيدْفِنُها في الشجر حتى يستحيل
الدمُ المحتقن فيها مسكاً ذكياً بعد أن كان لا يرام نَدْنًا ، وقد يوجد في البيوت
جرذانٌ مُودُّ يُقال لها : فأر المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها .

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ قال : سألت بعض أصحابنا المعتزلة عن شأن المسك ،
فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله تطيب بالمسك لما تطيبت به ، لأنه دم ؛ فأما

(٢) البنة : الرائحة مطلقاً .

(١) ديوانه ٤١

(٣) الخشف : ولد الضئ .

الزَّبَاد فليس مما يَقْرُب ثِيَابِي ، فقلتُ له : قد يرتضع الجُدَى من لبن خنزيرة فلا يحرمُ لحمُه ، لأنَّ ذلك اللَّبن أَسْتَحَالَ لحمًا ، وخرج من تلك الطَّبيعة ، وعن تلك الصورة ، وعن ذلك الاسم ، وكذا لحم الجلالة ، فاليسك غيرُ الدَّم ، والخلل غيرُ الخمر ، والجوهر لا يحرم لذاته وعينه ، وإنما يحرم للأعراض والعلال فلا تَقَرَّرُ^(١) منه عند ذِكْرِكَ الدَّم ، فليس به بأس .

قال الزَّمَخْشَرِيُّ : والزَّبَادَة هِرَّة . ويقال للزَّبَلَع ، وهم الذين يحتلبون الزَّبَاد يازْبَلَع ، الزَّبَادَة ماتت ، فَيَنْضَب .

وقال ابنُ جَزَلَة الطَّيِّب في المنهاج^(٢) : الزَّبَاد طيبٌ يؤخذ من حيوان كالسَّنور يقال : إنه وَسَخٌ في رَحِمِهَا .

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ : العنبر يأتي طُفَاوَةً على المساء لا ينوي أحدٌ معدته ، يقذفه البحر إلى البرِّ فلا يأكل منه شيء إلا مات ، ولا ينقرُّه طائرٌ إلا بقي منقاره فيه ، ولا يقع عليه إلا نصَّاتُ أظفارِه ، والبحريُّون والمطارون رَمَمَا وجدوا فيه المنقار والظفر .

قال : والبال ، وهو سَمَكَة طولها خمسون ذراعًا ، يؤكل منه اليسير فيموت .

قال : وسميتُ ناسًا من أهل مسكة يقولون : هو ضنع^(٣) ثور في بحر الهند ، وقيل : هو من زبد بحر سَرَندِيب ، وأجودُهُ الأشهب ، ثم الأزرق ، وأدونهُ الأسود .

وفي حديث ابن عباس : ليس في العنبر زكاة ، إنما هو شيء يَدْسُرُهُ البحر ، أَيْ يَدْفَعُهُ .

(١) تَقَرَّرَ منه : تَبَاعَد .

(٢) كتاب المنهاج لابن جَزَلَة الطَّيِّب ؛ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ١٠٧ - طب .

(٣) ضنع الثور : نَجْوَاه .

فأما صاحب المنهاج في الطب فقال : العنبر من عين في البحر ، ويكون جاجم أكبرها وزنه ألف مثقال ، والأسود أرباً أصنافه ، وكثيراً ما يوجد في أجواف السمك التي تأكله وتموت ، وتوجد فيه شهوة .

وقال في المسك : إنه سرّة دابة كالظبي ، له نابان أبيضان معقّان إلى الجانب الإنسي كقرنين . جاء في الحديث المرفوع : « لا تمسوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن إذا خرجن كفلات » ، أي غير متطيّبات ^(١) .

وفي الحديث أيضاً : « إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمس طيباً » ؛ والمراد من ذلك ألا تهيج عليهن شهوة الرجال .
قال الشاعر :

والمسك ينسا تراه ممنهناً ~~تفخر عطاره وساحقه~~

حتى تراه في عارضى ملكٍ أو موضع التاج من مفارقة

الصنوبرى في استهداء المسك :

المسك أشبه شيء بالشباب فهبَّ بعض الشباب لبعض العُصبة الشَّباب

يقال : إن رجلاً وجد قرطاساً فيه اسم الله تعالى ، فرفعه ، وكان عنده دينار ، فاشترى به مسكاً ، فطيبه ، فرأى في المنام قائلاً يقول له : كماليت اسمي لأطيبين ذكرك .

قال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب : ما رأيت صدأً للغفر ، ولا عبق العنبر بأحد أليق منه بك ، فقال : حاجتك ؛ قال : ابن أخ لي في حبسك ، فقال : يسبقك إلى المنزل .

شاعر :

كَانَ دُخَانُ النَّدَى مَا بَيْنَ جَحْرِهٖ بَقَايَا ضَبَابٍ فِي رِيَاضٍ شَقِيقِ

قالوا : خيرُ العُودِ المندليّ ، وهو منسوبٌ إلى مندل قريةٌ من قرى الهند ، وأجودُهُ أصله ، وامتحان رطبهِ أن ينطبع فيه نقش الخاتم ، واليابس تُفصِح عنه النار ، ومن خاصية المندليّ أن رائحته تثبت في الثوب أسبوعاً ، وأنه لا يقمل ما دامت فيه .

قال صاحبُ المنهاج^(١) : العود عروقيّ أشجارٍ تَقْلَع وتُدفن في الأرض حتى تتعفن ، منها الخشبية والقشربة ، ويبقى العود الخالص ، وأجودُهُ المندليّ ، ويُجلب من وسط بلاد الهند ، ثم العود الهنديّ ، وهو أفضل على المندليّ بأنه لا يولد القمل ، وهو أعبق بالثياب . قال : وأفضلُ العود أرسنه في الماء ، والطين رديّ .

قال أبو العباس الأعمى :

لَيْتَ شَعْرِي مِنْ أَيْنَ رَائِحَةُ الْمَدِّ لَكِ وَمَا إِنِّ أَخَالُ بِالْخَيْفِ أَنْسِي
حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ وَالْبَهَائِلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ
خُطْبَاءَ عَلَى الْمَنَابِرِ قُرْنَا نَّ عَلَى الْخَيْلِ قَالَةً غَيْرُ خُرْسٍ
يُحْلُومُ مِثْلَ الْجِبَالِ رِزَانِ وَوَجْوهٍ مِثْلِ الدَّانِيَةِ مُلْسِ

المسيّب بن علس^(٣) :

تَبِيتَ الْمُلُوكُ عَلَى عَثْبِهَا وَشَيْبَانُ إِنِّ غَضِبَتْ تُعْتَبِ^(١)
وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ الْفَاطِمِ وَأَخْلَقَهُمْ مِنْهُمَا أَعَذَبُ

وكالمسك تُرَبُّ مقاماتهم وَتُرَبُّ قُبُورُهُمْ أَطِيبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال :

وأنتَ إذا ما وطئت الترابَ كأن ترابك للناس طيبا

وهجا بعض الشعراء العمال في أيام عمر ، ووقع عليهم ، فقال في بعض شعره :

ثوبُ إذا أبوا ونَفَزُوا إذا غَزَوْا فَأَيُّ لَهْمٍ وَفَرٍّ وَلَسْنَا ذَوِي وَفَرٍّ

إذا التاجرُ الدَّارِيُّ جاء بفارةٍ من المسك راحت في مفارقهم تجرى

فقبض عمرُ على العمال وصادَرَهُمْ .

قالوا في الكافور : إنه ملا في شجر مكفور فيه يقرزونه بالحديد ، فإذا خرج إلى

ظاهر ذلك الشجر ضرب به الهواء فانهقد كالصمغ الجامدة على الأشجار .

وقال صاحب النهاج^(١) : هو أصناف : منها الفَنَصُورِيُّ^(٢) ، والرَّابَحِيُّ^(٣) ، والأزاد ،

والإِسْفَرَكُ^(٤) الأزرق ، وهو المختلط بخشبه ، وقيل إن شجرته عظيمة تظل أكثر من

مائة فارس ، وهي بحرية ، وخشب الكافور أبيض إلى الحمرة خفيف ، والرَّابَحِيُّ يوجد

في بدن شجرته قطع كالثلج ، فإذا شقت الشجرة تناثر منها الكافور .

القَدَّة : هو الغالية ، وهو المود المطري المسك والعنبر ودهن البان ، ومن الناس من لا

يضيف إليه دهن البان ، ويجعل عوضه الكافور ، ومنهم لا يضيف إليه الكافور

أيضا ، ومن الناس من يركب الغالية من المسك والعنبر والكافور ودهن التيلوفر .

قال الأصمعي : قلت لأبي المهدية الأعرابي : كيف تقول : ليس الطيب إلا المسك ؟

فلم يحفل الإعرابي ، وذهب إلى مذهب آخر ، فقال : فأين أنت عن العنبر ؟ قلت :

كيف تقول : ليس الطيب إلا المسك والعنبر ؟ قال : فأين أنت عن البان ، قلت : فكيف

(١) النهاج : ورقة ١٧٧ .

(٢) فنصور : جزيرة سرنديب . انظر المفردات لابن البيطار ج ٤ : ٤٢ طبع بولاق .

(٣) نسبة إلى ملك اسمه رباح انظر نهاية الأرب ج ١١ : ٢٩٤ .

(٤) كذا في قانون ابن سينا وشرح الأدوية المفردة للكاروني ونهاية الأرب ج ١١ : ٢٩٤ .

تقول : ليس الطيب إلا المسك والعنبر والبان ؟ قال : فأين أنت عن أدهان بحجر - بمعنى
اليمامة ، قلت : فكيف تقول ليس الطيب إلا المسك والعنبر والبان وأدهان بحجر ؟
قال : فأين أنت عن فارة الإبل صادرة ؟ فرأيت أني قد أكرت عليه ، فتركتة قال :
وفارة الإبل ريحها حين تصدر عن الماء . وقد أكلت العنبر الطيب .

وفي فارة الإبل يقول الشاعر :

كأن فارة مسك في مباءتها إذا بدا من ضياء الصبح تنقشر
كان لأبي أيوب المرزباني وزير المنصور دهن طيب يدهن به إذا ركب إلى المنصور ،
فلما رأى الناس غلبته على المنصور وطاعته له فيما يريد ، حتى إنه ربما كان يستحضره
ليوقع به ، فإذا رآه تبسم إليه وطابت نفسه قالوا : دهن أبي أيوب من عمل السحرة ،
وضربوا به المثل ، فقالوا لمن يطلب على الإنسان : معه دهن أبي أيوب .
أعرابي : فيها مدرك كفت ومشم أنف .

وقال عيينة بن أسماء بن خارقة الفزاري :

لو كنت أحمل خراً حين زرتكم لم ينكر الكلب أني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك بقدمي والعنبر الورد مشبوبا على النار
فأنكر الكلب ريحي حين خالطني وكان يألف ريح الزق والقار
قال الأصمعي : ذكر لأبي أيوب هؤلاء الذين يتشفون ، فقال : ما علمت أن القدر
والذفر من الدين .

ريح الكلب مثل في النتن ، قال الشاعر :

ريحها ريح كلاب هارشت في يوم ظل

وقال آخر :

يزداد لثوما على المديح كما يزداد نتن الكلاب في المطر

وقالت امرأة امرئ القيس له وكان مفرّجاً عند النساء : إذا عرقت عرقت بريح
كلب . قال : صدقت ، إن أهلي أرضعوني مرةً بلبن كلبة .

قال سلمة بن عياش ، يقول لجعفر بن سليمان :

فما شم أنفي ريح كفي رأيتها من الناس إلا ريح كفيك أطيب

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال من المسك ومائة مثقال من العنبر .

وجّه عمرُ إلى ملك الروم يريد فاشترت أمّ كاثوم امرأة عمر طيباً بدنانير وجعلته
في قارورتين وأهدتهما إلى امرأة ملك الروم ، فرجع البريد إليها ومعه ملء القارورتين
جواهر ، فدخل عليها عمر ، وقد صبت الجواهر في حجرها ، فقال : من أين لك هذا ؟
فأخبرته ، فقبض عليه ، وقال : هذا للمسلمين ؛ قالت : كيف وهو عوض هديتي ! قال :
بيني وبينك أبوك ، فقال عليّ عليه السلام : لك منه قيمة دينارك ، والباقي للمسلمين
جملة لأن يريد المسلمون حمله :

قيل لخديجة بنت الرشيد : رُسل العباس بن محمد على الباب ، معهم زنبيل يحمله
رجلان . فقالت : تراه بعث إلى ياقلاء ؟ فكشف الزنبيل عن جرة مملوءة غالية فيها مسحات
من ذهب ، وإذا برقعة : هذه جرة نصيبتي هي وأختها في خزان بني أمية ، فأما
أختها فغلب عليها الخلفاء ، وأما هذه فلم أرَ أحداً أحقّ بها منك .

الأضل :

ضَعُ فَخْرَكَ ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ .

البُزْخُ :

قد تقدّم القولُ في العجب والكبر والفخر .

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

[نبذ مما قيل في التَّيِّه والفخر]

في الحديث المرفوع : « إنَّ الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناسُ لآدم ، وآدمُ من تراب ، مؤمن تقي ، وفاجرٌ شقي ، لينتهين أقوام يتفخرون برجالٍ إنَّما هم لحمٌ من لحمٍ أو ليكونن أهونَ على الله من جَعَلات^(١) تدفع النَّتنُ بأنفها » .

ومن وصيته صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام : « لا فقر أشدَّ من الجهل ، ولا وحشة أخش من العُجب » .

أتى وائلُ بنِ حُجْرٍ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فأقطعهُ أرضاً ، وأمر معاوية أن يمضي معه فيريه الأرضَ وبعرضها عليه ، ويكتبها له ، ففرج مع وائل في هاجرة

(١) الجَعَلات : جمع جعل ؛ يضم فتحة : دوية معروفة تنشي الأمكنة الفدرة .

شاوية ، ومشى خلف ناقته فأحرقته الرَّمضاء ، فقال : أردفتني : قال : لست من أرداف الملوك ، قال : فادفع إليّ نعليك ، قال : ما بخل يمتنعني يابن أبي سفيان ، ولكن أكره أن يبلغ أقبال^(١) . البين أنك لبست نعلي ، ولكن امش في ظلّ ناقتي فحُبُّك بذاك شرفاً ، ويقال : إنّه عاش حتى أدرك زمن معاوية فأجلسه معه على سريره .

قيل لحكيم : ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً؟ فقال : الفخر .
حبس هشامُ بن عبد الملك الفرزدقَ في سجن خالد بن عبد الله القسريّ ، فوجد جرير إلى خالد ليشفّع فيه ، فقال له خالد : ألا يسرك أن الله قد أخزى الفرزدقَ ؟ فقال : أيّها الأمير ، والله ما أحبّ أن يخزيه الله إلا بشعري ، وإنما قدمت لأشفّع فيه . قال : فاشفع فيه في ملائكون أخزى له^(٢) ، فشفّع فيه ، فدعا به فقال : إني مُطلقك بشفاعتي جرير ، فقال : أسير قسريّ ، وطلّيق كلبي ، فبأى وجه أفاخر العرب بعدها ! ردّني إلى السجن .

ذكر أعرابيّ قوماً فقال : مانالوا بأناملهم شيئاً إلا وقد وطنناه بأخامص أقدامنا ، وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا .

نظر رجل إلى بعض ولد أبي موسى يحتال في مشيته ، فقال : ألا تروُن مشيته ؟ كأنّ أباه خدّع عمرو بن العاص !

وسمع الفرزدقُ أبا بردة يقول : كيف لا أتبختر وأنا ابن أحد الحكمين ، فقال : أحدهما مائق ، والآخر فاسق ، فكان ابن أيّهما شئت .

نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أبي دُجّانة وهو يقبّخر بين الصّفين ، فقال : « إنّ هذه مشية يبغيضها الله إلّا في هذا الموطن » .

(١) الأقبال : جمع قيل ؟ وهو الملك . (٢) في د : « أذلّ له » ؟ وهو مستقيم أيضاً .

لما بلغ الحسن بن علي عليه السلام قول معاوية : إذا لم يكن الهاشمي جوادا والأموي حليما والعوامي شجاعا والمخزومي تياها لم يشبهوا آباءهم ؛ فقال : إنه والله ما أراد بها النصيحة ، ولكن أراد أن يفتني بنو هاشم ما في أيديهم فيحتاجوا إليه ، وأن يشجعوا بني العوام فيقتلوا ، وأن يتيه بنو مخزوم فيمقتلوا ، وأن يحلم بنو أمية فيحبهم الناس .

كان قاضي القضاة محمد بن أبي الشَّارِب الأموي تائها ، فهجَّاه عبدُ الأعلى البصري فقال :

إني رأيتُ محمداً منشأوساً مستصفاً لجميع هذى الناس^(١)
ويقول لما أن تنفس خالياً نفساً له يعلو على الأنفاسِ
ويح الخلافة في جوانب لحيق تستنّ دون ليحى بني العباس !
بعض الأموية :

إذا تائه من عبدٍ شمسٍ رأيتُ يتيه فرشه لكل عظيم
وإن تاه تياه سواء فإنه يتيه لحق أو يتيه للوم
بعض الأموية أيضاً :

ألنا بني مروان كيف تبدلت بنا الحال أودارت علينا الدوائر !
إذا وُلد المولود منا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابر
بعض التياهين :

أتيه على إنس البلاد وجنّها ولو لم أجد خلقاً أتيه على نفسي
أتيه فلا أدري من التيه من أنا سوى من يقول الناس في وفي جنسي
فإن زعموا أتى من الإنس مثلهم فإلى عيب غير أتى من الإنس

(١) للشاوس : المختار عجباً وكبراً .

بعض الآلوية

لقد نازعنا من قريش عصابةً بمطّ خدودٍ وامتدادٍ أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سُكوتاً والشهيدُ يفضّلنا عليهم أذانُ الناس في كلّ جامع
بأن رسول الله لا شك جدُّنا وأنّ يديه كالنجوم الطوالع

كان 'عمارة بن حمزة بن ميمون مولى بنى العباس مثلاً في التّيه ؛ حتّى قيل : أتية من 'عمارة . وكان يتولّى دواوين السّفاح والنّصور ، وكان إذا أخطأ مضى على خطئه تكبرا عن الرجوع ، ويقول : نقض وإبرام في حالة واحدة ، الإصرار على الخطأ أهون من ذلك .

وافضرت أم سلمة المخزومية امرأة السّفاح ذات ليلة بقومها على السّفاح ، وبنو مخزوم يضرب بهم المثل في الكبر والتّيه ، فقال : أنا أحضرُكِ الساعة على غير أهية مولى من موالى ليس في أهلك مثله ، فأرسل إلى 'عمارة ، وأمر الرسول أن يُعجله عن تعيير زِيّة ، فجاء على الحال التي وجده عليها الرسول في ثياب ممسّكة مزرّرة بالذهب ، وقد غلّف لحيتّه بالغالية حتّى قامت ، فرمى إليه السّفاح بمذهن ذهب مملوء غالية ، فلم يلتفت إليه ، وقال : هل ترى لها في لحيتّه موصفا ؟ فأخرجت أم سلمة عقداً لها ثميناً ، وأمرت خادماً أن يضعه بين يديه ، فقام وتركه ، فأمرت الخادم أن يتبعه به ، ويقول : إنّها تسألك قبوله ، فقال للخادم : هو لك ، فأنصرف بالعقد إليها ، فأعطت الخادم فكأكه عشرة آلاف دينار ، واسترجعته ، وعجبت من نفس 'عمارة ، وكان عمارة لا يذلّ للخلفاء وهم مواليه ويديه عليهم .

نظر رجل إلى المهديّ ويده في يد 'عمارة ، وهما يمشيان ، فقال : يا أمير المؤمنين

مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا أَخِي ، وَابْنُ عَمِّي عُصَامَةُ بْنُ حَزْزَةَ ، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ ذَكَرَ الْمُهْدِيَّ
الْكَلِمَةَ كَالْمُزَاحِ لِعُصَامَةَ ، فَقَالَ عُصَامَةُ : وَاللَّهِ لَقَدْ أُتِظَّرْتُ أَنْ تَقُولَ : مُوَلَايَ فَأَنْقَضَ
يَدِي مِنْ يَدِكَ ، فَتَبَسَّمَ الْمُهْدِيُّ :

وَكَانَ أَبُو الرَّبِيعِ الْغَنَوِيُّ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا تَيَّاهَا شَدِيدَ الْكِبَرِ ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ
فِي الْكَامِلِ : فَذَكَرَ الْجَاحِظُ أَنَّهُ أَتَاهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ هَاشِمِيٌّ ، قَالَ : فَنَادَيْتُ : أَبُو الرَّبِيعِ هُنَا ؟
فَخَرَجَ إِلَيَّ وَهُوَ يَقُولُ : خَرَجَ إِلَيْكَ رَجُلٌ أَكْرَمَ النَّاسِ ، فَلَمَّا رَأَى الْهَاشِمِيَّ اسْتَحْيَا وَقَالَ :
أَكْرَمُ النَّاسِ رَدِيفًا ، وَأَشْرَفُهُمْ حَافِيًّا ^(١) - أَرَادَ بِذَلِكَ أَبَا مَرْثَدَةَ الْغَنَوِيَّ ، لِأَنَّهُ كَانَ
رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَلِيفَ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ : حَدَّثَنَا سَاعِدَةُ ثَمَّ نَهَضَ
الْهَاشِمِيُّ فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ خَيْرُ الْخَلْقِ؟ قَالَ : النَّاسُ وَاللَّهِ ، قُلْتُ : مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ :
الْعَرَبُ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ الْعَرَبِ؟ قَالَ : مُضَرٌ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ مُضَرَ؟
قَالَ : قَيْسٌ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ قَيْسٍ؟ قَالَ : يَمْعُرٌ وَاللَّهِ ، قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ يَمْعُرٍ؟ قَالَ :
عَنِيَّ وَاللَّهِ ، قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ عَنِيٍّ؟ قَالَ : الْمُخَاطِبُ لَكَ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : أَفَأَنْتَ خَيْرُ النَّاسِ؟
قَالَ : إِي وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : أَيْسَرُكَ أَنْ تَكُونَ تَحْتَلَكَ أُمَّةُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَاسِبِ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ
قُلْتُ : وَلَكَ أَلْفُ دِينَارٍ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَأَتَانَا دِينَارٌ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : وَلَكَ
الْجَنَّةُ ، قَالَ : فَأَطْرَقَ ثَمَّ قَالَ : عَلَى الْآلِ تَلَدَ مَتَى ، ثَمَّ أَنْشَدَ :

تَأْتِي لِيَمْعُرَ أَعْرَاقُ ^(٢) مَهْدِيَّةٌ مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ
فَإِنْ يَسْكُنَ ذَلِكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ فَأَذْكَرُ حَدِيثَ فَإِنِّي غَيْرُ أَبْنَاءِ ^(٣)

(١) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : قَوْلُهُ : « وَأَشْرَفُهُمْ حَافِيًّا » ؛ كَانَ أَبُو مَرْثَدَةَ حَلِيفَ حَزْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

(٢) فِي د : « أَخْلَاقٌ » وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ أَيْضًا .

(٣) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : « قَوْلُهُ : « فَأَذْكَرُ حَدِيثَ » ؛ أَرَادَ حَدِيثَ بَدْرِ الْغَزَارِيِّ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ مِنْ
بَيْنِ الْأَشْرَافِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا ؛ وَذَلِكَ يَمْعُرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ ، وَمَعْزِلَاءُ بْنُ وَرَيْثَ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ
سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ

(٤٠٣)

الأصل :

كلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ .

البرج :

هذا من باب القناعة ، وإنَّ من أقتصر على شيء وقنعت به نفسه فقد كفاه ، وقام
مقام الفضول التي يرغب فيها المترفون ؛ وقد تقدّم التناول في ذلك .

مركز تحقيق كتابي نور العلوم اسلامي

الأصل :

الْمَنِيَّةُ وَلَا الدُّنْيَةُ ، وَالتَّقَلُّلُ وَلَا التَّوَسُّلُ .

الشرح :

قد تقدم من كلامنا في هذا الباب شيء كثير ، وقال الشاعر :

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَمَعْتُ النَّوَى وَشَرِبْتُ مَاءَ الْقَلْبِ الْمَالِحَةِ (١)

أحسنُ بالإنسان من ذلك ومن سؤال الأوجه الكالحة

فاستغن بالله تكن ذا غنى مغتبطا بالصفقة الراجحة

فالزهد عزٌّ والتقى سُودٌ وذلة النفس لها فاضحة

كم سالمٍ صبح به بفتنة وقائلٍ عهدى به البارحة

أُمسى وأمت عنده قينة وأصبحت تنذبه نائمة

طوبى لمن كانت موازينه يوم يلاق ربه راجحة

وقال أيضا :

لَمَعْتُ الثَّمَادُ وَخَرَطُ الْقَتَادِ وَشَرِبْتُ الْأَجَاجَ أَوْانَ الظَّمَى

على المرء أهون من أن يرى ذليلاً نخلق إذا أعدما

وخيرٌ لعينيك من منظرٍ إلى ما بأيدي اللثام العَمَى

قلتُ : لحاء الله ، هلاً قال : بأيدي الرجال !

(١) القلب بضمين : جمع قلب ؛ وهي البئر .

(٤٠٥)

الأفضل :

مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا ، لَمْ يُعْطَ قَائِمًا .

البنج :

مراده أن الرزق قد قسمه الله تعالى ، فمن لم يرزقه قاعدا لم يجب عليه القيام والحركة .

وقد جاء في الحديث : إنه صلى الله عليه وآله ناول أعرابيا ثمرة ، وقال له : « خذها فلو لم تأتها لأنتك » .

وقال الشاعر :

جری قلم القضاء بما يكونُ فبيان التحرك والسكونُ
جنونٌ منك أن تسمى لرزقٍ ويرزق في غشاوته الجنينُ

الأصل :

الدَّهْرُ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ ، وَإِذَا
كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ .

الشرح :

قديمًا قيل هذا المعنى : الدهر يومان : يوم كَلَا ، و يوم رَخَاء . والدهر : ضَرْبان :
حَبْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . والدهر وقتان : وقت سرور ، ووقت ثبور^(١) .
وقال أبو سفيان يوم أحد : يوم بيوم بدر ، والدنيا دُول .
قال عليه السلام : فإذا كان لك فلا تَبْطُرْ ، وإذا كان عليك فاصبر .

قد تقدم القول في ذمّ البَطْرِ ومدح الصَّبْرِ ، ويُحْمَلُ ذَمُّ البَطْرِ هَاهُنَا عَلَى مَحَامِين .
أحدهما البَطْرُ بمعنى الأَشْرَ ، وشِدَّةُ المَرْحِ ، يَطْرُ الرجلُ بالكسر يَبْطُرُ ، وقد أَبْطَرَهُ المَالُ ،
وقالوا : بَطِرَ فلانٌ مَعِيشَتَهُ ، كما قالوا : رَشِدَ فلانٌ أَمْرَهُ . والثاني البَطْرُ بمعنى الحَيْرَةِ والدَّهْشِ ،
أى إذا كان الوقت لك فلا تقطعن زمانك بالحيرة والدهش عن شكر الله ومكافأة النعمة
بالطاعة والعبادة . والمحمل الأول أوضح .

أراد حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان سيد قيس في زمانه (١) .

رأى عمر رجلا يمشي مريضاً يديه ، طارحاً رجليه ، يتبخر ، فقال له : دع هذه المشية ،
فقال : ما أطيق ، فجلده ثم خلاه ، فترك التبخر ، فقال عمر : إذا لم أجلد في هذا فقيم
أجلد ؛ فجاءه الرجل بعد ذلك فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، إن كان إلا شيطاناً
سلط على فأذهب الله بك .



مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين علي

الأصل :

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَآثَاكَ ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأُجِلْ
فِي الطَّلَبِ .

الشَّرْحُ :

كان يقال : اجعل الدنيا كغريم السوء حَصِّلْ مِنْهُ مَا يَرْضَخُ لَكَ بِهِ ، وَلَا تَأْسَ عَلَى
مَا دَفَعَكَ عَنْهُ ؛ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأُجِلْ فِي الطَّلَبِ ، وَهِيَ مِنَ الْأَفَاظِ
النَّبَوِيَّةِ : « لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، فَأَجِلُوا فِي الطَّلَبِ »
قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الْغَنَى ؟ فَقَالَ : قَلَّةُ تَمَنِّيكَ ، وَرِضَاكَ بِمَا يَكْفِيكَ .

الأُسْلُ:

رُبَّ قَوْلٍ ، أَتَفْعِدُ مِنْ صَوْلِ .

البُنْجُ:



قد قيل هذا المعنى كثيرا ، فنه قولهم :
* والقولُ يَنْفَعُ مَالًا يَنْفَعُ الْإِبْرَ *

ومن ذلك : القولُ لا تَمْلِكُ إِذَا نَمَا ، كالتبسم لا تملكه إِذَا رَمَى ، وقال الشاعر :

وقافية منسلٍ حَدُّ السَّنَا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا
تَحْيَرْتُهَا ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا وَلَمْ يُطِيقِ النَّاسُ إِرسَالَهَا

وقال محمود الوراق :

أَتَانِي مِنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرُ
فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ وَكَمْ يُنْفِضِي الْفَتَى الْحَرُّ
وَأَذْبَتُكَ بِالْهَجْرِ فَمَا أَذْبَكَ الْهَجْرُ
وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَا نَ مِنْكَ الصَّفْحُ وَالسَّيْرُ
فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُ هُ وَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ
تَنَاوَلْتُكَ مِنْ شِعْرِي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ
فَحَرَّكَتَ جَنَاحَ الضَّرِّ لَمَّا مَسَّكَ الضَّرُّ
إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ أَمْ رَأَى أَصْلَحَهُ الشَّرُّ

وقال الرضی رحمہ اللہ :

سَامَضْعُ بِالْأَقْوَالِ أَعْرَاضُ قَوْمِكُمْ وَلِلْقَوْلِ أُنْيَابٌ لَدَى حِدَادٍ^(۱)
يُرَى لِلْقَوَافِي وَالسَّمَاءِ جَلِيَّةٌ عَلَيْكُمْ بِرُوقٍ بَحَّةٌ وَرِعَادُ
وقال أيضا :

كَمَتُ لِسَانِي أَنْ يَقُولَ وَإِنْ يَقُلْ فَعَلَّ فِي الْجِرَازِ الْعَضْبُ إِنْ فَارَقَ النِّمْدَا^(۲)
وَإِنْ بِرُوداً لِلْمَخَازِي مَمْدَّةٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْ ذَا الْحَيِّ أَسْحَبَتْهُ بُرْدَا
قَلَانِدٌ فِي الْأَعْنَاقِ بِالْعَارِ لَا تَهِي عَلَى مَرٍّ أَبْيَامَ الزَّمَانِ وَلَا تَصْدَا
إِذَا صَلَّصْتَ بَيْنَ الْقَنَا قَضَتْ الْقَنَا وَأَنْ زَفَرَتْ فِي السَّرْدِ قَطَعْتَ السَّرْدَا^(۳)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



(۱) دیوانہ : ۳۱۲

(۲) دیوانہ ۱ : ۳۰۹ کمت : شدت . والجراز العضب : السیف القاطع .

(۳) صلصت : صوتت . والسرد : الدروع

الأفضل :

إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقًّا ، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقًّا ، فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ .



الْبَنِيخ :

أَمَّا صَدْرُ الْكَلَامِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ ^(١) .

[طرائف حول الأسماء والكنى]

وأما تعاليم الوالد الولد القرآن والأدب فأمور به ، وكذلك القول في تسميته باسم حسن ؛ وقد جاء في الحديث : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن . وأصدقها حارث وهمام . وأقبحها حرب ومرة » .

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » .

وقال عليه السلام : « إذا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا » أى سَمُّوا بَنِيكُمْ عَبْدَ اللَّهِ ونَحْوَهُ مِنْ أَسْمَاءِ
الإِضَافَةِ إِلَيْهِ عَزَّ اسْمُهُ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يَغَيِّرُ - بَعْضَ الْأَسْمَاءِ ، سَمَّى أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللَّهِ ،
وكان اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ الْكَعْبَةِ ، وَسَمَّى ابْنَ عَوْفٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَكان اسْمُهُ عَبْدُ
الْحَارِثِ ، وَسَمَّى شُعْبَ الضَّلَّالَةَ شُعْبَ الْهَدَى ، وَسَمَّى يَثْرِبَ طَيْبَةَ ، وَسَمَّى بَنِي الرَّيْبَةِ بَنِي
الرُّشْدَةِ ، وَبَنِي مَعَاوِيَةَ بَنِي مُرْشِدَةٍ .

كان سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بْنُ حَزْنٍ الْحِزْوِيُّ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، أَتَى جَدَّهُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : حَزْنٌ ؛ قَالَ : لَا ، بَلْ أَنْتَ
سَهْلٌ ، فَقَالَ : لَا ، بَلْ أَنَا حَزْنٌ ، عَاوَدَهُ فِيهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : لَا أَحِبُّ هَذَا الْأِسْمَ
السَّهْلُ يَوْطَأُ وَيُمْتَمَنُ ، فَقَالَ : فَأَنْتَ حَزْنٌ ، فَكَانَ سَعِيدُ يَقُولُ : فَأَزَلْتُ أَعْرِفُ
تِلْكَ الْحِزْوَةَ فِينَا .

وروى جابر عنه عليه السلام : « ما من بيت نبيٍّ أَحَدٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ إِلَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ الرِّزْقَ
فَإِذَا سَمَّيْتُمُوهُمْ بِهِ فَلَا تَصْرَبُوهُمْ وَلَا تَشْتُمُوهُمْ ، وَمَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةٌ ذَكَورٍ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدَهُمْ
أَحَدًا أَوْ مُحَمَّدًا فَقَدْ جَفَانِي » .

أبو هريرة عنه عليه السلام ، أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ لِأَحَدٍ .
وروى أَنَّهُ أَذِنَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ ، فَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ
مُحَمَّدًا ، وَكُنَّاهُ أَبَا الْقَاسِمِ .

وقد رُوِيَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ جُمِعَ لَهُمْ بَيْنَ الْأِسْمِ وَالْكُنْيَةِ .
وقال الزُّنْجُشَرِيُّ : قَدْ قَدَّمَ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ رِجَالًا بِحُسْنِ أَسْمَائِهِمْ ، وَأَقْصَوْا
قَوْمًا لِسُنَاعَةِ أَسْمَائِهِمْ ، وَتَعَلَّقَ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ بِذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ .

وفي رسالة الجاحظ إلى أبي الفرج نجاح بن سلمة : قد أظهر الله في أسمائكم وأسماء آبائكم وكنائكم وكفى أجدادكم من برهان القائل الحسن ، ونفى طيرة السوء ، ما جمع لكم صنوف الأمل ، وصرف إليكم وجوه الدواب ، فاسمائوكم وكنائكم بين فرج ونجاح ، وسلامة وفضل ، ووجوهكم وأخلاقكم وفق أعرافكم وأفعالكم ، فلم يضرب التفاوت فيكم بنصيب .

أراد عمر الاستعانة برجل ! فسأله عن اسمه واسم أبيه ، فقال : سراق بن ظالم ، فقال : تسرق أنت وبظلم أبوك ! فلم يستمن به .
سأل رجل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : بحر ؛ قال : أبو من ؟ قال : أبو الفيض ؛ قال : ابن من ؟ قال : ابن القرات ، قال : ما ينبغي لصديقك أن يلقاك إلا في زورق .
وكان بعض الأعراب اسمه وثاب ، وله كلب اسمه عمرو ، فهجاه أعرابي آخر فقال :

ولو هيا له الله من التوفيق أسبابا
لسمى نفسه عمراً وسمى الكلب وثابا

قالوا : وكلما كان الاسم غريباً كان أشهر لصاحبه . أمنع من تعلق الثوب ^(١) به قال رؤبة :

قد رفع العجاج ذكرى فادعني باسمي إذا الأسماء طالت تكفيني
ومن ها هنا أخذ المعري قوله يمدح الرضى والمرضى رحمهما الله :
أنتم ذوو النسب القصير فطوئكم باد على الكبراء والأشراف ^(٢)
والزاح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأبي عن الأسماء والأوصاف

وسأل النّسابة البكرى رؤية عن نسبه ولم يكن يعرفه ، قال : أنا ابن العجاج ،
قال : قصرت وعرفت .

صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر : يا أبا الفضل ! قيل : ليست كنيته ، قال : وإن
لم تكن كنيته فإنها صفتة . نظر عمرُ إلى جارية له سوداء تبكي فقال : ما شأنك ؟
قالت : ضربني ابنك أبو عيسى ، قال : أوقد تكفي بأبي عيسى ! على به ، فأحضروه ،
فقال : وثمك ! أكان لعيسى أب فتكفي به ! أتدري ما كفي العرب ! أبو سلمة ،
أبو عرقطة ، أبو طلحة ، أبو حنظلة ، ثم أدبه .

لما أقبل قحطبة بن شبيب نحو ابن هيرة أراد ابن هيرة أن يكتب إلى
مروان يخبره ، وكره أن يسميه ، فقال : اقلبوا اسمه ، فوجدوه هبط حق ، فقال :
دعوه على هيئته .

قال برصوما الزامر لأمه : وثمك ! أما وجدت لي اسماً تسعيني به غير هذا ! قالت :
لو علمت أنك تجالس الخلفاء والملوك سميتك يزيد بن مزيد .

قيل لبعض صبيان الأعراب : ما اسمك ؟ قال : قراد ، قيل : لقد ضيق أبوك
عليك الاسم ، قال : إن ضيق الاسم لقد أوسع الكنية ، قال : ما كنييتك ؟
قال : أبو الصخاري .

نظر المأمون إلى غلام حسن الوجه في الموكب ، فقال له : يا غلام ، ما اسمك ؟ قال :
لا أدري ، قال : أو يكون أحد لا يعرف اسمه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، اسمي الذي
أعرف به « لا أدري » ؛ فقال المأمون :

وُسِّيتَ لا أدري لأنك لا تدري بما فعل الحبُّ المبرِّح في صدري

ولد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولد ذكر ، فبُشِّر به وهو عند معاوية

ابن أبي سفيان ، فقال له معاوية : سمَّه باسمي ولت خمسة ألاف درهم ؛ فسمَّاه معاوية ،
فدفعها إليه ، وقال اشتر بها لِسَمِي ضَيْعَةً .

ومن حديث علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله : « إذا سمعتم الولد محمدا
فأكرموه ، وأوسعوا له في المجلس ، ولا تقبحوا له وجهه » .

وعنه صلى الله عليه وآله : « ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم عليها من اسمه محمد أو أحد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم ؛ وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحد إلا قدس ذلك المنزل في كل يوم مرتين » .

من أبيات المعاني :

وَحَلَّتْ مِنْ مَضَرٍ بِأَمْنٍ ذُرْوَةً ۖ

قالوا : يريد بالشوك أخواله ، وهم قتادة وطلحة وعوسجة ، وبالأحجار أعمامه ، وهم صفوان وفهز وجندل وصخر وجروئل .

سمى عبد الملك ابناً له الحجاج حبه الحجاج بن يوسف وقال فيه :

سميته الحجاج بالحجاج الناصح المكاشف المداخي

استأذن الجاحظ والشكك. وهو من المتكلمين. على رئيس، فقال الخادم مولاه:

الجاحد والشكّاء ، فقال : هذان من الزّنادقة لا بحالة ! فصاح الجاحظ : وعليك ! ارجع
قل : الخدق باليساب - وبه كان يعرف - فقال الخادم : الحقّ باليساب ، فصاح الجاحظ
وبلّك ! ارجع إلى الجاحد .

جمع ابنُ دُرَيْدٍ ثمانية أسماء، في بيتٍ واحدٍ فقال :

فهم أخو الجاني ومستنبط الندي وممنوع الكروب وممنوع الألبث^(١)

...the

قال محمد بن صدقة المقرئ لميوت بن المزرع: صدق الله فيك اسمك ! فقال له: أحوَجَك الله إلى اسم أبيك .

سأل رجلٌ أبا عبيدة عن اسم رجلٍ من العرب ، فلم يَعْرِفه ، فقال : كَيْسَانُ غلامُه : أنا أعْرِفُ الناسَ به ، هو خِراش أو خِداش أو رِياش^(١) أو شَيْءٌ آخر ، فقال أبو عبيدة : ما أحسنَ ما عرفتُه يا كَيْسَان ! قال : إِي والله ، وهو قرشيٌّ ابِصا ، قال : وما يدُرُّ بك به ؟ قال : أما ترى كيف احتوشته الشينات من كلِّ جانب ! قال الفرزدق :

وقد تَلْتَقِي الأسماءُ في الناسِ والكنى كثيرا ولكن مُيِّزُوا في الخلائقِ^(٢)

رَأَى الإسكندرُ في عسكره رجلا لا يزالُ يَنْهَزِمُ في الحربِ ، فسأله عن اسمه ؟ فقال : اسمي الإسكندر ، فقال : يا هذا ، إِمَّا أَنْ تَغَيِّرَ اسمَكَ ، وأما أَنْ تَغَيِّرَ فِعْلَكَ .

قال شيخنا أبو عثمان : لَوْلَا أَنَّ القُدَمَاءَ مِنَ الشُّعْرَاءِ سَمَّيْتُ المُلُوكَ وَكَنَّيْتُهَا في أشعارِها ، وأجازَتْ واصطَلَحَتْ عَلَيْهِ ما كانَ جزاءُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا العُقُوبَةُ ؛ عَلَى أَنَّ مَلُوكَ بَنِي سَامَانَ لَمْ يُكَنَّها أَحَدٌ مِنْ رعاياها قَطَّ ، وَلَا سَمَّاهَا في شعرٍ وَلَا خُطْبَةٍ ، وَإِنَّمَا حَدَّثَ هَذَا في مَلُوكِ الحِيرةِ . وَكَانَتْ الجُفَاءُ مِنَ العَرَبِ لِسوءِ أَدْبِها وَغِلْظِ تَرْكِيبِها إِذَا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاطَبُوهُ بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ ، فَأَمَّا أَصْحَابُهُ فَكَانَتْ مَخَاطِبُهُمْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَقَالَ لِلْمَلِكِ في المَخَاطِبَةِ : يَا خَلِيفَةَ اللهِ ، وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَيَنْبَغِي لِلدَّاخِلِ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَتَلَطَّفَ في مِرْاعَةِ الأَدَبِ ، كَمَا حَكَّى سَعِيدُ بْنُ مُرَّةَ الكَنْدِيُّ ، دَخَلَ عَلَى معاويةَ فَقَالَ : أَنْتَ سَعِيدُ ؟ فَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّعِيدُ ، وَأَنَا ابْنُ مُرَّةَ . وَقَالَ المَأْمُونُ لِلسَّيِّدِ بْنِ أَنَسٍ الأَزْدِيِّ : أَنْتَ السَّيِّدُ ؟ فَقَالَ : أَنْتَ السَّيِّدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا ابْنُ أَنَسٍ .

(١) ب : « دلس » . (٢) ذيواته ٥٧٨ ، وروايته : « ولكن لا تلاق الخلائق » .

شاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا عِلَامَةٌ مَنَارٌ وَمِنْ خَيْرِ النَّارِ ارْتِفَاعُهَا
كَانَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَخَاطَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « يَا نَبِيَّ اللَّهِ » بِالْهَمْزَةِ ،
فَأَنكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : « لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ » .

وكان البهتري إذا ذكر الخشعي الشاعر يقول : ذاك الفث العمى .
وكان صاحب ربيع يتشيع ، فارتفع إليه خنيمان : اسم أحدهما علي ، والآخر
معاوية ، فأنحنى على معاوية فضر به مائة سوط من غير أن اتجهت عليه حجة ، ففطن من
أين أتى ! فقال : أصلحك الله ! سُرَّ خَصْمِي عَنْ كُنْيَتِهِ ، فإذا هو أبو عبد الرحمن -
وكانت كنية معاوية بن أبي سفيان - فبطاحه وضر به مائة سوط ، فقال لصاحبه : ما أخذته
مَنَى بِالْأَسْمِ اسْتَرْجَعْتُهُ مِنْكَ بِالْكُنْيَةِ . مركز تحقيقات کامپوٹر علوم اسلامی

الأصل :

الْعَيْنُ حَقٌّ ، وَالرُّشْقُ حَقٌّ ، وَالسَّحَرُ حَقٌّ ، وَالْفَالُ حَقٌّ . وَالطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ،
وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ . وَالطَّيْبُ نُشْرَةٌ ، وَالْعَسَلُ نُشْرَةٌ ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ ^(١) ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ .



الشرح :

ويروى : « والفعل نُشْرَةٌ » بالعين المعجمة ، أى التطهير بالماء .

مركز تحقيق كتب التراث الإسلامي

[أقوال في العين والسحر والفأل والعدوى والطيرة]

وقد جاء في الحديث المرفوع : « العينُ حقٌ ، ولو كان شيءٌ يسبقُ القدرَ لسبقته
العين ، وإذا استفسستم فاغسلوا » ؛ قالوا في تفسيره : إنهم كانوا يطلبون من العائن أن
يتوضأ بماء ثم يسقى منه العين ^(٢) ويفتسل بسائره .

وفي حديث عائشة : « العين حق كما أن محمد حق » .

والحكمة في تعليل ذلك قول لا بأس به ، قالوا : هذا عائدٌ إلى نفس العائن ،
وذلك لأنَّ الهيولى مُطِيعَةٌ لِلْأَنْفُسِ ، متأثرةٌ بها ؛ ألا ترى أنَّ نفوسَ الأفلاك تؤثرُ
فيها بتعاقبِ الصورِ عليها ! والنفوس البشرية من جواهر نفوس الأفلاك ، وشديدة
الشك بها ؛ إلا أنَّ نسبتها إليهم نسبة السراج إلى الشمس ، فإدبت عامةُ الفاعل ، بل
تأثيرها في أغلبِ الأمر في بدنها خاصة ، ولهذا يحكى مزاجُ الإنسان عند الغضب ،

(٢) العين : العيون ، أى تصاب بالعين

(١) النشرة : كالعوذة والرقية .

يستعدّ للجاء عند تصوّر النفس صورة المشوق ، فإذا قد صار تصوّر النفس مؤثراً فيما هو خارج عنها ؛ لأنها ليست حالة في البدن ، فلا يستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص بخلاف غيره من جواهر النفوس تؤثر في غير بدنها ، ولهذا يقال : إن قوماً من الهند يقتلون بالوهم ؛ والإصابة بالعين من هذا الباب ، وهو أن تستحسن النفس صورة مخصوصة وتمتجب منها ، وتكون تلك النفس خبيثة جداً ؛ فينفعل جسم تلك الصورة مطيعاً لتلك النفس كما ينفعل البدن للتسم .

وفي حديث أمّ سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في وجه جارية لها سعة^(١) ، فقال : « إن بها نظرة فاسترقوا لها » .

وقال عوف بن مالك الأشجعي : كنا نرفى في الجاهلية ، فقلت : يا رسول الله ، ما ترى في ذلك ؟ فقال : « اعرضوا على رؤسكم فلا بأس بالرؤى ما لم يكن فيها شرك » .
كان ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر ، فرأوا بحى من أحياء العرب ؛ فاستضافوهم فلم يضيفوهم وقالوا لهم : هل فيكم من راقٍ ، فإن سيد الحى لديغ ؟ فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه فرّقه بفاتحة الكتاب فبرئ ، فأعطى قطعاً من النعم ، فأبى أن يقبلها حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : وعيشك ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب ، فقال : « ما أدراك إنها رقية ! خذوا منهم ، واضربوا إلى معكم بسهم » .

وروى برّيدة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ذكرت عنده الطيرة : « من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

وعنه عليه السلام : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له » .

(١) السعة : قروح تخرج على رأس الصبي . واسترقوا : أي طلبوا من يرقىها .

أنس بن مالك يرفعه : « لا عدوى ولا طيرة ، وبُعِجَني الفأل الصالح » ؛ قالوا : فما
الفاأل الصالح ؟ قال : الكلمة الطيبة .

وعنه عليه السلام : « تَفَاءلُوا وَلَا تَطَيَّرُوا » .

وروى عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يتطير
من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه سرَّ به ، ورأى بشر ذلك
في وجهه ، وإن كره اسمه رُئيت الكراهة على وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها
فإن أعجبه ظهر على وجهه :

بنو عبيد الله بن زياد بالبصرة داراً عظيمة ، ففرت بها بعض الأعراب ، فرأى في
دهليزها صورة أسد و كلب وكبش ، فقال : أسد كالح ، وكبش ناطع ، و كلب ناجح ،
والله لا يجمعها ؛ فلم يلبث عبيد الله فيها إلا أياماً يسيرة .

أبو هريرة يرفعه : « إذا ظننتم فلا تُحققوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » .
وقال عليه السلام : « أحسنها الفأل ، ولا يرُدُّ قدراً ، ولكن إذا رأى أحدكم
ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ،
ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وقال بعض الشعراء :

لا يَـمْلِكُ لِمَرَّةٍ كَيْلًا مَا يُصَبِّحُهُ إِلَّا كَوَازِبُ مَا يَجْرِي بِهِ الْفَالُ
وَالْفَالُ وَالزَّجَرُ وَالْكُهْنَانُ كُلُّهُمْ مُضَلَّلُونَ وَدُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وعن النبي صلى الله عليه وآله : « القِيَافَةُ والطَّرِيقُ والطَّيْرَةُ من الخَبِيثِ » .

ابن عباس يرفعه : « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر » .

أبو هريرة يرفعه : « من أتى كاذباً فصدقه فيما يقول فقد بَرِئ مما أنزل الله على

أبي القاسم » .

شاعر :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصي ولا زاجرات الطير ما الله صانع^(١)
وقال آخر :

لا يقدرك عن بنا ، الخير تعقاد المزائم^(٢)
فلقد غدوت وكنت لا أغدو على راق وحائم
فاذا الأشائم كالآيا من الأيا من كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

تفاهل هشام بن عبد الملك بنصر بن سيار فقلده خراسان ، فبقى فيها عشر سنين .
وتفاهل عامر بن إسماعيل قاتل مروان بن محمد باسم رجل لقيته ، فسأله عن اسمه ،
فقال : منصور بن سعد ، قال : من أي العرب ؟ قال : من سعد العشيرة ، فأستصحبته
وطالب مروان فظفر به وقتله .

وتفاهل المأمون بمنصور بن بسم فكان سبب مكانته عنده .
قالوا : إنما أصل اليد اليسرى العسرى ؛ إلا أنهم أبدلوا اليسرى من اليسر تفاؤلا .
منزرد بن ضرار :

وإني امرؤ لا تقشعر ذؤابتي من الذئب يعوى والغراب المحجل
الكميت :

ولا أنا ممن يزجر الطير همة أصاح غراب أم تعرض ثعلب^(٣)
وقال بعض العرب : خرجت في طلب ناقة ضلت لي ، فسمعت قائلاً يقول :
ولئن بعثت لها بُفاة فما البغاة بواجدين^(٤)

(١) لبيد ، ديوانه ١٧٢ (٢) عيون الأخبار ١ : ١٤٥ ، ونسبها إلى الرقش .

(٣) الهاشميات ٣٦ . (٤) لبيد ، ديوانه ٣٢٣ .

فلم أتطير ومضيت لوجي ، فلقيني رجل قبيح الوجه به ماشئت من عاهة ؛ فلم أتطير
وتقدمت فلاحت لي أكمة ^(١) فسمعت منها صائحا :

* والشر يلقى مطاليع الأكرم *

فلم أكرث ولا اثنت وعلوتها ، فوجدت نافي قد تفاجت ^(٢) للولادة فتجتها ^(٣) ،
وعدت إلى منزلي بها ومعها ولدها .

وقيل لعل عليه السلام : لا تحاربهم اليوم فإن القمر في القرب ، فقال : قمرنا
أم قمرهم !

وروى عنه عليه السلام أنه كان يكره أن يسافر أو يتزوج في محاق ^(٤) الشهر، وإذا
كان القمر في القرب .

وروى أن ابن عباس قال على منبر البصرة : إن الكلاب من الجن وإن الجن من
ضمء الجن ؛ فإذا غشيكم منهم شيء فآلقوا إليه شيئا أو اطرده ، فإن لها أنفس سوء .

وقال أبو عثمان الجاحظ : كان علماء الفرس والهند وأطباء اليونانيين ودعاة العرب
وأهل التجربة من نازلة الأمصار وحذاق المتكلمين يكرهون الأكل بين يدي السباع
يخافون عيونها للذي فيها من التهم والشر ، ولما يتحل عند ذلك من أجوافها من البخار
الردى ، وينفصل من عيونها مما إذا خالط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده . وكانوا
يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم خوفا من أعينهم وشدة ملاحظتهم
إياهم ؛ وكانوا يأمرون بإشباعهم قبل أن يأكلوا ، وكانوا يقولون في الكلب والسنور
إما أن يطرده أو يشغل بما يطرح له .

(١) الأكمة : الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله ، وانظر عيون الأخبار ١ : ١٤٥ .

(٢) تفاجت : وسعت ما بين رجلها .

(٣) تجتها أي أولتها .

(٤) المحاق مشاة : آخر الشهر أو ثلاث أيام من من آخره ، أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا
عشية ، سمي محاقاً لأنه طلع مع الشمس فحفته .

وقالت الحكماء : نفوس السباع أردأ النفوس وأخبثها لفرط شرها وشرها ، قالوا :
وقد وجدنا الرجل يضرب الحية بعصا فيموت الضارب والحية ، لأن سم الحية فصل منها
حتى خالط أحشاء الضارب وقلبه ، ونفذ في مسام جسده .

وقد يُدِيم الإنسان النظر إلى العين الحمراء فتعثرى عينه حُمرة ، والتثاؤب يُعِدِي
إعداء ظاهراً ، وبكره دنو الطامث من اللبث لتسوطه ، لأن لها رائحةً ومُخاراً يُفْسِدُ
اللبث المُسَوِّط^(١) .

وقال الأصمعي : رأيت رجلاً عَيوناً^(٢) كان يَدُسُّكَر عن نفسه أنه إذا أعجبه الشيء
وَجَدَ حرارةً تَمْرُج من عينه .

وقال أيضاً : كان عندنا عَيونان فَمَرَّ أَحَدُهُما بِحَوْضٍ مِنْ حِجَارَةٍ ؛ فَقَالَ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ
كَالْيَوْمِ حَوْضًا ! فَانْصَدَعَ فَلَقَتَيْنِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ الثَّانِي ، فَقَالَ : وَأَيُّكَ لَقَعْنَا ضُرْرَتَ أَهْلِكَ
فِيكَ ! فَتَطَايَرَ أَرْبَعٌ فَلَقَ .

وسمع آخر صوت بَوَلٍ مِنْ وَرَاءِ حِجَارٍ حَائِطٍ ، فَقَالَ : إِنَّكَ كَثِيرُ الشَّخْبِ ، فَقَالُوا :
هُوَ أَبْنُكَ ؛ فَقَالَ : أَوَهُ انْقَطَعَ ظَهْرُهُ ! فَخِيلَ : لَا بَأْسَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : وَاللَّهِ
لَا يَبُولُ بَعْدَهَا أَبَدًا ، فَمَا بَالُ حَتَّى مَاتَ .

وسمع آخر صوت شَخْبٍ نَاقَةٍ بِمَوْتِهِ فَاعْجَبَهُ ، فَقَالَ : أَيَّتَهُنَّ هَذِهِ ، فَوَرَّوْا بِأُخْرَى
عَنْهَا ، فَهَلَكْنَا جَمِيعًا ، الْمَوْرَى بِهَا وَالْمَوْرَى عَنْهَا .

قال رجل من خاصة المنصور له قَبْسِلٌ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا مُسْلِمٍ يَوْمَ وَاحِدٍ : إِنْ رَأَيْتُ
الْيَوْمَ لِأَبِي مُسْلِمٍ ثَلَاثًا تَغَايَرَتْ لَهُ مِنْهَا . قَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : رَكْبٌ فَوَقَعَتْ قَلَنْسَوْتُهُ

(١) الضامت : الحائض . والمُسَوِّط : المخلوط .

(٢) العيون : الشديد الإصابة بالعين .

عن رأسه ، فقال المنصور : الله أكبر ! تبعها والله رأسه ، فقال : وكبا به فرسه ، فقال :
الله أكبر ! كبا والله جده ، وأصلد زنده ، فما الثالثة ؟ قال : أنه قال لأصحابه : أنا
مقتول ، وإنما أخادع نفسي ، وإذا رجلٌ يُنادي آخر من الصحراء : اليوم آخر
الأجل يا فلان . فقال : الله أكبر ! انقضى أجله إن شاء الله ؛ وانقطع من الدنيا أثره .
فقتل في غدٍ ذلك اليوم .

تجهز النابتةُ الديباني للغزو - واسمه زياد بن عمرو - مع زبّان بن سيار الفزاري - فلما
أراد الرحيل سقطت عليه جرادةٌ فتطير ، وقال : ذات لَوْنين تجرد ، غرّى من خرج ،
فأقام ولم ياتفت زبّان إلى طيرانه ، فذهب ورجع غانماً ، فقال :

تطير طيرةً يوماً زياداً لتخبره وما فيها خبير^(١)
أقام كأن لقمان بن عادٍ أشار له بحكمته مُشيرُ
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو القبورُ
بلى شيء يوافق بعض شيء أسايناً وباطلاً كثيرُ

حضر عمر بن الخطاب الموسم ، فصاح به صائح : يا خليفة رسول الله ، فقال رجل
من بني لهب : وهم أهل عيافة وزجر : دعاه باسم ميت : مات والله أمير المؤمنين عليه السلام ،
فلما وقف الناس للجوار إذا حصاةٌ صكت صلّة عمر ، فأدعى منها ، فقال ذلك القائل : أشعر
والله أمير المؤمنين ، لا والله ما يقف هذا الموقف أبداً ، فقتل عمر قبل أن يحول الحول ،
وقال كثير بن عبد الرحمن :

تيممت لهبا أبتغي العلم عندها وقد صار علم العائنين إلى لهب^(٢)

(١) الحيوان ٣ : ٤٤٧ .

(٢) عيون الأخبار ١ : ١٤٩ .

كان للعرب كاهنان اسم أحدهما شيق ، وكان نصف إنسان ، واسم الآخر
سطيع ، وكان يطوى طى الحصير ، ويتكلمان بكل أمجوبة في الكهانة ، فقال
ابن الرومي .

لك رأى كأنه رأى شيق وسطيع قريمي الكهان
يستشف القيوب عما توارى بيون جليلة الإنسان

وقال أبو عثمان الجاحظ : كان مسيلة قبل أن يتنبأ يدور في الأسواق التي كانت
بين دور العرب والعجم كسوق الأبله وسوق بقه وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتبس
تعل الحيل والتبرنجيات واحتيالات أصحاب الرقى والعزائم والنجوم ، وقد كان أحكم علم
الحزاة وأصحاب الزجر والخط ، فعمد إلى بيضة فصب إليها خلأ حاذقا قاطعا ، فلانت ،
حتى إذا مدّها الإنسان استطالت ودقت كالملك ، ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها
حتى انضمت واستدارت وجمدت ، فعادت كهبتها الأولى ، فأخرجها إلى قوم وهم أعراب
واستفواهم بها ، وفيه قيل :

بيضة قارور وراية شادين وتوصيل مقطوع من الطير حاذق

قالوا : أراد براية الشادين التي يصلها الصبي من القيرطاس الرقيق ، ويعمل لها ذبا
وجناحين ويرسأها يوم الرّيح بخيط طويل .

كان مسيلة يعمل رايات من هذا الجنس ، ويعلق فيها الجلاجل ، ويرسأها ليلا
في شدة الريح ، ويقول : هذه الملائكة تنزل على ، وهذه خشخشة الملائكة وزجأها ،
وكان يصل جناح الطير المقصوص بريش معه فيطير ويستفوي به الأعراب .
شاعر في الطيرة :

وأمنع اليا سمين الغص من حذري عليك إذ قيل لي نصف اسمه ياس
وقال آخر :

أهدت إليه سفر جلا فتطيرا منه وظل مفكرا مستعبرا^(١)
خوف العراق لأن شطر هجائه سفر وحق له بأن يتطيرا
وقال آخر :

يا ذا الذي أهدى لنا سوسنا ما كنت في إهدائه محسنا
نصف اسمه سو قد ساءني ياليت أني لم أر السوسنا
ومثله :

لا تراني طـ سوال ده رى أهوى الشقائق
إن يكن بـ شـ الخلدو در نصف اسمه شقا
وكانوا يتفادون بالأس للدوامه ، ويتطايرون من الترجس لسرعة أفضائه ،
ويسمونه الغدار .

وقال العباس بن الأحنف :

إن الذي سمالك يامني بالترجس الغدار ما أنصفا
لو أنه سمالك بالأسه وفيت إن الأس أهل الوفا
خرج كثير يريد عزة ومعه صاحب له من هه ، فرأى غرابا ساقطا فوق بانه
ينف ريشه ، فقال له النهدي : إن صدق الطير فقد ماتت عزة ، فوافى أهلها وقد أخرجوا
جنازتها ، فقال :

وما أعيف النهدي لا در دره وأزجره للطير لا عز ناصره^(٢)
رأيت غرابا ساقطا فوق بانه ينف أعلى ريشه وبطيرة

قال غرابٌ لا غرابٍ ، وبانةٌ لبين ، وقد من حبيبٌ نعاشرُ

وقال الشاعر :

وسمّيته يحيى ليحيا ولم يكن إلى ردِّ حكم الله فيه سبيلُ
تيمّنت فيه الفأل حين رزقته ولم أدر أن الفأل فيسه يفيْلُ

فأما القول في السّحر فإن الفقهاء يثبتونه ويقولون : فيه القوّد ، وقد جاء في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله سحره لبيد بن أعمس اليهودي حتى كان يُحْتَل إليه أنه عمل الشيء ولم يعمله .

وروى أن امرأة من يهود سحرته بشير وقصاص ظفر وجمّات السحر في بئر ، وأن الله تعالى دله على ذلك ، فبعث علياً عليه السلام فاستخرج به وقتل المرأة .

وقومٌ من المتكلمين ينفون هذا عنه عليه السلام ، ويقولون : إنه معصوم

من مثله .

والفلاسفة تزعم أن السّحر من آثار النفس الناطقة ، وأنه لا يعمد أن يكون في النفوس نفس تؤثر في غير بدنها الرض والحب والبغض ، ونحو ذلك ، وأصحاب الكواكب يعملون للسكواكب في ذلك تأثيراً ، وأصحاب خواص الأحجار والنبات وغيرها يسندون ذلك إلى الخواص ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام دال على تصحيح ما يدعى من السّحر .

وأما العدو فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا عدوى في الإسلام » . وقال من قال : أعدى بعضها بعضاً - يعني الإبل : « فمن أعدى الأول ؟ » وقال : « لا عدوى ولا هامة ولا صنقر » ، فالعدوى معروفة ، والهامة : ما كانت العرب تزعمه في المقتول

لا يؤخذ بثأره ، والصَّفر : ما كانت العرب تزرعه من الحبة في البطن تفض عند الجوع .

[نسكت في مذاهب العرب وتخيلاتها]

وسندكرها هنا نكتاً ممتعة من مذاهب العرب وتخيلاتها ، لأن الموضع قد ساقنا إليه ، أنشد هشام بن الكلبي لأمية بن أبي الصلت :

سنة أزيمة تبرح بالناس من ترى للعضاء فيها صريرا^(١)
لا على كوكب تنوء ولا يري^(٢) ح جنوب ولا ترى طحورورا^(٣)
ويستقون باقر السهل للطور د مهازيل خشية أن تنورا
عاقدين النيران في نكح الأذر^(٤) باب منها لكي تهيج البحورا
سَلْع ما ومشله عشر ما طيل ما وعالت البيقورا

يروى أن عيسى بن عمر قال : ما أدري معنى هذا البيت ! ويقال : إن الأصمعي صحف فيه ، فقال : « وعالت البيقورا » بالعين المعجمة ، وفسره غيره فقال : عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر ، والبيقور : البقر . وعالت : غالب ، أو أثقل . وكانت العرب إذا أجذبته وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السلع والعشر فزموها وعقدوها في أذنان البقر ، وأضرموا فيها النيران ، وأصعدوها في جبل وعير ، واتبعوها يدعون الله ويستسقونه ؛ وإنما يضرمون النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق بالنار ، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات . وقال أعرابي :

شفعنا ببيقور إلى هاتل الحيا فلم ينعنا ذاك بل زادنا جدبا
فعدنا إلى رب الحيا فأجارنا وصير جذب الأرض من عنده خصبنا

(١) شعراء النصرانية ٢٣٥ ، في وصفة وجماعة . (٢) الطحورور : القطع من السحاب .

وقال آخر :

قُلْ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَصْحَابِ الْخُورِ : أَتَطْلُبُونَ الْغَيْثَ جَهْلًا بِالْبَقَرِ !
وسَلِعَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَعُشْرُ لَيْسَ بِذَا يُجَالِلُ الْأَرْضَ الْمَطَرُ
ويمكن أن يُحْمَلَ تفسِيرُ الْأَصْمَى عَلَى مَحَلِّ مَحْبُوعٍ ، فيقال : غَالَتْ بِمَعْنَى أَهْلَكَ ،
يقال : غَالَهُ كَذَا وَاغْتَالَهُ أَيْ أَهْلَكَ ، وَغَالَتْهُمْ غُولٌ ؛ بِمَعْنَى الْمُنِيَّةِ ، وَمِنْهُ الْغَنَظُ
غُولُ الْحَلَمِ

وقال آخر :

لَمَّا كَسَوْنَا الْأَرْضَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ بِالسَّلْعِ الْمَقْقُودِ فِيهَا وَالْعُشْرِ

وقال آخر :

يَا كُحْلُ قَدْ أَثْقَلْتَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ بِالسَّلْعِ يَعْقِدُ فِيهَا وَعُشْرُ

* فَهَلْ تَجُودِينَ بَبْرَقٍ وَمَطَرِ *

وقال آخر يعيب العربَ بفعالهم هذا :

لَا دَرَّ دَرَّ رِجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمِطِرُونَ لَدَى الْإِعْسَارِ بِالْعُشْرِ

أَجَاعِلُ أَنْتَ يَقُورًا مَسْلَعَةً ذَرِيمةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

وقال بعضُ الْأَذْكِيَاءِ : كُلُّ أُمَّةٍ قَدْ تَحَذُّوْا فِي مَذَاهِبِهَا مَذَاهِبَ مِلَّةٍ أُخْرَى ، وَقَدْ
كَانَتْ الْهِنْدُ تَزْعُمُ أَنَّ الْبَقَرَ مَلَائِكَةٌ ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهَا فَجَعَلَهَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ لَهَا
عِنْدَهُ حَرَمَةً ، وَكَانُوا يُطْعَمُونَ الْأَبْدَانَ بِأَخْشَافِهَا ^(١) ، وَيَفْسِلُونَ الْوُجُوهُ بَبْرَاقِهَا وَيَجْعَلُونَهَا
مُهِوْرَ نِسَائِهِمْ ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ ، فَاعْلَمْ أَوَائِلَ الْعَرَبِ حَذَاؤَ هَذَا الْحَذَا ،
وَاتَّبَعُوا هَذَا الْمَسْلَكَ .

(١) الْأَخْشَاءُ : جَمْعُ خَنْةٍ ؛ وَهِيَ الدَّمْعَةُ الْمَلِيَّةُ .

والعرب في البقر خيال آخر ، وذلك أنهم إذا أوردوها فلم تردّ ضربوا الثور ليقتحم الماء ، فتقتحم البقر بعده ، ويقولون : إن الجن تصدّ البقر عن الماء ، وإن الشيطان يركب قرني الثور ، وقال قائلهم :

إني وقتلي سئيكاً حين أغلقه كالثور يضرب لما عافت البقر^(١)
وقال نهشل بن حري :

كذلك الثور يضرب بالهرأوى إذا ما عافت البقر الظماء
وقال آخر :

كالثور يضرب للورد إذا تمتع البقر
فإن كان ليس إلا هذا فاليس ذلك بعيب من البقر ولا يمتدح من مذاهب العرب :
لأنه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورد حتى يردّ الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطريق أو دخول الدور والأخبية حتى يتقدمها الكباش أو الدّيس ، وكانحل تتبع اليمسوب ، والكراكي تتبع أميرها ، ولكن الذي تدلّ عليه أشعارها أن الثور يردّ ويشرب ولا يمتنع ، ولكن البقر تمتنع وتعاقد الماء وقد رأت الثور يشرب ، فحينئذ يضرب الثور مع إجابته إلى الورد فنشرب البقر عند شربه ، وهذا هو العجيب ، قال الشاعر :

فإني إذن كالثور يضرب جنبه إذا لم يعف شرباً وعافت صواحيبه
وقال آخر :

فلا تجعلوني كالبقير وفحلها يكسر ضرباً وهو للورد طائع
وما ذنبه إن لم يرد بقراته وقد فاجأها عند ذاك الشرائع

(١) للسليك بن السلكة ، والبيت من شواهد ابن عقيل ٢ : ٢٨٢ .

وقال الأعشى :

لِكَالْتُّورِ وَالْجَنَى يُضْرَبُ وَجْهُهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَاقَتْ الْمَاءَ مَشْرَبًا ^(١)
 وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَاقَتْ الْمَاءَ بِاقِرٍّ وَمَا أَنْ يَعَاقُ الْمَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا
 قالوا في تفسيره : لما كان أمتاعها يتعقبه الضرب ، حسن أن يقال : عاقَتْ الماء
 لَتُضْرَبَ ، وهذه اللام هي لام العاقبة ، كقوله : «لِدُوا لِمَوْتِ» ، وعلى هذا فسر أصحابنا
 قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ ^(٢) .

ومن مذاهب العرب أيضا تعليق الحلَى والجلَاجِلِ على اللدِيعِ بِرَوْنِ أَنَّهُ يُفِيْقُ بِذَلِكَ ،
 ويقال : إنه إنما يعلق عليه لأنهم بِرَوْنِ [أَنَّهُ] إِنْ نَامَ بِسَرَى السِّمِّ فِيهِ فَيَهْلِكُ ، فَشَغَلُوهُ
 بِالْحَلَى وَالْجَلَالِ وَأَصْوَاتِهَا عَنِ النَّوْمِ ، وهذا قول النضر بن شميل ، وبعضهم يقول :
 إنه إذا عُلِقَ عليه حلَى الذهب برأ ، وإن عُلِقَ الرصاص أو حلَى الرصاص مات .
 وقيل لبعض الأعراب : أتريدون شهرة ؟ فقال : إن الحلَى لا تُشهر ، ولكنها
 سُنَّةٌ وَرِثَانَا .

وقال النابغة :

فَبِتَ كَأَنِّي سَاوَرْتُ ضَيْسَلَةَ مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السِّمُّ نَاقِعٌ ^(٣)
 يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ الثَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
 وقال بعض بني عُذْرَةَ :

كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالَهُ كَلِمُ حَيَّةٍ تَرَى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مَوْضِعًا

(٢) سورة الأعراف ١٧٩

(١) ديوانه ٩٠ .

(٣) ديوانه ٥١ .

وقال آخر :

وقد عللوا بالبطل في كل موضع
وقال جميل وظرف في قوله ، ولو قاله المباس بن الأحنف لكان ظريفا !
إذا ما لَدَيْغٍ أبرأ الحلى داءه فحَلَيْكَ أَمْسَى بِأُبَيْثِنَّةٍ دَائِيَا (١)
وقال عويمر النّبّهاني وهو يؤكّد قول النضر بن شميل :
فبتّ مُعْنَى بالهموم كأنّني سليمٌ نَفَى عنه الرّقادَ الجلاجِلُ
ومثله قول الآخر :

كأنّني سليمٌ مَهْدُ الحلى عِنْتَهُ فراقب من ليل التمام الكواكبَا
ويشبه مذهبهم في ضرب الثور مذهبهم في العرّ بصيد الإبل فيكوى الصحيح
ليبراً السقيم . وقال النابغة *منزلة تحقيق كميتر علوم ردي*
وكلفتنِي ذنبَ أَمْرِي وتركته كذِي العرّ يكوى غيره وهو رابع (٢)
وقال بعض الأعراب :

كمن يكوى الصّحاح يرومُ بُرّاً به من كلّ جرّاء الإهاب
وهذا البيت يُبطل رواية من روى بيت النابغة « كذِي العرّ » بضم العين ، لأنّ العرّ
بالضم قرّح في مشافر الإبل غيرُ الجرب ، والعرّ بالفتح الجرب نفسه ، فإذا دلّ
الشعر على أنّه يكوى الصحيح ليبراً الأجرب فالواجب أن يكون بيت النابغة
« كذِي العرّ » بالفتح .

ومثل هذا البيت قول الآخر :

فالزمتني ذنباً وغيري جرّه حنانيك لا يكوى الصحيح بأجرها
إلا أن يكون إطلاق لفظ الجرب على هذا المرض الخصوص من باب المجاز لمشايعته له .

ومن تخيلات العرب ومذاهبها أنهم كانوا يفتقون عين الفحل من الإبل إذا بلغت ألفاً ، كأنهم يدفعون العين عنها ، قال الشاعر :

فَقَأْنَا عِيونَنَا مِنْ فُحُولِ بَهْلَزِيرٍ وَأَنْتُمْ بَرَعَى الْبُهُمِ أَوْلَى وَأَجْدَرُ
وقال آخر :

وَهَبْتَهَا وَكُنْتَ ذَا امْتِنَانٍ تَفَقَّأَ فِيهَا أَعْيُنَ الْبُعْرَانِ
وقال الآخر :

أَعْطَيْتَهَا أَلْفًا وَلَمْ تَبْخَلْ بِهَا فَفَقَأَتْ عَيْنَ فُحِيلِهَا مُعْتَقَا
وقد ظن قوم أن بيت الفرزدق وهو :
غَلَبَتْكَ بِالْفَقَى وَالْمَعْنَى وَبَيْتُ الْحَتْبَى وَالْخَائِقَاتِ^(١)

من هذا الباب ، وليس الأمر على ذلك ، وإنما أراد بالفقى قوله لجرير :
ولست ولو فُقَأَتْ عَيْنُكَ وَاجِدًا أَخَا كَقَيْطٍ أَوْ أَبَا مِثْلٍ دَارِمٍ^(٢)
وأراد بالمعنى قوله لجرير أيضا :

وإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لَتُدْرِكَ دَارِمًا لِأَنْتَ الْمَعْنَى يَا جَرِيرُ الْمَكْلَفُ^(٣)
وأراد بقوله : « بيت الحتبي » قوله :
بَيْتُ زُرَّارَةَ مَخْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَبِحَاشِعِ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ^(٤)
وبيت الخائقات ، قوله :

وَمَعْصَبٍ بِالنَّجَاحِ يَحْقِقُ فَوْقَهُ خِرْقَى الْمَلُوكِ لَهُ تَخْيِيسٌ جَحْفَلُ^(٥)

(١) ديوانه ١٣١ . والحقائق : الرأيت . (٢) في شرح ديوانه : « أو أبا مثل نهشل » .

(٣) ديوانه ٤٣٦

(٤) ديوانه ٧١٥ ؛ وفي شرح الديوان . والحقائق يريد قوله :

وَأَيْنَ تَقْضَى الْمَالِسْكَانِ أُمُورَهَا بِحَقِّ وَأَيْنَ الْخَائِقَاتُ الْأَوَامِعُ

قال أبو الهيثم : « فخر الفرزدق في هذا البيت على جرير ؛ لأن العرب كانت إذا بلغ لأحدهم ألف بعير فقأ عين بعير منها ؛ فإذا تمت ألفان أعماه ؛ فافخر عليه بكثرة ماله » .

فأما مذهبهم في البليّة ، وهي ناقةٌ تُعقلُ عند القبر حتى تموت ، فذهبٌ مشهور ،
والبليّة أنهم إذا مات منهم كريمٌ بلّوا ناقةً أو بعيره ، ففكسوا عنقه ، وأداروا رأسها
إلى مؤخرها ، وتركوها في حفرة لا طعام ولا تسقى حتى تموت ، وربما أحرقت بعد
موتها ، وربما سليخت وملى جلدُها ثمنا . وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبلّ
عليه حشرٌ ماشيا ، ومن كانت له بليّة حشرٌ راكبا على بليته ، قال جرّية^(١) بن الأشيم
الفقسي لا بته :

يا سُدِّ إِمّا أَهْلِكُنْ فإني أوصيك إن أخوا الوصاة الأقربُ
لا أعرفن أباك يحشر خلقكم تعباً يُجرُّ على اليدين ويُكَبُّ
واحمل أباك على بعيرٍ صالحٍ وتقر الخطيئة إنه هو أصوبُ
ولعل لي مما جمعت مطيئة في الحشر أراكبها إذا قيل أركبوا
وقال جرّية أيضا :

إذا مت فادفني بجداء ما بها سيوى الأصرخين أو بفوترا كبُ
فإني أنت لم تعقر على مطيى فلا قام في مال لك الدهر جالبُ
ولا تدفني^(١) في صوى وأدْفِنْنِي بدّ يُمومَةٍ تنزوع عليها الجنادِبُ

وقد ذكرت في مجموعي المسمى « بالعنبري الحسان » أن أبا عبد الله الحسين بن محمد
ابن جعفر الخالغ رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأدبائها هذه الأبيات ، واستشهد
بها على ما كانوا يعتقدون في البليّة ، وقلت : إنه وهم في ذلك ، وإنه ليس في هذه
الأبيات دلالة على هذا المعنى ، ولا لها به تعلق ، وإنما هي وصية لولده أن يعقر مطيئة
بعد موته ؛ إمّا لسكّيلاً يركبها غيره بعده ، أو على هيئة القرّبان كالحديّ المعقور

بمكة ، أو كما كانوا يمشون عند القبور ، ومدّهم في العقر على القبور ، كقول زياد الأعجم في النذيرة بن المهدي :

إن السامح والمروءة ضمنا قسراً بمرّو على الطريق الواضح^(١)
فإذا مررت بقبره فاعقر به كرم الهجان وكل طرفٍ سابح^(٢)
وقال الآخر :

نفرت قلوصي عن حجارة حرّة بُنيت على طلق اليمين وهوب^(٣)
لا تنفري ياناق منه فإنه شريبٌ نحرٍ مسعرٍ لحروب
لولا السقار وبعْدُ خرقٍ منهم لتركها تحبو على العرقوب

ومذهبهم في العقر على القبور مشهور ، وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البليّة ، فإن ظنّ ظان أن قوله : « أو يفوز راكب » ، فيه إيماء إلى ذلك ، فليس الأمر كما ظنه ، ومعنى البيت ادفني بفلاة جداء مقطوعة عن الإنس ، ليس بها إلا الذئب والغراب ، أو أن يعتسف راكبها المغارة وهي المهلكة ، سموها مغارة على طريق الغال ، وقيل : إنها تسمى مغارة من فوز أي هلك ، فليس في هذا البيت ذكر البليّة ، ولكن الخالغ أخطأ في إيرادِه في هذا الباب ، كما أخطأ في هذا الباب أيضاً في إيرادِه قول مالك ابن الرّيب :

وعطل قلوصي في الرّكاب فإنها سُبُردٌ أكباداً وتبكي بواكياً^(٤)
فظنّ أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ، ولم يُرد الشاعر ذلك ، وإنما أراد

(١) الشعر والشعراء ٣٩٧

(٢) بعده في الشعر والشعراء :

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخاً دمٍ وذباح

(٣) من أبيات في رثاء ربيعة بن مكرم ، ننسب إلى ضرار بن الخطاب ، وتلصّب لحسان أيضاً ؛ وانظر

الأغاني ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (طبعة دار الكتب) . (٤) أمالي القالي ٣ : ١٣٨

لَا تَرَكْبُوا راحلتى بعدى ، وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصاديق ذاهبة جائية
تحت راكبها، فيشمت العدو ويساء الصديق ، وقد أخطأ الخالع في مواضع عدة من هذا
الكتاب ، وأورد أشعاراً في غير موضعها ، وظنّها مناسبة لما هو فيه ، فمنها ما ذكرناه ،
ومنها أنه ذكر مذهب العرب في الحلّى ووضع على اللديغ ، واستشهد عليه
بقول الشاعر :

يُلاقِي مَنْ تَذَكَّرَ آلَ ثَلِيٍّ كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ^(١)
ولا وجه لإيراد هذا البيت في هذا الموضع ، فالعِدَادُ مُعاوَدَةُ السِّمِّ الْمَسُوعِ في كل
سنة في الوقت الذي لدغ فيه ، وليس هذا من باب الحلّى بسبيل .
ومن ذلك إيراد قول الفرزدق « غَلَبْتُكَ بِالْمَفْقَى^(٢) » في باب فقّ عيون
الفحول ، إذا بلغت الإبل ألفاً ، وقد تقدّم شرحنا لموضع الوهم في ذلك . وسنذكر
هاهنا كثيراً من المواضع التي وهم فيها إن شاء الله .

وَمَا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ فِي الْبَلِيَّةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ .
أُبْنَى زَوْدَنِي إِذَا فَارَقْتَنِي فِي الْقَبْرِ راحلةً بِرَحْلِ قَاتِرٍ
لِلْبُعْثِ أَرَكْبُهَا إِذَا قِيلَ أَرَكْبُوا مُسْتَوْثِقِينَ مَعَ لَحْشَرِ الْخَاشِرِ
وَقَالَ عُوَيْمُ النَّبَهَانِيُّ :
أُبْنَى لَا تَنْسَى الْبَلِيَّةَ إِنَّهَا لِأَبْنَىكَ يَوْمَ نُشُورِهِ مَرَّ كَوْبٍ

(١) اللسان ٤ : ٢٢٤ . (٢) وهو قوله :
غَلَبْتُكَ بِالْمَفْقَى وَلَمَعْنَى وَيَتَرِ الْمَحْتَى وَالْخَافِقَاتِ

ومن تخيلات العرب ومذاهبها ما حكاه ابن الأعرابي قال : كانت العرب إذا نفرت الناقة فسئيت لها أمها سكنت من النفار ، قال الراجز :

أقول والوَجْناه بى تَفَحَّمُ ويلك قل ما اسم أمها يا علكم
علكم : اسم عبده له ، وإتما سأل عبده ترفعا أن يعرف اسم أمها ، لأن العبد بالإيل أعرف ، وهم رعاتها .
وأنشد السكري .

فقلت له ما اسم أمها هاتِ فاذعها ثجبتك ويسكن روعها ونفارها

ومما كانت العرب كالجمعية عليه الهامة ، وذلك أنهم كانوا يقولون : ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل ، إلا ونخرج من رأسه هامة ، فإن كان قتيل ولم يؤخذ بشأره نادى الهامة على قبره : اسقوني ، فإني صديقة ؛ وعن هذا قال النبي صلى الله عليه وآله : « لا هامة » .

وحكى أن أبا زيد كان يقول : الهامة مشقة الميم إحدى هوام الأرض ، وأنها هي المتلونة المذكورة .

وقيل : إن أبا عبيد قال : ما أرى أبا زيد حفيظ هذا ، وقد يسمونها الصدى والجمع أصداء ، قال :

* وكيف حياة أصداء وهام *

وقال أبو ذؤاد الإيادي :

سلط الموت والمنون عليهم فاتهم في صدا المقابر هام^(١)

وقال بعضهم لابنه :

ولا تَرْقُونَ لِي هَامَةً فَوْقَ مَرَقَبٍ فَإِنْ رُقَاءَ الْهَامِ لِلْعَرَةِ عَائِبُ
تَنَادَى أَلَا اسْقُونِي وَكُلَّ صَدَى بِهِ وَتِلْكَ الَّتِي تَبْيِضُ مِنْهَا الذُّوَابُ

يقول له : لا تترك ثأري إن قتلت ، فإنك إن تركته صاحت هامتي : اسقوني ، فإن كل صدّي - وهو ها هنا العطش - بأبيك : تلك التي تبيض منها الذوآب ، لصعوبتها وشِدَّتِها ، كما يقال : أمرٌ يُشيب رأسَ لَوِيحٍ . يحتمل أن يريد : الأمر عليه وهو مقبور إذا لم يثار به ، ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر على ابنه ، يعني أن ذلك عارٌ عليك ، وقال ذو الإصبع :

يَا عَمْرُو إَلَّا تَدَعِ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي ^(١)
وقال آخر :

فِيَارَبِّ إِنْ أَهْلَكَ وَلَمْ تَرَوْ هَامَتِي بِأَيْلِي أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِي ^(٢)

ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذي نحن فيه ، وأن يكون رِئْ هامة الذي طلبه من ربه هو وصال لَيْلَى وهما في الدنيا . وهم يَكُونُونَ عَمَّا يَشْفِيهِمْ بَأَنَّهُ يُرَوِي هَامَتَهُمْ .

وقال مغلس الذَّقَمَسِي :

وَإِنْ أَخَاكُمْ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهُ بَسَفَحَ قُبَاً تَسْنِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ
لَهُ هَامَةٌ تَدْعُو إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتْهَا بَنِي عَامِرٍ هَلْ لِلْهَلَالِيِّ نَائِرُ
وقال نَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَاخُ

لَسَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُخٌ^(١)

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْمُنَوِّحِ ، وَهُوَ الْمُجْتَنُونَ :

وَلَوْ تَلَقَّيْتُ أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِنَا رَمْسٌ مِنَ الْأَرْضِ أَنْكَبُ^(٢)
لِظَلِّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ :

أَلَا هَلْ صَدَى أُمُّ الْوَلِيدِ مَكْمٌ صَدَى إِذَا مَا كُنْتُ رُمْسًا وَأَعْظَمُ^(٣)

وَمَا أَبْطَلَهُ الْإِسْلَامُ قَوْلُ الْعَرَبِ بِالصَّفَرِ ، زَعَمُوا أَنَّ فِي الْبَطْنِ حَيَّةً إِذَا جَاعَ الْإِنْسَانُ عَضَّتْ عَلَى شُرْطُوفِهِ وَكَبَدَهُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْجُوعُ بَعِيْنُهُ ، لَيْسَ أَهْمُهَا تَقْصُّعٌ بَعْدَ حَصُولِ الْجُوعِ ، فَأَمَّا لَفْظُ الْحَدِيثِ : « لَا عَدُوَّ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ ، وَلَا غَوْلَ » ، فَإِنْ أَبَا عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْتَنَى قَالَ : هُوَ صَفَرُ الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَ الْحَرَمِّ ، قَالَ : نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَأْخِيرِهِمُ الْحَرَمَّ إِلَى صَفَرٍ يَعْنِي مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنَ النَّسْيِ ، وَلَمْ يُوَافِقْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَتَأَرَّى لِمَا فِي الْقَدْرِ بِرَقَبِهِ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْطُوفِهِ الصَّفَرُ^(٤)

وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ بَنِي عَبْسٍ يَذْكُرُ قَيْسَ بْنَ هَاشِمٍ هَجَرَ النَّاسَ وَسَكَنَ الْفِيَاقِ

(١) ديوان الحماسة - بصرح التبريزي ٣ : ٢٦٧ .

(٢) ديوانه ٤٦ ، وروايته : * ومن دون رمسينا من الأرض سهب * .

(٣) ديوانه ٣٠ .

(٤) لأعشى بأهله ؛ الكامل للمبرد (٤ : ٦٥) ، والرواية فيه :

لَا يَتَأَرَّى لِمَا فِي الْقَدْرِ بِرَقَبِهِ وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَدْرِ يَفْتَفِرُ

لَا يَمِيزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنِ وَلَا وَصَبَ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْطُوفِهِ الصَّفَرُ

وَأُنِسَ بِالْوَحْشِ ، ثُمَّ رَأَى لَيْلَةً نَارًا فَعَسَا إِلَيْهَا ، فَشَمَّ عِنْدَهَا قُتَارَ اللَّحْمِ ، فَنَازَعَتْهُ
شَهْوَتُهُ ، فَغَلَبَهَا وَقَهَرَهَا ، وَمَالَ إِلَى شَجَرَةٍ سَلَّمَ فَلَمْ يَزَلْ يَكْدِمُهَا وَيَأْكُلُ مِنْ خَبْطِهَا^(١)
إِلَى أَنْ مَاتَ :

إِنَّ قَبْسًا كَانَتْ مِيقَتَهُ كَرَمٌ وَالْحَيَّ مَنْطَاقُ
شَامَ نَارًا بِالْمُهْوَى فَهَوَى وَشُجَاعَ الْبَطْنِ يَخْتَفِقُ
فِي دَرِيْسٍ لَيْسَ بِسَثْرِهِ رَبٌّ حُرٌّ ثَوْبُهُ خَلَقُ

وقوله : « بالهوى » اسمُ موضعٍ بَعِيْنُهُ .

وقال أبو النجم العجلي :

إِنَّكَ يَا خَيْرَ فِتْنٍ نَسْتَعْدِي عَلَى زَمَانٍ مَسْنِيٍّ بِجَهْدٍ

* عَصَا كَمَضٍ صَفَرٍ بِكَبَدٍ *

وقال آخر :

أَرَدُ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمْنَاهُ وَأَوْثَرَ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّمَمِ

وَمِنْ خُرَافَاتِ الْعَرَبِ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا أَرَادَ دُخُولَ قَرْيَةٍ نَخَافُ
وَبَاءَهَا أَوْ جَنَّاها وَقَفَ عَلَى بَابِهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فَتَهَيَّأَ نَهِيْقَ الْحِمَارِ ، ثُمَّ عَلَّقَ عَلَيْهِ
كُمْبَ أَرْزَبٍ ، كَانَ ذَلِكَ عُودَةً لَهُ وَرُقِيَّةً مِنَ الْوَبَاءِ وَالْجُنِّ ، وَيُسَمُّونَ هَذَا النَّهِيْقَ
التَّعْشِيرَ ، قَالَ شَاعِرُهُمْ :

وَلَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ أَنْ حُمَّ وَاقِعٌ وَلَا زَعَزَعٌ يُفْنِي وَلَا كُمْبُ أَرْزَبٍ

وقال المهيثم بن عدي : خَرَجَ عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ إِلَى خَيْبَرٍ فِي رُقَّةٍ لِيَتَارَوْا ، فَلَمَّا

قَرَّبُوا مِنْهَا عَشَرُوا ، وَعَافَ عُروَةَ أَنْ يَفْعَلَ فَعَلَهُمْ ، وَقَالَ :

(١) الخط هنا : الورق .

لعمري لئن عَشَرْتُ مِنْ خِيْفَةِ الرَّدَى مُهَاقَ حَسِيرٍ إِنِّي لَجَزُوعٌ^(١)
 فلا وَأَلْتُ تِلْكَ النُّفُوسُ وَلَا أَتُ قُفُولًا إِلَى الْأَوْطَانِ وَهِيَ جَمِيعُ
 وقالوا أَلَا أَنهَقُ لَا تَضُرُّكَ خَيْرٌ وَذَلِكَ مِنْ فَعَلِ الْيَهُودِ وَلُوعُ
 الولوع بالضم : الكذب ، ولع الرجل إذا كذب ، فيقال إن رُقِقَتْه مرضوا ومات
 بعضهم ، ونجا عروة من الموت والمرض .
 وقال آخر :

لَا يُنَجِّينَكَ مِنْ حِمَامٍ وَأَقْسَحِ كُفْبٍ تَعَاثُرُهُ وَلَا تَعَشِيرُ

ويُشَابِهَ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا ضَلَّ فِي قَلَاةٍ قَلْبَ قَيْصَهَ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ كَأَنَّهُ
 يَوْمِي^١ بِهِمَا إِلَى إِنْسَانٍ ، فَيَهْتَدِي ، قَالَ أَعْرَابِي : كَمَا يَهْتَدِي بِرُجُلِهِ

قَلْبْتُ ثِيَابِي وَالظُّنُونُ تَجُولُ بِي وَتَرْمِي بِرَحْلِي نَحْوَ كُلِّ سَبِيلٍ
 فَلَا يَأْ بَلَاءِي مَا عَرَفْتُ جَلِيَّتِي وَأَبْصَرْتُ قَصْدًا لَمْ يَصْبِ بِدَلِيلٍ
 وقال أبو العباس الطائي :

فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي بِلَوَى بَطَانٍ أَصْفَقَ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ
 فَأَقْلَبُ تَارَةً خَسِرًا وَفَا رَدَائِي وَأَصْرُخُ تَارَةً بِأَبِي فُلَانٍ
 لَقَلْتُ أَبُو الْعَمَلَسِ قَدْ دَهَاهُ مِنَ الْجِنَانِ خَالَعَةُ بَعْنَانٍ
 والأصل في قَلْبِ الثِّيَابِ التَّفَاوُلُ بِقَلْبِ الْحَالِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَحْوُ
 ذَلِكَ فِي الْأَسْتِسْقَاءِ .

ومن مذاهب العرب أن الرجل منهم كان إذا سافر عمداً إلى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها ، فإذا عاد نظراً إلى ذلك الخيط فإن وجدته بحاله علم أن زوجته لم تحنّه ، وإن لم يجدّه أو وجدته تحلوا قال : قد خانتني ، وذلك العقد يُسمّى الرّثم ، ويقال : بل كانوا يعقدون طرّفاً من غصن الشجرة بطرف غصن آخر ، وقال الراجز :

هل ينصنك اليرم إن همت بهم كثرة ما تروى وتعقاد الرّثم (١)
وقال آخر :

خانته لما رأت شيباً بفرق وغره حلفها والتم الرّثم
وقال آخر :

لا تحسبن رثاماً عقدها تفيك عنها باليقين الصادق
وقال آخر :

يملّ عمرؤ بالرتام قلبه وفي الحى ظبي قد أحلت تحارمه
فما نمت تلك الوصايا ولا جنت عليه سوى ما لا يحب رثامه
وقال آخر :

ماذا الذى تنفعك الرثام إذ أصبحت وعشقها ملازم
وهى على لذاتها تدوم يزورها طب الفؤاد عارم
* بكل أدواء النساء عالم *

وقد كانوا يعقدون الرّثم للجنى ويرون أن من حلّها انتقلت الحى إليه ،
وقال الشاعر :

حللت رثيمة فكنت شهراً أكابد كل مكروه الدواء

(١) اللسان (رثم) من غير نسبة .

وقال ابن السكيت : إن العرب كانت تقول : إن المرأة لثقات وهي التي لا يعيش لها ولد ، إذا وطئت القليل الشريف عاش ولدها ، قال بشر بن أبي خازم :
تَظَلُّلَ مَقَالِيَتُ النِّسَاءِ نَظَانَهُ يَقْلُنَ الْإِيَانُ عَلَى الْمَرْءِ مِثْرًا^(١)

وقال أبو عبيدة : تتخطاه الثقات سبع مرات ، فذلك وطؤها له .
وقال ابن الأعرابي : يمترون به ويطنون حوله وقيل : إنما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدرًا أو قودًا .

وقال السكيت :

وَتُطِيلُ الْمَرْزَاتُ الْمَقَالِيَةَ تِلْكَ إِلَيْهِ الْقُعُودُ بِمَسَدِ الْقِيَامِ

وقال الآخر :

تَرْكُنَا الشَّمْسَيْنِ بِرَمْلِ خَبْتٍ تَزُورُهُمَا مَقَالِيَتُ النِّسَاءِ

وقال الآخر :

بَنَفْسِي الَّتِي تَمْشِي الْمَقَالِيَتُ حَوْلَهُ يُطَافُ لَهُ كَشْعًا هَضْبًا مُهْمًا

وقال آخر :

تَبَاشَرَتِ الْمَقَالِيَتُ حِينَ قَالُوا ثَوَى عَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ بِالْخَفِيرِ

ومن تَحْيِيْلَاتِ الْعَرَبِ وَخُرَافَاتِهَا أَنَّ الْغُلَامَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا سَقَطَتْ لَهُ رِيْنٌ أَخَذَهَا بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْإِصْبَامِ وَأَسْتَقْبَلَ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ وَقَذَفَ بِهَا ، وَقَالَ : يَا شَمْسُ أَبْدِلِيْنِي بِرِيْنٍ أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَلِيَجْزِيَ ظِلْمَهَا بِاتِّكَ ، أَوْ تَقُولُ : « يَاؤُك » ، وَهِيَ جَمِيعُ شُعَاعِ الشَّمْسِ قَالَ طَرَفَةُ :

• سَقَّتْهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ (١) •

وإلى هذا الخيال أشارَ شاعرُهم بقوله :

شَادِنٌ يَحْلُو إِذَا مَا ابْتَسَمَتْ عَنْ أَقَاجٍ كَأَقَاجِ الرَّمْلِ غَرَّةُ
بَذَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيبَتِهِ بَرْدًا أَيْضَ مَصْفُورِ الْأَشْرَةِ

وقال آخر :

وَأَشْنَبُ وَاضِحٌ عَذْبُ الثَّنَابَا كَانَ رُضَابُهُ صَافِي الْمُدَامِ
كَسَتْهُ الشَّمْسُ لَوْثًا مِنْ سَنَاهَا فَالَاحَ كَأَنَّهُ يَرْفِقُ الْقَمَامِ

وقال آخر :

بَذَى أَشْرٌ عَذْبُ اللَّذَاقِ تَفَرَّدَتْ بِهِ الشَّمْسُ حَتَّى عَادَ أَيْضَ نَاصِمَا
وَالنَّاسُ الْيَوْمَ فِي صَبِيَّاتِهِمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ .

وكانت العربُ تَعْتَقِدُ أَنَّ دَمَ الرَّئِيسِ يَشْفِي مِنَ عَضَّةِ الْكَلْبِ الْكَلْبَ ؛

قال الشاعر :

بُؤْسَةُ مَكَارِمٍ وَأَسَاةُ جُرْجَحٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشَّفَاءُ

وقال عبدُ الله بن الزَّيَّيرِ الْأَسَدِيُّ :

مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ عَمِنَاهُ وَأَكْرَمَهُ كَانَتْ دِمَاؤُهُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ

وقال الْكُمَيْتُ :

أَحْلَامَكُمْ لِسَقَامِ الْجَنَمِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ

وَمِنْ تَحْيَلَاتِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا خَافُوا عَلَى الرَّجُلِ الْجُنُونَ وَتَعَرَّضَ الْأَرْوَاحُ

(١) البيت بتمامه :

سَقَّتْهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لَنَاتِهِ أَسَفًا وَلَمْ تَكُدَّمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِهِ

الحيثة له نجسوه بتعليق الأقدار عليه ، كخريقة الخيض وعظام الموتى ، قالوا : وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ، ثم لا يراها يومه ذلك ، وأنشدوا للمزني العبدى :

فلو أن عندي جارتين وراقياً وعلق أنجاساً على المعلق
قالوا : والتنجيس يشي إلا من العشق ، قال أعرابي :
يقولون علق يالك الخسير رمةً وهل ينفع التنجيس من كان عاشقاً !
وقالت امرأة - و - نجست ولدها فلم ينفعه ومات !

نجست له لو ينفع التنجيسُ والسوت لا تقوته النفوس
وكان أبو مهدية يعلق في عنقه العظام والصوف حذر الموت ، وأنشدوا :
أتوتى بأنجاس لم ومنجس قلت لم ما قدر الله كأن

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا خدّرت رجله ذكراً من يحب أو دعاه فيذهب خدّها .

وروي أن عبد الله بن عمر خدّرت رجله ، فقيل له ادع أحب الناس إليك ، فقال :
يا رسول الله .

وقال الشاعر :

على أن رجلى لا يزال أمدلاًها مقيماً بها حتى أجيلك في يكرى
وقال كثير :

إذا مديت رجلى ذكرك أشتى بدعواك من مذل بها فيهن^(١)
وقال جميل :

وأنت لميئنى قرّة حين نلتى وذكرك يشفينى إذا خدّرت رجلى^(٢)

وقالت امرأة :

إذا خَدِرْتُ رجلى دعوتُ ابنَ مصعبٍ فإن قلتُ عبدَ الله أجلى فتورها
وقال آخر :

صَبَّ حَبٌّ إِذَا مَارِجُهُ خَدِرَتْ نَادَى كَبِيشَةً حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ
وقال المؤمل :

والله ما خَدِرْتُ رجلى ولا عَثَرْتُ إِلَّا ذَكَرْتُكَ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ
وقال الوليد بن يزيد :

أثبني هائمًا كيفًا مَعْنَى إِذَا خَدِرْتُ لِرَجُلٍ دَعَاكَ
ونظير هذا الوهم أَنَّ الرجل منهم كَانَ إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنُهُ قَالَ : أَرَى مَنْ أَحَبَّهُ ،
فَإِنْ كَانَ غَائِبًا تَوَقَّعَ قَدُومَهُ ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا تَوَقَّعَ قُرْبَهُ .
وقال بشر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا فَنَاءُ بَنِي عَمْرٍو بِهَا الْعَيْنُ تَلَمَعُ^(١)
وقال آخر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي تَبَيَّنْتُ أَنَّي أَرَاكِ وَإِنْ كَانَ الْمَزَارُ بَعِيدًا
وقال آخر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا لِرُؤُوسِهَا تَهْتَاجُ عَيْنِي وَتَطْرِفُ
وهذا الوهم باقٍ في الناس اليوم .

ومن مذهبهم أَنَّ الرجل منهم كَانَ إِذَا عَشِقَ وَلَمْ يَسْلُ وَأَفْرَطَ عَلَيْهِ الْعِشْقُ سَحَلَ

رجلٌ على ظهره كما يحمل الصبي ، وقام آخر فأنقى حديدته أو ميلاً ، وكوى به بين أليتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون .

وقال أعرابي :

كويتم بين رافقي جـهلاً ونارُ القلب يُصْرِمُها الغرامُ
وقال آخر :

شكوتُ إلى رفيقٍ اشنياني فجاءني وقد جمعا دواء
وجاءا بالطبيب ليكوياني ولا أبني - عديتهما - اكتبوا
ولو أتيا بسلمي حيث جاءا لعاضاني من السقم الشفاء
واستشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير :

أغاضرَ لو شهدتِ غداةَ بئس حنوا العائذاتِ على وسادي
أوبت لعاشقٍ لم ترحمه بواقسدة تلذع بالزناد

هذا البيت ليس بصريح في هذا الباب ، ويحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حراره الوجد وتلذعه ، وتشبيهه بالنار ، إلا أنه قد روى في كتابه خبراً يؤكد المقصد الذي عزاه وأدعاه ، وهو عن محمد بن ساجان ابن فليح ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنتُ عندَ عبدِ الله بنِ جعفر ، فدخل عليه كثيرٌ وعاليه أثر علة ، فقال عبدُ الله : ما هذا بك ؟ قال : هذا ما فعلتُ بي أمُّ الحويرث ، ثم كشف عن ثوبه وهو مسكوى ، وأنشد :

عفا الله عن أمِّ الحويرثِ ذنبها علام تُعشيني وتكفي دوائيا !
ولو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقلت لهم : أمُّ الحويرث دائياً

وَمِنْ أَوْهَامِهِمْ وَتَحْيَلَاتِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَحَبَّ امْرَأَةً وَأَحْبَبَتْهُ
فَشَقَّ بَرْقَعَهَا ، وَشَقَّتْ رِدَاءَهُ ، صَلَحَ حُبُّهُمَا وَدَامَ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ فَسَدَ حُبُّهُمَا ؛ قَالَ
سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسَّاسِ :

وَكَمْ قَدْ شَقَقْنَا مِنْ رِدَاءِ مُحَبَّرٍ وَمَنْ بَرْقَعَ عَنْ طَفَلَةٍ غَيْرِ عَابِسٍ ^(١)
إِذَا شُقَّ بُرْدُ شُقٍّ بِالْبَرْدِ بَرْقَعَ دَوَالِيكَ حَتَّى كَلَّنَا غَيْرَ لَابِسٍ
نَرُومُ بِهِذَا الْفِعْلَ بَقِيًّا عَلَى الْهَوَى وَإِلْفِ الْهَوَى يَفْرِى بِهِذَى الْوَسَاوِسِ
وَقَالَ آخَرُ :

شَقَقْتُ رِدَائِي يَوْمَ بَرَاقَةٍ عَالِجٍ وَأَمَكْنِي مِنْ شَقِّ بَرْقَعَةٍ السَّحَابِ
فَمَا بَالُ هَذَا الْوُدِّ يَفْسِدُ بَيْنَنَا وَيَمَحَقُ حَبْلُ الْوَصْلِ مَا بَيْنَنَا مَحَقًا

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ أَكْلَ لَحْمِ السَّبَاعِ تَزِيدُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ ،
وَهَذَا مَذْهَبُ طَبِّيّ ، وَالْأَطْبَاءُ يَعْتَقِدُونَهُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَبَا الْمَعَارِكِ لَا تُتْعِبْ بِأَكْلِكَ مَا تَنْظُنُّ أَنَّكَ تُدْفَى مِنْهُ كَرَارًا
فَلَوْ أَكَلْتَ سَبَاعَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً مَا كُنْتَ إِلَّا جَبَانُ الْقَلْبِ خَوَارًا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ - وَأَكَلَ فُؤَادَ الْأَسَدِ لِيَكُونَ شَجَاعًا - فَعَدَا عَلَيْهِ نَمِرٌ فَجَرَحَهُ :
أَكَلْتُ مِنَ اللَّيْثِ الْمَصُورِ فُؤَادَهُ لِأَصْبِحَ أَجْرَى مِنْهُ قَلْبًا وَأَقْدَمًا
فَأَذْرَكَ مِنِّي ثَارَهُ بَابِنِ أَخِيهِ فَيَالَكَ ثَارًا مَا أَشَدَّ وَأَعْظَمًا !
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَلْبُ الْفَتَى غُدُوَّةَ الْوَعَى أَصَمَّ قَلْبُ اللَّيْثِ لَيْسَ بِنَافِعِ

وسا نفع قلب الليث في حومة الوغى إذا كان سيف المرء ليس بقاطع !

ومن مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع إذا ركبته فعرق تحته اغتلت امرأته وطمحت إلى غيره ، والحققة : دائرة تكون بالفرس ، وربما كانت على الكتف في الأكثر ، وهي مستقبحةٌ عندهم ، قال بعضهم لصاحبه :

إذا عرق المهقوع بالمرء أنمظت حليته وازداد حرٌّ مجانها
فأجابه صاحبه :

قد يركب المهقوع من ليس مثله وقد يركب المهقوع زوج حصان^(١)

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يؤقدون النار خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه ، يقولون في دعائهم : أبده الله وأسحقه ، وأوقد ناراً أثره ! قال بعضهم :
صوت وأوقدت للجهل ناراً ورد عليك الصبا ما استمارا
وكانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي يريدونه ، ولم يؤقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه ؛ تفاؤلاً بالرجوع إليه .

ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب ، قال ابن الأعرابي : قلت لزيد بن كثوة : أتقولون : إن من علق عليه كعب أرنب لم تقر به جنان الدار ، ولا عمار الحى ؟ قال : إى والله ، ولا شيطان الخماطة ولا جار المشيرة ، ولا غول القفر . وقال أمروؤ القيس :

(١) اللسان (هق) دون نسبة .

أَيَّاهُنْدُ لَا تَنْكِحِي يُوْهَةَ ۚ عَالِيَهُ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبُ (١)

مرسمة بين أدبائه ٥ عسى يبتغي أربابا

لِيَجْعَلَ فِي رِجْلِهِ كَذِّبَهَا حِذَارَ الْمَنِيَةِ أَنْ يَعْطَبَا

والخماطة : شجرة ، والمُشيرة : تصغير العشرة ، وهي شجرة أيضا .

وقال أبو حنبل: كانت العرب تملأ على الصبي سِنَّ ثعلب وسِنَّ هِرَّة خوفاً من

الخطفة والنظرة ، ويقولون : إِنَّ جَنَّةَ أَرْضِ صَبِيٍّ قَوْمٍ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَلَامَهَا قَوْمُهَا

من الجنّ في ذلك ؛ فقالت تعذّر إليهم :

كَانَ عَلَيْهِ نَفَرُهُ لَعَالٍ وَهِيَ رَرَةٌ

والحيض حيض السمرة *

وَالسَّمُرَةُ شَيْءٌ يَسِيلُ مِنَ السَّمَرِ كَدَمِ الْغَزَالِ ؛ وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ أَخَذُوا

من دَرَمِ السَّمَرِ - وهو صَمْفُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ - يَنْقُطُونَ بَيْنَ عَيْنَيْ النَّفْسَاءِ؛ وَخَطُّوا عَلَى وَجْهِ

الصبي خطأً ، ويسمى هذا الصمغ السائل من السمور الدودم ؛ ويقال بالذال المعجمة أيضاً ،

وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي : النفرات .

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي : إن بعض العرب قال لأبي : إذا وُلِدَ لك وَلَدٌ

فَنَفَّرَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَبِي ، وَمَا التَّنْفِيرُ ؟ قَالَ : غَرَبَ اسْمُهُ ؛ فَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَسَمَاهُ قُنْفُذًا ،

وگناه ابا العداء ؛ قال : وأنشد أبي :

كَانَ خَيْرَ مَزْجٍ دَوَائِهَا مِنْهَا بِهَا تَشْفَى الصُّدَاعَ وَتُبْرِى الْمَنَجُودَا (٢)

قال : يريد أن القنفذ من مراكب الجن ؛ فداوى منهم ولده بمراكبهم .

ومن مذهبهم أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادي شجر فأناخ راحلته في قرارته ، وعقلها وخط عليها خطا ثم قال : أعود بصاحب هذا الوادي ، وربما قال : بعظيم هذا الوادي ، وعن هذا قال الله سبحانه في القرآن : ﴿ وَأَنَّهُ كَانِ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (١) .

واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد ، فقال :
 قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعدى
 * فلم يُجِرْنَا من هزبر عادي *
 وقال آخر :

أعود من شر البلاد البعيدة بسيد معظم
 أصبح يأوي بلوى زرود ذي عزة وكاهل شديد
 وقال آخر :

ياجن أجراع اللوى من عاجل عاذ بكم سارى الظلام الدالج
 * لا ترهقه بغوى هائج *

وقال آخر :
 قدبت ضيفا لعظيم الوادي الماني من سطة الأعدى
 * راحلتني في جاريه وزادي *

وقال آخر :
 هيا صاحب الشجر اهـل أنت ماني فإني ضيف نازل بفنائك

وإنك للجنة في الأرض سيدٌ ومثلك آوى في الظلام الصَّالِكا

ومن مذاهبهم أن المسافر إذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغي له أن يلتفت ، فإنه إذا ألتفت عاد ، فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود ؛ قال بعضهم :
دع التلفت يا مسعود وأرم بها وجه الهواجر تأمن رجسة البلد
وقال آخر : أنشد الخالع :

عيل صبري بالثعلبية لما طال ليلى ومأري قرنائى
كلما سارت المطايا بنسائي لا تنفست والتفت ورائي

هذان البيتان ذكرهما الخالع في هذا الباب ، وعندى أنه لا دلالة فيهما على ما أراد ، لأن التلفت في أشعارهم كثير ، ومرادهم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق ، والتأسف على المفارقة ، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره ، ويتزود من رؤيته ؛ كقول الرضى رحمه الله :

ولقد مررت على طولهم ورؤومهم بيد البلى نهب^(١)
فوقفت حتى ضج من لغب نضوى ولج بعدلى الركب
وتلفت عيني فخذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وليس يقصد بالتلفت هاهنا التفاؤل بالرجوع إليها ، لأن رؤومها قد صارت نهبا بيد البلى ، فأى فائدة في الرجوع إليها ! وإنما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين والتذكر لما مضى من أيامه فيها ، وكذلك قول الأول :

تَلَقَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَسَدَتْهُي وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخَذَعَا^(١)
ومِثْلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ :

تَلَقَّتْ أَرْجُو رَجْعَةً بَعْدَ نَيْفٍ فَكَانَ التَّفَاقِي زَائِدًا فِي بَلَايَا
أَلْأَرْجُو رُجُوعًا بَعْدَ مَا حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَزَنَ الْفَلَا وَالْفَيَافِي !
وَقَالَ آخَرٌ ، وَقَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَلَقَّتْهُ إِلَيْهِ :

تَلَقَّتْ تَرْجُو رَجْعَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ وَهِيَهَاتَ مِمَّا تَرْجِي أُمُّ مَارِئِ !
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي جَبَّوْحٌ عِنَانُهُ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْوَاءٍ غَيْرَ مَا لَيْنِ !



وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ ، إِذَا بُثِرَتْ شَفَّةُ الصَّبِيِّ حَمْلٌ مُنْخَلًا عَلَى رَأْسِهِ ، وَنَادَى بَيْنَ بَيْوتِ الْحَيِّ :
الْحَلَا الْحَلَا ، الطَّعَامُ الطَّعَامُ ، فَيُلْقَى لَهُ النِّسَاءُ كِسْرَ الْخُبْزِ وَأَقْطَاعَ التَّمْرِ وَاللَّحْمِ فِي الْمُنْخَلِ ،
ثُمَّ يَلْقَى ذَلِكَ لِلْكَلَابِ فَتَأْكُلُهُ فَيَبْرَأُ مِنَ الْمَرَضِ ، فَإِنْ أَكَلَ صَبِيٍّ مِنَ الصَّبِيَّانِ
مِنْ ذَلِكَ الَّذِي أَقْلَاهُ لِلْكَلَابِ تَمْرَةً أَوْ لُقْمَةً أَوْ لَحْمَةً أَصْبَحَ وَقَدْ بُثِرَتْ شَفَتُهُ .
وَأَنشِدْ لَامْرَأَةٍ :

أَلَا حَلَا فِي شَفَةِ مُشْقُوقَةٍ فَقَدْ قَضَى مُنْخَلُنَا حَقُوقَهُ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا طَرَفَتْ عَيْنُهُ بِشُوبِ آخِرِ مَسْحِ الطَّارِفِ عَيْنِ
الطَّرُوفِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ؛ يَقُولُ : فِي الْأُولَى : يَا حُدَى جَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : يَا ثَنَيْنِ
جَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَفِي الثَّالِثَةِ ثَلَاثُ جَنَنِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي السَّابِعَةِ : يَسْبِعُ
جَنَّنَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَتَبْرَأَ عَيْنُ الطَّرُوفِ .

(١) للصمة بن عبد الله ديوان الحاسة - بصرح التبريزي ٣ : ١٩٩

وفيه من يقول : يا حدى من سبع جن من المدينة ، بائنتين من سبع ، إلى أن يقول بسبع من سبع .

ومن مذاهبهم أن المرأة منهم كان إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها ، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور ، وحجّلت على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً ، وتقول : يا لكاح ، أبغى النكاح ، قبل الصباح ؛ فيسهل أمرها وتزوج عن قرب ، قال رجل لصديقه وقد رأى امرأة تفعل ذلك :

أما ترى أمك تبغى بعلًا قد نشرت من شعرها الأقدام
ولم تؤفّ مقلتيها كحلاً ترفع رجلاً وتخطّ رجلاً
هذا وقد شاب بنوها أصلاً وأصبح الأصغر منهم كهنلاً
خذ القطيع نمّ سمنها الذلاً صرّبا به نترك هذا الفعلاً

وقال آخر :

قد كحلت عيناً وأغفت عيناً وحجّلت ونشرت قريناً
* تظنّ زيناً ما تراه شيناً *

وقال آخر :

تصنّى ما شئت أن تصنّى وكحلى عينيك أو لا فدعى
نم احجلى فى البيت أو فى الجمع مالك فى بعل أرى من مطمع

ومن مذاهبهم كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبّوا ألاّ يودّكسوا

شيثا من الأواني وراءه ، وهذا مما تعلمه الناس اليوم أيضا ، قال بعضهم :
كسرنا القدر بعد أبي سواح فماد وقدرنا ذهب ضياعا
وقال آخر :

ولا تكسر الكيزان في إثر ضيفنا ولكننا نقيه زادا ليرجعا
وقال آخر :

أما والله أن بني نقيل تحاللون بالشرف اليفاع
أناس ليس تكسر خلف ضيف أوانيهم ولا شعب القيصاع

ومن مذاهبهم قولهم : إن من ولد في القمراء تقلصت غرله (١) ، فكان كالمختون .
ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر ، كما أن من خواصه إبلاء الكتان ،
وإتان اللحم ، وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام : إذا رأيت الغلام طويل الغرلة فأقرب
به من السؤدد ، وإذا رأيت قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به .
وقال امرؤ القيس لقيصر ، وقد دخل معه الحمام فرآه أقلف :

إني حلفت يميناً غير كاذبة لأن أغاف إلا ما جنى القمر (٢)

ومن مذاهبهم التساوم بالعطاس ، قال امرؤ القيس :

* وقد اغتدى قبل العطاس (٣) بهيكل *

وقال آخر :

(١) الغرلة : القلفة ، وهي الجلدة في رأس الإحليل قبل الختان .

(٢) البيت بتمامه :

(٣) ديوانه ٢٨٠

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكل شديد منيع الجنب فتم المنطق

وخرق إذا وجهت فيه لغزوة مضيت ولم يحبسك عنه العواطس

ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء : لا عشت إلا عيش القراد ! يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة ، ويترحمون أن القراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً ، ويقولون : إنه يترك في طينة ويرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه ، سنة على ظهره ولا يموت ، قال بعضهم :

فلا عشت إلا كعيش القرا دعماً ببطنٍ وعاماً بظاهرٍ

ومن مذاهبهم كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببنه أخذن ثراباً من موضع رجله ، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه .

وقالت امرأة من العرب : واقبضت من أثره :

يارب أنت جاره في سفره وجار خصيته وجار ذكرك

وقالت امرأة :

أخذت ثراباً من موطن رجله غداة غداً كما يؤوب مسلماً

ومن مذاهبهم ، أنهم كانوا يسمون العشا في العين الهدبد ، وأصل الهدبد ، اللين الخاثر ، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة ، وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسخ جفنه الأعلى بسبابة :

فيا سناما وكبد

فيا سناما وكبد (١) ألا أذهب بالهدبد

ليس شفاء الهدبد إلا السنام والكبد

قال : فيذهب العشا بذلك .

ومن مذاهبهم اعتقادهم أن الورك والقنذ والأرنب والغبي واليربوع والنعام
مراكب الجن يمتطونها ، ولهم في ذلك أشعار مشهورة ، ويؤمنون أنهم يرون الجن
ويظاهرونهم ويخاطبونهم ، ويشاهدون القول ، وربما جامعوها وتزوجوها ، وقالوا : إن
عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين ، ومكثت عنده دهرأ ؛ فكانت تقول له :
إذا لاح البرق من جهة بلادى - وهى جهة كذا - فاستره عنى ، فإنى إن لم تستره عنى
تركت ولدك عليك ، وطرت إلى بلاد قومى ؛ فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق
غطى وجهها بردائه فلا تبصره ؛ وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعرى فى قوله يذكّر
الإبل وحينئذ إلى البرق :

طربن ل ضوء البارق المتعالى ببغداد وهنأ ما هنأ ومالى^(١)
تمت نحوه الأبصار حتى كأنها بنارينه من هنا وتم صوالى
إذا طال عنها سرها لوردها تمتد إليه فى صدور عوالى
تمت قويقاً والصراة أمامها تراب لها من أيق وجمال
إذا لاح إمامض سترت وجوها كأنى عمرو والمطى سمالى
وكم هم نضو أن يطير مع العشا إلى الشام لولا حبسه رعالى

قالوا : فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها ، فطارت وقالت له
وهى تطير :

أمسك بذك عمرو إني آبق برقى على أرض السعالى آلق^(٢)

ومنه من يقول : ركبت بعيراً وطارت عليه - أى أسرعَتْ - فلم يُدْرِكها . وعن هذا قال الشاعر :

رأى برقاً فأوضع فوق بكرٍ فلابك ما أسال ولا أغلاماً^(١)
قال : فبنو عمرو بن ربوع إلى اليوم يدْعسون بنى السَّمْلاء ، ولذلك قال الشاعر يهجوهم :

يا قَبَّحَ اللهُ بنى السَّمْلاءِ عمرو بن ربوع شرَّار النَّاتِ^(١)
* ليسوا بأبطال ولا أكيات *

فأبدل السَّين تاءً ، وهى لغة قوم من العرب .

ومن مذاهبهم فى القول قولهم : إنها إذا ضُرِبَتْ ضربة واحدة بالسَّيف هلكَتْ ، فإن ضُرِبَتْ ثانية عاشت ، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله :

فقلت : ثنٍّ ، قلت : لها رويداً مكانك ، إني ثبْتُ الجنان

وكانت العرب تسمي أصوات الجنِّ العزيف وتقول : إن الرجل إذا قَتَلَ قُنُقْذاً أو ورَّلاً لم يأمن الجنُّ على فحلِّ إبله ، وإذا أصاب إبله خطبٌ أو بلاءٌ حمَّله على ذلك ، ويزعمون أنهم يسمعون الهساتف بذلك ، ويقولون مثله فى الجنِّ من الحيات ، وقتله عندهم عظيم .

ورأى رجلٌ منهم جانا فى قبرٍ بئرٍ لا يستطيع الخروج منها ، فنزل وأخرجَه منها على خطرٍ عظيم ، وغمض عينيه لئلا يرى أين يدخل ، كأنه يريد بذلك التقرب إلى الجنِّ .

(١) شروح سقط الزند ١١٦٨ . نوادر أبي زيد ١٤٦ ، وروايته : ردماً أسال وما أطاماً .

وقال أبو عثمان الجاحظ : وكانوا يُسمُّون من يُجاوِزُ منهم النَّاسَ طامراً ، والجمع عُجَّار ، فإن تعرَّض للتَّصْبِيان فهو رُوح ، فإن خَبِثَ وتعرَّم فهو شيطان ، فإن زاد على ذلك فهو مارد ، فإن زاد على ذلك في القوَّة فهو عَفْرِيت ، فإن طَهُرَ ولطف وصار خيراً كُلَّهُ فهو مَلَك ؛ وبفاضِلونَ بينهم ، وبمُتَقَدِّونَ مع كُلِّ شاعرٍ شَيْطَانًا ، ويسمَّونَهُم بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلَفَةٍ ؛ قال أبو عثمان : وفي النَّهارِ ساعاتٌ يُرى فيها الصَّغِيرُ كَبِيرًا ويُوجد لأوساطِ القِيافي والرَّمالِ والحِرارِ مِثْلُ الدَّوَى ، وهو طبع ذلك الوقت ، قال ذو الرِّمَّة :

إذا قال حادِيسًا لتَرَنِّمِ نَبَأَهُ صَهْ لِمِ يَكُنْ إلادَوَى الْمَسَامِعِ^(١)

وقال أبو عثمان أيضًا في الذين يذكرون عَرِيفَ الجِنِّ وتَقَوَّلَ الغِيلانَ : إنَّ أثرَ هذا الأمرِ وابتداءَ هذا الخيالِ أنَّ القومَ لما نزلوا بلادَ الوَحْشِ عملتْ فيهِمُ الوَحْشَةُ^(٢) ، ومن انفرد وطال مقامه في البلادِ الخلاءِ استوحَشَ ، ولا سِما مع قَلَّةِ الأشغالِ وقدَّ لُذا كرينَ ؛ والوَخْدَةُ لا تَقطَعُ أَيْامُها إلَّا بالتمنى والأفكارِ ، وذلك أحدُ أسبابِ الوَسْواسِ^(٣)

ومن عجائبِ اعتقاداتِ العربِ ومذاهبها اعتقادُهم في الدَّيْلِكِ والغُرَّابِ والحُمَةِ وسائرِ حُرٍّ - وهو الهدِيلُ - والحَيَّةِ ، فمنهم من يَعتقدُ أنَّ الجِنَّ بهذه الحيواناتِ تعلَّقاتٌ ، ومنهم من يزعم أنَّها نوعٌ من الجِنِّ ، ويعتقدون أنَّ سُهَيْلا والزُّهْرَةَ والضَّبَّ والذَّبَّ والضَّبَّعَ مُسُوخَ ، ومن أشعارهم في مَرَاكِبِ الجِنِّ قولُ بعضهم في قُنْفُذٍ رآه كَلْبًا :
فما يُجِيبُ الجِنَّاتُ منك عَدِثَ مَتَّهِمْ وفي الأسدِّ أفراسٌ لهم ونجائبٌ^(٤)
أيسرَجُ بَرَبُوعٌ ويُلجِمُ قُنْفُذٌ لقد أعوزتكم ما علمت النجائبُ !

(٢) كذا في ١ والحيوان ، وفي ب : « الوحشية » .

(٤) الحيوان ٦ : ٢٤٠ .

(١) ديوانه ٣٦٠

(٣) الحيوان ٦ : ٢٤٩

فإن كانت الجنان جنت فبالحرى ولا ذنب للأقوام والله غالب^(١)
ومن الشعر المنسوب إلى الجن :

وكل المطايا قد ركبنا قلم نحمد ألد وأشهى من رُكوب الأراب
ومن عَصْرُ فوطٍ عن تلى فَرَ كَبْتُهُ أبادِرُ سِرّاً من عطاء قوارِب^(٢)
وقال أعرابي يكذب بذلك :

أستمع الأسرار راكبٌ قُفْزُ لقد ضاع سرُّ الله يأمُّ معبدٍ!

ومن أشعارهم وأحاديثهم في رواية الجن وخطابهم وهتافهم مارواه أبو عثمان
الجاحظ لسير بن الحرث الضبي :

ونارٍ قد حَضَّتْ بِمَيْدٍ وَهْنٍ بداني لا أريدُ بها مقاماً^(٣)
سوى تحليل راحلةٍ وعَيْنٍ^(٤) أكالها مخافةً أن تنام
أتوا نارِي قُلتُ : مَنْونَ أنتم؟ فقالوا : الجن قُلتُ : عَمُوا ظلاماً

ويزعمون أن عمير بن ضبيعة رأى غلماناً ثلاثة يلعبون نهارة ، فوثب غلامٌ منهم
فقام على عاتق صاحبه ، ووثب الآخر ، فقام على عاتق الأعلى منهما ، فلما رآهم كذلك
تحمّل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون ، فقال عمير بن ضبيعة : فما
سهرتُ يومئذ بشجرة إلا وسمعتُ من تحتها ضحكاً ؛ فلما رجع إلى منزله مريض
أربعة أشهر .

(١) الحيوان : « ولا ذنب للأقمار » .

(٢) العَصْرُ فوط : دوية بيضاء ناعمة ؛ وهي ضرب من العطاء .

(٣) الحيوان ٤ : ٤٨١ ، ٦ : ١٩٦ ، ونوادِر أبي زيد ؛ وفيه : « سمير بن الحرث الضبي » وانظر
المزاة ٣ : ٣ ، والمختص ١ : ٩٤ ، والبدائي ١ : ٣٢ . حضأت : أشعلت .

(٤) قوله : « سوى تحليل راحلة » ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها بعد نحلة البين .

وحكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران ، فإذا غلام على الطريق ، فقالا له : من أنت ؟ قال : أنا مسكين قد قُطِعَ بي ، فقال أحدهما لصاحبه : أَرَدَفَهُ خَلْفَكَ ، فَأَرَدَفَهُ ، فالتفت الآخر إليه فرأى فيه يتأجج نارا ، فشدَّ عليه بالسيف فذهبت النارُ فرَجَّعَ عنه ، ثم التفت فرأى فيه يتأجج نارا فشدَّ عليه فذهبت النار ، فقتل ذلك مرارا ، فقال ذلك الغلام : قاتلكما الله ! ما أجَلَدَكَا ! والله ما فعلتها بأذى إلا وانخلع فؤاده ، ثم غابَ عنهما فلم يعلما خبره .

وقال أبو البلاد الطهري - ويروى لتأبط شراً :

لَهَانَ عَلَى جَهَنَّمِ مَا أَلَاقِي ^(١) من الرُّوعَاتِ يَوْمَ رَحَا بَطَانِ
لَقِيتُ النُّوْلَ تَسْرِي فِي ظَلَامٍ ^(٢) بِسَهْبٍ كَالْعِبَادَةِ صَحْصَحَانِ
قَلْتُ لَهَا : كَلَانَا نَقْضُ أَرْضِي ^(٣) أَخُو سَفَرٍ نَحْلِي لِي مَكَانِي
فَشَدْتُ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى ^(٤) لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِي
فَقَالَتْ : زِدْ قَلْتُ : رُوَيْدَا إِنِّي ^(٥) عَلَى أَمْثَالِهَا ثَبَتُ الْجَنَانِ

والذين يَرَوُونَ هذا الشعر لتأبط شراً يَرَوُونَ أوله :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ قَتَايَاتِ جَهَنَّمَ ^(١) بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانِ
بَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ النُّوْلَ تَلَوِي ^(٢) بَمَرَّتِ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ
فَصَدْتُ فَانْتَحَيْتُ لَهَا بِمَضْبِ ^(٣) حُسَامٍ غَيْرِ مُؤَثِّبٍ يَمَانِي
فَقَدْ سَرَاتِهَا وَالْبَرْكَ مِنْهَا ^(٤) نَحَرْتُ لِلْيَدَيْنِ وَاللِّجْرَانِ
فَقَالَتْ : ثَنِّ قَلْتُ لَهَا : رُوَيْدَا ^(٥) مَكَانَكَ إِنِّي ثَبَتُ الْجَنَانِ

(١) الحيوان ٦ : ٢٣٤ ، وانظر الأغاني ١٨ : ٢١ ، ٢١٢ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٣١ ، ورحا بطان :

(٢) الصحصجان : ما استوى من الأرض .

(٣) السراة ، بالفتح ، الظهر ، والبرك : الصدر .

(٤) النفس : المهزول قد نقضه السفر .

ولم أنفك مضطجماً لديّها لا نظراً مضجعا ماذا دهاني
إذا عَيْنَانِ فِي رَأْسٍ دَقِيقٍ كَرَأْسِ الْهَرَّةِ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ
وساقاً مَخْدَجٍ وَلِسَانٍ كَأَبِي وَثُوبٍ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شِثَانٍ
وقال البهراؤي :

وتزوَّجتُ فِي الشَّيْبَةِ غُولاً بَغْزَالٍ وَصَدَقْتِي زِقَ حَمْرٌ^(١)

وقال الجاحظ : أصدّقها الخمر لطيب ريحها ، والغزال لأنه من مراكب الجن .
وقال أبو عبيد بن أيوب العنبري أحد لصوص العرب :

تقول - وقد أَلَمَّتْ بِالْإِنْسِ لَمَّةٌ مَخْضِبَةُ الْأَطْرَافِ حُرْسِ الْخَلَاخِلِ^(٢)

أَهَذَا خَدَّيْنِ الْغُولِ وَالذَّنْبِ وَالَّذِي يَهِيمُ بِرَبَاتِ الْحِجَالِ الْهَرَاكِلِ^(٣)

رَأَتْ خَلْقَ الدَّرَسَيْنِ أَسْوَدَ شَاخِباً مِنْ الْقَوْمِ بَسَامَا كَرِيمِ الشَّمَائِلِ^(٤)

تَعَسَّوَدَ مِنْ آبَائِهِ فَتَكَاتِهِمْ وَإِطْعَامِهِمْ فِي كُلِّ غَبَاءٍ شَامِلِ^(٥)

إِذَا صَادَ صَيْدَا لَفَةٍ بِضَرَامِهِ وَشَيْكَا وَلَمْ يَنْظُرْ لَغَلِي الْمَرَاكِجِ^(٦)

وَنَهْسَا كَنَهِسِ الصَّقْرُ ثُمَّ مِرَاسِهِ بِكَفِّهِ رَأْسَ الشَّيْخَةِ التَّمَائِلِ^(٧)

ومن هذه الأبيات .

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ ذُلَّ قَبِيحَةٍ رَمَاهَا بِتَشْتِيتِ الْهَوَى وَالتَّخَاذُلِ

وَأَوَّلَ عَجَزِ الْقَوْمِ عَمَّا يَتَوَبُّهُمْ تَقَاعَدُهُمْ عَنْهُ وَطُولُ التَّوَاكُلِ

وَأَوَّلَ خُبْثِ الْمَاءِ خُبْثُ تَرَابِهِ وَأَوَّلُ لُؤْمِ الْقَوْمِ لُؤْمُ الْخَلَائِلِ

(١) الحيوان ٦ : ٢٢٥

(٢) الحيوان ٦ : ١٦٧ . وخرس الخلاخل : كناية عن

(٣) الهراكل : جمع هركلة ؛ وهي الحسنة الجسم النامة والخلق .

امتلاء الساق .

(٤) الدرس : البالي من الثياب . وفي الحيوان : « خلق الأدراس » .

(٥) الغباء : السنة الجدية . (٦) الحيوان : « لنصب المراكب »

(٧) المراس : المسح والدلك ، والشيخة : بنته .

وهذا الشعر من جيد شعر العرب ، وإنما كان غرضنا منه مُتَعَامًا بأوله ، وذكرنا
سائر ما فيه من الأدب .

وقال عبيد بن أتيب أيضا في المعنى الذي نحن بصدده :

وصار خليل الغول بعد عداوة صغيا وربته الغفار البساس^(١)

وقال أيضا

فله در الغول أتي رفيقه لصاحب قفر في المهامه يذعر^(٢)

أرئت بلخن بعد لخن وأوقدت حوالى نيرانا تلوح وتزهر

وقال أيضا :

وغولا ققرة ذكرك وأتى كن عليها قطع البجاد^(٣)

وقال أيضا :

فقد لاقت الغزلان منى بليّة وقد لاقت الغيلان منى الدواهي^(٤)

وقال البهراني في قتل الغول :

ضربت ضربة فصارت هباء في محاق القمراء آخر شهر^(٥)

وقال أيضا ، يزعم أنه لما ثنى عليها الضرب عاشت :

فثنيت والمقدار يحرس أهله فلنيت يميني يوم ذلك شئت !

وقال تابط شرا يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فأمتنت عليه فقتلها :

فأصبحت والغول لي جارة فياجارة أنت ما أغولا

(٢) الحيوان ٦ : ١٦٥

(٤) الحيوان ٦ : ١٦٦

(١) الحيوان ٦ : ٢٢٥

(٣) الحيوان ٦ : ١٥٩

(٥) الحيوان ٦ : ٢٣٣

وطلبتُها بضعها فالتوت فكان من الرأي أن تُقتلَا
فجَلَّتْها مُرهَقًا صارمًا أبان المرفق والفصْلَا
فطارَ بقحفِ ابنة الجنِّ ذا شقاشق قد أخلقَ الحملَا
فمن يكُ يسأل عن جارتِي فإنَّ لها باللوى منزلا
عطاءة أرضٍ لها حلتان من ورقِ الطلح لم تُفرزَلَا
وكنْتُ إذا ما هممتُ أبتَهلتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلَا

ومن أناجيهم أنهم كانوا إذا طالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مسأ من الجن ،
لأنه قتل حية أو يربوعا أو قنفذا ، عملوا جمالا من طين ، وجعلوا عليها جوالق ، وملثوها
حنطة وشعيرا وتمرا ، وجعلوا تلك الجمال في باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب
الشمس ، وباتوا ليلتهم تلك ، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال الطين ، فإن رأوا أنها
بحالها قالوا : لم تقبل الدية ، فزادوا فيها ، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة
قالوا : قد قبلت الدية ، وأسندوا على شفاء المريض وضربوا بالدُّف ، قال بعضهم :

قالوا وقد طال عنائي والسقم إحمل إلى الجنِّ جِلاتٍ وضُم
فقد فعلت^(١) والسقام لم يرم فبالذي يملك برؤى أعتصم
وقال آخر :

فيا ليت أن الجنَّ جازوا جِالتي وزحزح عني ماعناني من السقم
ويا ليتهم قالوا أنطينا كلَّ ماحوت يمينك في حربٍ حماسٍ وفي سلم
أعلل قاسي بالذي يزعمونه فيا ليتني عوفيت في ذلك الزعم

وقال آخر :

أَرَى أَنْ جِنَانَ الثَّوْبَةِ أَصْبَحُوا وَمِنْ بَيْنِ غَضْبَانٍ عَلَى وَاسِفٍ
حَمَلْتُ وَلَمْ أَقْبَلْ إِلَيْهِمْ حَالَةً تَسْكُنُ عَنْ قَلْبٍ مِنَ السُّتْمِ تَالِفٍ
لَوْ أَنْصَفُوا لَمْ يَطْلُبُوا غَيْرَ حَقِّهِمْ وَنَ لِي مِنْ أَمْثَلِهِمْ بِالتَّنَاصُفِ
تَغَطُّوا بِثَوْبِ الْأَرْضِ عَنِّي وَلَوْ نَدَوَا لِأَصْبَحْتُ مِنْهُمْ أَمِينًا غَيْرَ خَائِفٍ

وكانوا إذا غمَّ عليهم أمرُ الغائب لم يعرفوا له خبراً جاءوا إلى بئرٍ عادية^(١) أو حفرٍ قديمٍ ونادوا فيه : يا فلان ، أو يا أبا فلان ثلاث مرات ، ويَزعمون أنه إن كان ميتاً لم يَسْمِعُوا صَوْتَهُ ، وإن كان حياً سَمِعُوا صَوْتَهُ رَجَعُوا هَوَاهُ ، أو سَمِعُوهُ مِنَ الصَّدى ، فَبَنَوْا عليه عقيدَتَهُمْ ، قال بعضهم : .. مركز تحقيق كاميتر علوم اسلامی

دَعَوْتُ أَبَا الْمُنْوَارِ فِي الْخَفْرِ دَعْوَةً فَمَا أَصَ صَوْتِي بِالَّذِي كُنْتُ دَاعِيًا
أُظَنُّ أَبَا الْمُنْوَارِ فِي قَعْرِ مُظْلَمٍ نَجْمٌ عَلَيْهِ الذَّارِيَاتُ السَّوَايَا
وقال :

وَكَمْ نَادَيْتُهُ وَاللَّيْلُ سَاجٍ بِعَادِيٍّ الْبُشَارِ فَمَا أَجَابَا

وقال آخر :

غَابَ فَلَمْ أَرْجُ لَهُ إِيَابًا وَالْخَفْرُ لَا يَرْجِعُ لِي جَوَابًا
وَمَا قَرَأْتُ مُذْنَأَى كِتَابًا حَتَّى مَتَى أَسْتَشِيدُ الرَّكَّابَا
* عنه وكلُّ يَمْنَعُ الْخَطَابَا *

وقال آخر :

ألم تعلمي أني دعوتُ مجاشعاً من الجففر والظلماء بادِ كسورها
فجاءتني حتى ظننتُ بأنه سيطلع من جوفاء صعب خدورها
لقد سكنتُ نفسي وأيقنتُ أنه سيقدّم والدنيا عجابُ أمورها

وقال آخر :

دعونه من عادية نضب ماؤها وهدم جاليتها اختلافُ عصور
فردّ جواباً ما شككتُ بأنه قريب إلينا بالإياب يصير
أقوى في البيت الثاني ، وسكن «نضب» ضرورة كما قال :
* لو عَصَرْتُمُ الْبَأْنَ وَالْمِسْكَ انْعَصَرَ *
مركز تحقيق تكملة تكملة تكملة

ومن أعاجيبهم أنهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء فيبُلْنَ بين الصّفين
يروُن أن ذلك يُطفى نارَ الحرب ويغودُهم إلى السّلم .
قال بعضهم :

لقونا بأبوالِ النساءِ جمالةً ونحن نلّاقيهن ببيضِ قواضبِ
وقال آخر :

بالتِ نساءَ بني خراشة خيفةً مِنّا وأدبرتِ الرجالُ شلالاً
وقال آخر :

بالتِ نساؤُهُم والبيضُ قد أخذت منهم ما خِذَ يَسْتَشْفِي بها الكلبُ
وهذان البيتان يُمكن أن يراد بهما أن النساء يَبُلْنَ خيفةً ودُعراً ، لا على المعنى
الذي نحن في ذكره ، فإذاً لا يكون فيهما دلالة على المراد .

وقال الآخر :

هيهات رد الخيل بالأبوال إذا غدت في صور السعال

وقال آخر :

جعلوا الشيوف المشرفية منهم بول النساء وقل ذلك غناء

فأما ذكرهم عزيف الجن في المفاوز والسباسب فكثير مشهور ، كقول بعضهم :

وخرق تحذت غيطانه حديث العذارى بأشرارها

وقال آخر :

ودوبة سبب سملق من البيد تعرف جناتها^(١)

وقال الأعشى :

وبهائم تعرف جناتها مناهلها آجنات سدوم^(٢)

وقال :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتها زجل^(٣)

وقال آخر :

* بيضاء في أرجائها الجن تعرف *

وقال الشرقي بن القطامي : كان رجل من كلب يقال له عبيد بن الحماريس - شجاعا ،

وكان نازلا بالسماوة أيام الربيع ، فلما حصر الربيع وقل مأوه وأقلعت أنواؤه ، تحتمل إلى

وادي تبّل ، فرأى روضة وغديراً ، فقال : روضة وغدير ، وخطب يسير ؛ وأنا لما

(٢) ديوانه ٢٩

(١) السلق : الناع الصفصاف .

(٣) ديوانه ٤٤ .

حَوَيْتُ بِجِيرٍ ، فَنَزَلَ هُنَاكَ ، وَلَهُ امْرَأَتَانِ : اسْمُ أَحَدَاهُمَا الرَّبَابُ ، وَالْأُخْرَى خَوَلَةٌ ،
فَقَالَتْ لَهُ خَوَلَةٌ :

أَرَى بَلَدَةً قَفْرًا قَلِيلًا أَنْيْسُهَا وَإِنَّا لَنَخْشَى أَنْ دَجَا اللَّيْلُ أَهْلَهَا
وَقَالَتْ لَهُ الرَّبَابُ :

أَرْنَتِكَ بِرَأْيِي فَاسْتَمِعْ عَنْكَ قَوْلَهَا وَلَا تَأْمَنْنِ جَنَّ الْعَزِيفِ وَجَهْلَهَا
فَقَالَ عَجِيْبًا لَهَا :

أَلَسْتُ كَمَا فِي الْحُرُوبِ مُحْرَبًا شُجَاعًا إِذَا شَبَّتْ لَهُ الْحَرْبُ مُحْرَبًا
سَرِيعًا إِلَى الْهَيْجَا إِذَا تَحَسَّسَ الْوَعَا فَأَقْسَمَ لَا أُعْدُو الْقَدِيرَ مِنْكَهَا
ثُمَّ صَعِدَ إِلَى جَبَلٍ تُبْكِلُ فَرَأَى شَيْئَةً — وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْقَنَافِذِ — فَرَمَاهَا فَأَقْصَمَهَا ^(١) وَمَعَهَا
وَلَدُهَا ، فَارْتَبَطَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ مِنَ الْجَنِّ :

يَا بَنَ الْحَارِسِ قَدْ أَسَاتَ جَوَارَنَا وَرَكِبْتَ صَاحِبَنَا بِأَمْرِ مُنْطَعٍ
وَعَقَرْتَ لَقَحَّتَهُ وَقَذْتَ فَصِيلَهَا قَوْدًا عَنِيفًا فِي الْمَنِيْعِ الْأَرْفَعِ
وَنَزَلْتَ مَرْعَى شَائِنًا وَظَلَمْتَنَا وَالظُّلْمَ فَاغْلِظْهُ وَخَيْمَ الرِّتَعِ
فَلَنَطْرُقَنَّكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَنَا شَرًّا يَحْنُكُ وَمَا لَهُ مِنْ مَدْفَعِ
فَأَجَابَهُ ابْنُ الْحَارِسِ :

يَا مَدْعَى ظُلْمِي وَلَسْتُ بِظَالِمٍ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مَقَالَتِي وَتَسْمَعُ
إِنْ كُنْتُمْ جِنًّا ظَلَمْتُمْ قُنْفُذًا عَقَرْتُ فَشَرَّ عَقِيرَةٍ فِي مَطْرَعِ
لَا تَطْمَعُوا فِيمَا لَدَى فَالْكُفْمِ فِيمَا حَوَيْتُ وَخَزَنَتُهُ مِنْ مَطْمَعِ
فَأَجَابَهُ الْجِنِّي :

يَا ضَارِبَ اللَّقْحَةِ بِالْعَضْبِ الْأَقْلِ قَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ وَأَوْفَاكَ الْأَجَلُ

(١) أَقْصَمَهَا : قَتَلَهَا فِي مَكَانِهَا .

وسأفك الحين إلى جن تبلى فاليوم أقويت وأعينك الحيل^(١)
فأجابه ابن الحاريس :

يا صاحب اللقحة هل أنت بجلى مستمع منى فقد قلت انخلطل
وكثرة المنطق في الحرب قتل هيبت قمقاما من القوم بطل^(٢)
ليث ليوث وإذا هم فعل لا يرهب الجن ولا الإنس أجل
* من كان بالعقوة من جن تبلى^(٣) *

قال : فسَمِعَها شيخ من الجن ، فقال . لا والله لا نرى قتل إنسانٍ مثل هذا ثابت
القلب ماضى العزيمة ، فقام ذلك الشيخ وسجد لله تعالى ثم أنشد :

يا ابن الحاريس قد نزلت بلادنا فأصبت منها مشربا ومناما
فبدأتنا ظلما بغير لقوحا وأسأت لنا أن نطق كلاما
فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى إنا نرى لك حرمة وذماما
واغرم لصاحبنا لقوحا متبعنا فاقصد أصبت بما فعلت أثاما
فأجابه ابن الحاريس :

الله يعلم حيث برقع عرشه أتى لأكره أن أصيب أثاما
أما ادعائك ما ادعيت فإتني جئت البلاد ولا أريد مقاما
فأسمت فيها مائنا ونزلتها لأريح فيها ظهرنا أياما
فليغد صاحبكم علينا نعطي ما قد سألت ولا نراه غراما
ثم غرم للجن لقوحا متبعاً للقنفذ وولدها .

وهذه الحكاية وإن كانت كذبا إلا أنها تتضمن أدبا ، وهى من طرائف

(٢) القمام : السيد .

(١) الحين : الهلاك .

(٣) العقوة : المحلة .

أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وأمتاعها ؛ ويقال : إن الشرقى بن القطامي كان يصنع أشعاراً وينحلها غيره .

فأما مذهب العرب في أن لكل شاعر شيطاناً يلقي إليه الشعر فذهب مشهور ، والشعراء كافة عليه ، قال بعضهم :

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوءة عني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن
وقال حسان بن ثابت :

إذا ما ترعرع فينا الفلام فما إن يقال له : من هو ؟
إذا لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لا هو ؟
ولي صاحب من بني الشيصبان فطورا أقول وطورا هو ؟
وكانوا يزعمون أن اسم شيطان الأعشى مسحل ، واسم شيطان الحبل عمرو ،
وقال الأعشى :

دعوت خابلي مسحلا ودعوا له جهنم جدعاً للهجين للذم^(١)
وقال آخر :

لقد كان جني الفرزدق قدوة وما كان فينا مثل فحل الحبل
ولا في القوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل
وقال الفرزدق يصف قصيدته :

كأنها الذهب العقيان حبرها لسان أشعر خلق الله شيطاناً

وقال أبو النجيم :

إني وكلّ شاعرٍ من البشرِ شيطانه أثنى وشيطاني ذكّر

وأبشِد الخالِعُ فيما نحن فيه لبعض الرّجّاز :

إن الشياطين أتوني أربعةً في غَاسِ اللَّيلِ وفيهم زُوبَة

وهذا لا يدلّ على مانحن بصدده من أمر الشعر وإلقائه إلى الإنسان ؛ فلا وجه لإدخاله في هذا الموضع .

ومن مذاهبهم أنهم كانوا إذا قتلوا الثّعبانَ خافوا من الجنّ أن يأخذوا بثأره ،
فيأخذون رَوْتَهُ وَيُفْتِنُونَهَا على رأسها ، ويقولون : رَوْتَةُ رَأْسِ ثَائِرِكَ
وقال بعضهم :

طرَحْنَا عليه الرّوْتُ والرّجْرُ صادقُ فرائثَ علينا ثأْرُهُ والطّوائِلُ

وقد يُدْرُ على الحَيَّةِ المقتولة يسبرُ رمادُ ، ويقال لها: قَتْلُكَ العَيْنِ فلا ثأْرَ لك ؛ وفي

أمثالهم لَيْنَ ذهب دمه هَدْرًا : وهو قَتْلُ العَيْنِ ، قال الشاعر :

ولا أكنْ كَقَتْلِ العَيْنِ وَسَطَكُمُ ولا دَبيحةَ تَشْرِيقٍ وتَنْحَارِ

فأما مذهبهم في التّحرّزات والأحجار والرّقى والعزائم فمشهور ، فمنها السّلوانة -

ويقال السّلوَة - وهي خَرَزَة يُسْقَى العاشقُ منها فيَسْلُو في زَعْمِهِمْ ، وهي بيضاء شفّافة ، قال الراجز :

لو أَشْرَبُ السّلوَانِ ما سَلَيْتُ ما بِي غِنَى عَنْكُمْ وإنْ غَنَيْتُ

السّلوَانُ : جمعُ سَلْوَانَة .

وقال اللحياني : السلوانة تراب من قبر يسقى منه العاشق فيسلو ، وقال عروة .
ابن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعرفان نجد إن لها شقياني
فقالا نعم : نشقى من الداء كله وقاماً مع العواد يبتشدران
فما تركنا من رقية يعرفانها ولا سلوة إلا وقد سقاني
وقال آخر :

سقوني سلوة فسلوت عنها سقى الله المتيسرة من سقاني
أى سلوت عن السلوة واشتد بي العشق ودام . وقال الشمر دل :
ولقد سقيت بسلوة فكأنما قال المداوي للخيال بها أزدد
مركز حقيقته كميتر عديدي

ومن خرزاتهم الهيمة تجتلب بها الرجال وتعطف بها قلوبهم ، ورقيتها : أخذته بالهيمه ؛
بالليل زوج وبالنهار أمة .

ومنها الفطسة والقبلة والدرديس ؛ كلها لاجتلاب قلوب الرجال ، قال الشاعر :

جمعن من قبل لمن وفطسة والدرديس تماماً في منظم
فأنقاد كل مشذب مرس القوى ليهاهن وكل جلد شيطم^(١)

وقيل : الدرديس خرزة سوداء يتحبب بها النساء إلى بؤنكن ، توجد في
القبور العادية ، ورقيتها : أخذته بالدرديس ، تدرك العرق اليبس ، وتدر الجديد
كالدريس ، وأنشد :

قطعت القيده والخرزات عني فمن لي من علاج الدرديس !

(١) الشيطم : الطويل الجسم .

وأصل الدَّرْدَيْسِ الداهية ، ونُقِلَ إلى هذه لقوة تأثيرها .

وَمِنْ خَرَازِمِ الْفِرْزَخَةِ ، أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

لَا تَنْفَعُ الْفِرْزَخَةُ الْعَجَائِزَا إِذَا قَطَعْنَا دُونَهَا الْمَفَاوِزَا

وهي مِنْ خَرَازِمِ الضَّرَائِرِ ، إِذَا لَبَسَتْهَا الْمَرْأَةُ مَالَ إِلَيْهَا بَعْلُهَا دُونَ ضَرَّتِهَا .

وَمِنْهَا خَرَزَةُ الْعُقْرَةِ تُشَدُّهَا الْمَرْأَةُ عَلَى حَقْوَيْنِهَا فَتَمْنَعُ الْخَبْلَ ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ السَّكَيْتِ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ .

وَمِنْهَا الْيَنْجَلِبُ ، وَرُقَيْتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْيَنْجَلِبِ ، فَلَا يَرْمِ وَلَا يَغِيبُ ، وَلَا يَزَلُ عِنْدَ الطُّنْبِ .

وَمِنْهَا كَرَارٌ ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ ، وَرُقَيْتُهَا : يَا كَرَارُ كَرِّبْهُ ، إِنْ أَقْبَلَ فُضِّرْبْهُ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَضُرْبْهُ ، مِنْ فَرَجِهِ إِلَى فِيهِ .

وَمِنْهَا الْهَمْرَةُ وَرُقَيْتُهَا : يَاهَمْرَةُ أَهْمِرِي ، مِنْ أَسْتِهِ إِلَى فِيهِ ، وَمَالِهِ وَبَنِيهِ .
وَمِنْهَا الْخَصْمَةُ خَرَزَةٌ لِلدَّخُولِ عَلَى السَّاطِئَانِ وَالْخَصُومَةِ ، تُجْعَلُ تَحْتَ فَصِّ الْخِلَاطِ أَوْ فِي زُرِّ الْقَمِيصِ أَوْ فِي حَاثِلِ السَّيْفِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُعَلَّقُ غَيْرِي خَصْمَةً فِي لِقَائِهِمْ وَمَالِي عَلَيْكُمْ خَصْمَةً غَيْرُ مَنْطِقِي

وَمِنْهَا الْوَجِيهَةُ ، وَهِيَ كَالْخَصْمَةِ حَمَاهُ كَالْعَقِيقِ .

وَمِنْهَا الْمُطْفَةُ ، خَرَزَةُ الْمُطْفِ ، وَالْكَحْلَةُ ، خَرَزَةُ سُودَاهُ تُجْعَلُ عَلَى الصَّبَّيَّانِ لِدَفْعِ الْعَيْنِ عَنْهُمَا ، وَالْقَبْلَةُ خَرَزَةٌ بِيضَاءُ تُجْعَلُ فِي عُنُقِ الْفَرَسِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالْفَطْطَةُ خَرَزَةٌ يَمْرُضُ بِهَا الْعَدُوُّ وَيُقْتَلُ ، وَرُقَيْتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْفَطْطَةِ ، بِالثُّوبَاءِ وَالْمُطْطَةِ ، فَلَا يَزَالُ فِي تَعَمُّةٍ ، مِنْ أَمْرِهِ وَنَكْثَةٍ ، حَتَّى يَزُورَ رَمْسَهُ .

ومن رُقام الحُب : هَوَاهُ هَوَاهُ ، البرقُ والسحابُ ، أخذتهُ بمركن ، فحبّه تمكّن .
أخذته يابرة ، فلا يزل في عبّره . خَلِيَّتُهُ يَاشُنِي^(١) ، فقلبه لا يهدأ . خَلِيَّتُهُ يَمْرُدُ ، فقلبه لا يبرُد .
وترقى الفارك زوجها إذا سافر عنها فتقول : بأقول القمر ، وظلّ الشجر ، شمال تشمله ،
ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شيك فلا انتعش ؛ ثم ترمي في أثره بحصاة ونواة
وروثه وبمرة ، وتقول : حصاة حصّت أثره ، نواة أثأت داره ، روثه راث خبره
لقمته بيمرة .

وقالت فارك في زوجها :
أَتَبَعْتُهُ إِذْ رَحَلَ الْعَيْسَ ضُحَى
بعد النواة روثه حيث أنتوى
* الروث للرثي والنأي النوى *

وقال آخر :
مركز تحقيق كميتر علوم إسلامي

رَمَتْ خَلْفَهُ لَمَّا رَأَتْ وَشَكَ بَيْنَهُ
نواة تلتها روثه وحصاة
وقالت : نأت منك الديار فلا دنت
وراثت بك الأخبار والرجعات
وحصّت لك الآثار بعد ظهورها
ولا فارق الترحال منك شتات
وقال آخر يخاطب امرأته :

لَا تَقْذِفِي خَلْفِي إِذَا الرَّكْبُ أَغْتَدَى
روثة غير وحصاة ونوى
لَنْ يَدْفَعَ الْقَدَارَ أَسْبَابُ الرُّقَى
ولا التهاويل على جنّ القلا

هذا الرمز أوردّه الخالغ في هذا المعرض ، وهو بأن يدلّ على عكس هذا المعنى أولى ،
لأنّ قوله : «لَنْ يَدْفَعَ الْقَدَارَ أَسْبَابُ الرُّقَى» ، ولا بالتهاويل على الجنّ» كلام يُشعر بأنّ قذف الحصاة
والبِنواة خلفه كالعودة له ، لا كما تفعله الفارك التي تتمنى الفراق .

فَأَمَّا مَذْهَبُهُمْ فِي الْقِيَافَةِ وَالزَّجْرِ وَالْكَهَانَةِ وَأَخْتِلَافُهُمْ فِي السَّامِحِ وَالْبَارِحِ ، وَتَشَاعُهُمْ بِاللَّفْظَةِ
وَالْكَلِمَةِ وَتَأْوِيلُهُمْ لَهَا وَتَيَمُّنُهُمْ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى ، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ
وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي فَكَلَهُمْ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ لِحَاجَةِ لَنَا إِلَى ذِكْرِهِ هَاهُنَا .

فَأَمَّا لَفْظُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ : « نَشْرَةٌ » ، فَإِنَّ النَّشْرَةَ فِي اللُّغَةِ كَالْعَوْدَةِ
وَالرُّقِيَّةِ ، قَالُوا : نَشَرْتُ فَلَانًا تَنْشِيرًا ، أَيْ رَقَيْتُهُ وَعَوَّدْتُهُ . وَقَالَ الْكَلَابِيُّ : إِذَا نَشَرَ
لِلْمَنْفُوعِ فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، أَيْ يَذْهَبُ عَنْهُ مَا بِهِ سَرِيعًا .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ : « فَعَلَلْتُ طَبَّاءَ أَصَابَهُ » ، يَعْنِي سَجَّرَا ، ثُمَّ عَوَّدَهُ ، « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ » ، أَيْ رَقَاهُ ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَتَبَ لَهُ النَّشْرَةَ .
وَقَدْ عَدَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمُورًا أَرْبَعَةً ذَكَرَ مِنْهَا النَّشْرَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ
السَّلَامُ لِيَقُولَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم الجزء التاسع عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

وبلغ الجزء العشرين

فهرسالموضوعات

صفحة	
٧-٠٠٠	تابع ماورد من حكمه عليه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
٤٧-٤٥	فصل في الحياء وما قيل فيه
٦٢-٦٠	مثل من شجاعة علي عليه السلام
٦٤-٦٢	قصة غزوة الخندق
٩٤-٩١	ماجرى بين يحيى بن عبد الله وعبد الله بن مصعب عند الرشيد
١٠٠، ٩٩	من كلامه عليه السلام لسكيل بن زياد النخعي وشرح ذلك
١٢٤-١١٦	نبذ من غريب كلام الإمام علي وشرحه لأبي عبيد
١٣٩-١٢٤	نبذ من غريب كلام الإمام علي وشرحه لابن قتيبة
١٤٣-١٤٠	خطبة منسوبة للإمام علي خالية من حرف الألف
١٨٤، ١٨٣	من كلامه عليه السلام في وصف صديق وشرح ذلك
١٩٠-١٨٤	نبذ من الأقوال الحكيمة في حمد القناعة وقلة الأكل
٢٣١-٢٢٧	نبذ من الأقوال الحكيمة في الفقر والغنى
٢٤٩، ٢٤٨	نبذ من الأقوال الحكيمة في الوعد والمطل
٢٩٧-٢٨٧	نبذ من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وصروفها
٣١٨-٣١٦	أقوال مأثورة في الجود والبخل
٣٣٠-٣٢٦	نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها

صفحة	
٣٥١-٣٤١	عما ورد في الطيب من الآثار
٣٥٧-٣٥٢	بذ مما قيل في التيه والفخر
٣٧١-٣٦٥	طرائف حول الأسماء والكنى
٣٨٢-٣٧٢	أقوال في العين والسحر والعدوى والطيرة والقال
٣٨٣-٣٠٠	نكت في مذاهب العرب وتخيلائها



مركز تحقيقات كتابية ودراسات إسلامية